

تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي

من القرن الاول حتى القرن العاشر هجري

(٩٥ هـ/٧١٣م) - (٩٢٨هـ/١٥٢٠م)



المكتبة العصرية

صيدا - بيروت

تطوّر الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي

من القرن الأول حتى القرن العاشر الهجري
(٩٥هـ/٧١٣م) - (٩٢٨هـ/١٥٢٠م)

تأليف
الدكتور عبد الرحمن عثمان حجازي

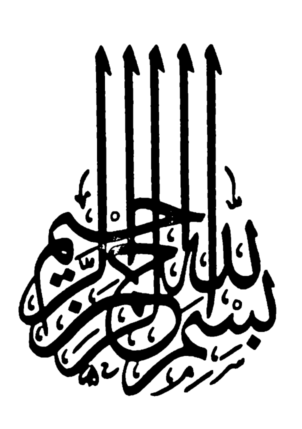

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - 2000 م



الدار النموذجية — المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ١١/٨٣٥٥ - تلفاكس ٠٠٩٦١١٦٥٥٠١٥
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٠٠٩٦١٧٧٢٠٣١٧



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا الكتاب هو أحد كتب سلسلة الكتب التربويّة الإسلاميّة التي أعتزّ بالإشراف عليها، وأسعى إلى نشرها لما فيها من علم ينفع، لم أرغب أنا ومؤلفيها أن نتركها على أرفف المكتبات يعلوها الغبار، وهذا الكتاب في الأساس جزء من أطروحة تقدم بها عبد الرحمن حجازي لنيل درجة دكتوراه في الدراسات الإسلاميّة من كليّة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلاميّة في بيروت .

لقد تعرّفت على الدكتور عبد الرحمن حجازي عندما أشرفت عليه في رسالة الماجستير التي تناولت التربية الإسلاميّة وكانت تحت عنوان : "التربية الإسلاميّة في القيروان في القرون الهجرية الثلاثة الأولى" .

وعندما أعود بالذاكرة إلى الوراء، لأراه وهو يختار موضوع بحثه، ويضع خطته، وتبادلنا وجهات النظر، وطلباتي الكثيرة إليه بإعادة القراءة ووضع الخطة من جديد، والتعمّق بشكل أكثر، وكان يتقبّل منّي هذه الطلبات برحابة صدر، وصبر الباحث، وكان بحثه آنذاك من الأبحاث الموفّقة، ونشر كأحد كتب هذه السلسلة .

ثم جاءت أطروحته للدكتوراه حيث اختار موضوعها وعنوانها وكان: "تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي من القرن الأوّل حتى العاشر الهجري" .

ما أعجبني بالأخ عبد الرحمن خبرته المربيّة، ولا شكّ أن القارىء يدرك حسن اختياره للموضوع، وأسلوبه الجديد، وتوثيقه العلمي، وتحاشي الأخطاء النحوية، وبروز شخصيته من خلال التحليل والتفسير، ممّا يجعله موضع تقدير من قارئي كتبه وأبحاثه .

لقد قدّم الدكتور عبد الرحمن حجازي الكثير عن التربية الإباضيّة، فكان موفَقاً، وجهوده مشكورة، نأمل أن يستفيد منها قارئ هذا الكتاب، ولا أقول إنّه قد وصل إلى الكمال في ما قدم، فلن يصل أحدنا إلى الكمال، ولن يُعفى من الخطأ، فكل ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التّوابون، فهو مجتهد في ما كتب وكلّ مجتهد يخطىء ويصيب .

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين .

أ.د. محمد منير سعد الدين

المشرف على السلسلة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

إنّ الشكر لله سبحانه وتعالى ، منحني الصحة والإرادة لإنجاز هذا البحث ، أحمده حمداً كثيرا طيّباً مباركاً فيه ، سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

وإلى من أخذ بيدي في درب المنهجيّة العلميّة، وتحمّلني بصبر وأناة ، ووجّه وبيّن وصوّب ، واصطحب مرشداً إلى كيفيّة الاطلاع على مصادر المخطوطات والموضوعات في المكتبات العربية والإسلاميّة ، إلى أستاذي المشرف الدكتور **حسّان حلاّق** أتقدم بخالص الشكر والامتنان والتقدير والاحترام ، فقد كان نعم المشرف والموجّه .

وأتوجّه بالشكر إلى وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلاميّة في سلطنة عُمان التي استجابت لرسائلي وزودتني بمصادر ومراجع للبحث . وإلى الأستاذ بسّام برغوت قنصل لبنان في سلطنة عُمان الذي وضع مكتبته الخاصّة في بيروت وما تضمّ من مؤلفات إباضيّة تحت تصرفي ، وإلى الأستاذ عزّ الدين بليق الذي أهداني المصادر والمراجع الإباضيّة التي أصدرتها دار الفتح ، والكتب والمخطوطات التي أهديت إليه من أعلام الإباضيّة في الجزائر .

وأتوجّه بالشكر إلى العاملين في مكتبة كليّة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلاميّة ، وجامعة بيروت العربيّة ، والجامعة الأميركيّة ، والمركز الألماني للدراسات الشرقيّة ، ومركز المقاصد للتعليم العالي ، ومكتبة أزهر البقاع ، وإلى جميع الذين قدّموا النصح والإرشاد وشجّعوا على متابعة البحث واتمامه وبخاصّة رجل العلم الحاج توفيق الحوري أمدّ الله في عمره .

ولا يفوتني أن أشكر الباعة المتجوّلين الذين يعرضون الكتب والمجلات على أرصفة الشوارع والذين كانوا رافداً مهمّاً لمصادر البحث ومراجعه .

والحمد لله ربّ العالمين

منهجية البحث

أ ـ المقدّمة .

ب ـ المشكلة .

ج ـ الهدف من البحث .

د ـ أهمّية البحث .

هـ ـ المنهج .

و ـ حدود البحث .

ز ـ خطوات البحث .

بسم الله الرحمن الرحيم

أ ـ المقدمة :

لم يعرف التاريخ الإسلامي فرقة إسلاميّة حرصت على نفي الاسم الذي عرفت به كالإباضيّة ، التي تنفي أن يكون مؤسسها هو عبد الله بن إباض ، الذي تنسب إليه .

ومع أن معظم المصادر الإسلاميّة التي تحدثت عن الفرق ، تجعل الإباضيّة من ضمن فرق الخوارج . يؤكّد البغدادي في "بيان مقالات في الخوارج" بأن " الإباضيّة منهم ، افترقت فرقاً ، معظمها فريقان حفصيّة وحارثيّة ، فأما اليزيديّة من الإباضيّة ، والميمونة من العجاردة ، فإنّهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمّة [1] ".

ويؤكّد الشهرستاني هذا الرأي ، عندما يعرّف بفرق الخوارج بأنّهم " المحكّمة ، والأزارقة ، والنجدات ، والبيهسيّة ، والعجاردة ، والثعالبة ، والإباضيّة ، والصفريّة ، والباقون فروعهم [2] ".

ويجعلهم الأشعري من الخوارج المعتدلين ، لأنّ " الإباضيّة لا ترى اعتراض الناس بالسيف ، لكنهم يرون إزالة أئمة الجور ، ومنعهم من أن يكونوا أئمّة بأي شيء قدروا عليه ، بالسيف أو بغيره [3] ".

---

[1] ـ البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر : الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، ص ٥٥ ، بيروت، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

[2] ـ الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم : كتاب الملل والنحل ، ص ١٠٦، تخريج محمد بن فتح الله بدران ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٦ .

[3] ـ الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل : مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلين ، ص ١٨٩ ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الحداثة ١٩٨٥ .

رغم إجماع علماء القرون الرابع والخامس والسادس الهجرية على أن الإباضيّة فرقة من فرق الخوارج ، وأنّهم من أتباع عبد الله بن إباض ، إلاّ أنّ الكتابات الإباضيّة المعاصرة تفنّد هذه الآراء ، وترى أنّ معظم ما كتب عن الإباضيّة " سواء كان حقاً أو باطلاً ، فإنما هو تشنيعات وتلفيقات مَنْ يريدون أن يوقدوا نار الفتنة ضدَّ الإباضيّة ، وأن يجعلوهم مكروهين من بقية إخوانهم المسلمين ، فينسبون إليهم عقائد ومقالات يبرأون منها ، وممّن يقول بها ، ويسوقون عنهم أقوالاً في غاية الغموض والإبهام ، لإثارة الرأي العام ضدّهم ، وقد يفسرون بعض الجمل أو الكلمات تفسيراً غير صحيح ولا مقصود عند الإباضيّة لزرع وهم في نفوس الآخرين . ولا شكّ أنّ أصابع السياسة الماكرة وراء كلّ ذلك ، وأنّ هؤلاء العلماء الذي يكتبون إنّما تلقوا معلوماتهم عن مصادر مستغَلة أو مستغِلة ، مع العلم أن لديهم الاستعداد الكافي لتلقّي وتصديق كلّ ما يقال لهم عن تلك الفرق التي حكموا عليها بالضلال مسبقاً [١] ".

يصرّ الإباضيّة على اعتبار مذهبهم مذهباً إجتهاديّاً فقهيّاً سنيّاً ، " يقف جنباً إلى جنب مع الشافعيّة والحنفيّة والمالكيّة والحنبليّة [٢] " . ويفضلون العودة بمذهبهم إلى جابر ابن زيد (ت ٩٣هـ/ ٧١١م) لكن أعداءهم ـ حسب رأيهم ـ فرضوا هذه التسمية ، أي الإباضيّة ، بدلاً من الجابريّة . ويعلّل عمر بن الحاج سبب رفض الإباضية نسبة مذهبهم إلى عبد الله بن إباض (ت ٨٦ هـ / ٧٠٥م) إلى " محاولة ـ بوعي تاريخي ـ لإزاحة شبح الخوارج عنهم لعلمهم في أعماقهم أنّ ابن إباض كان أحد الخوارج ، ولعلمهم أيضاً أنّ الناس من غيرهم يعلمون ذلك ولا يمكن محوه ـ كحقيقة واقعة ـ من ذاكرة التاريخ [٣] ".

---

[١] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة ، ج ١ ، ص ٥٠ ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

[٢] ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص١٥ ، الرياض ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

[٣] ـ صالح ، عمر بن الحاج محمد : دراسة في الفكر الإباضي ، ص ٣٨ ، القاهرة ، مكتبة الإستقامة ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

ومن المؤسف أنّ الكتّاب الإباضيّين في العصر الحديث صرفوا جهودهم واهتمامهم لإيجاد الأدلّة التاريخيّة والمنطقيّة ، التي تنفي انتمائهم إلى الخوارج ، وإلى ابن إباض ، وإلى الدفاع عن بعض آرائهم التي تخالف رأي أهل السنّة والجماعة ، واغفلوا الاهتمام بالفكر التربوي الإباضي ، هذا الفكر الذي أتاح لمذهبهم أن يعيش ويصمد في بحر المذهب المالكي في الشمال الإفريقي ، وأن يلعب دوراً فعّالاً في النهوض الثقافي المعاصر في الشمال الإفريقي .

وتبدو الحاجة ملحّة إلى دراسة الفكر التربوي الإباضي وتطوّره عبر القرون ، هذا الفكر التربوي ، الذي صاغه علماء التربية الإباضيّون ، ومقارنته مع الفكر التربوي الإسلامي ، بهدف استخلاص نظام تربوي إسلامي معاصر ، يتوافق مع تطلعات الأمّة وطموحاتها ، خاصّة أنّ النظام التربوي الإباضي كان في " أول الأمر عرفاً يسير عليه الناس ، حتى جاء الإمام الكبير أبو عبد الله محمد بن بكر ، في أواخر القرن الرابع ، فحرّره على شكل قانون يشتمل على مواد ، ثمّ طبّقه تطبيقاً كاملاً في مواطن الإباضيّة في ليبيا ، ثمّ في تونس ، ثمّ في الجزائر ، حيث لا يزال يطبّق بدقّة [1] ".

تعرفت على الفكر التربوي الإباضي خلال إعداد رسالتي لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلاميّة في كليّة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلاميّة ، والتي كانت تحت عنوان " التربية الإسلاميّة في القيروان في القرون الهجريّة الثلاثة الأولى " وأعجبني ما امتاز به هذا النظام التربوي من الدقة ، حيث يعتمد نظام الحلقة في التدريس مراعياً العمر العقلي في توزيع الطلاّب ، وإذا كانت المدرسة الحديثة تطبّق ، في معظمها ، توزيع الطلاّب وفق العمر الزمني ، إلاّ أنّها لم تتمكن إلى الآن من وضع المناهج التي توزّع الطلاّب وفق العمر العقلي ، وأحببت أن يكون عنوان أطروحتي لنيل درجة الدكتوراه من كليّة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلاميّة في بيروت "الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي من القرن الأوّل وحتّى العاشر الهجري .

---

[1] ـ معمر، علي يحيى: الإباضيّة في ليبيا، ص ٦٢، القاهرة، مكتبة وهبه ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

ب ـ المشكلة :

يجد الدارس لاتجاهات الفكر التربوي الإسلامي المعاصر ، أنّ لكل اتجاه إسلامي فكره التربوي الخاص به ، وأصبح لكل جماعة إسلاميّة " تصوراتها التربويّة التي تعتقلها اعتقالاً داخل أسوارها . حتّى كأنّها أصبحت تحيا في جزيرة معزولة ليس بينها وبين سائر الجزر التربويّة صلة [1] ". وإذا كانت هذه الجماعات قد انغلقت على نفسها ، وبالتالي أصبحت أسيرة نظمها ، وخاصّة التربويّة منها ، فإن من أولى مهمات مستشرفي التصوّر التربوي الإسلامي دراسة النظم التربويّة لجميع هذه الجماعات الإسلاميّة ، وبخاصّة لتلك التي كان لها موقف معارض لأهل السنّة والجماعة ، بهدف بلورة نظام تربوي إسلامي عام، قائم على الكتاب والسنّة . إذ كيف يعقل للمسلم الذي أراده الله ﷻ أن يكون رائداً وخليفة له على أرضه أن يطبّق نظماً تربويّة وضعيّة أجنبيّة ، ويكون تابعاً لها . وفي ظلّ التبعيّة للفكر التربوي الأجنبي أصبح الإنسان العربي من منظور هذا الفكر حيواناً بيولوجيّاً بالمنظور الفلسفي الغربي ، في حين أنه في إطار تراثنا الإسلامي إنسان مُعجز ذو رسالة تعميريّة تحضّريّة [2] .

ج ـ الهدف من البحث :

استطاع الفكر التربوي الإباضي الحفاظ على وجوده وإبراز الشخصيّة الإسلاميّة الإباضيّة خلال أربعة عشر قرناً في الشمال الإفريقي ، واستطاع هذا الفكر التربوي الحفاظ على شخصيّة أتباعه . وممّا لا شكّ فيه أن هذه الفرقة الإسلاميّة لم تستطع الصمود والإستمرار في مسارها التاريخي ، لولا وجود نظم تربويّة ، ومناهج تواكب الأيام وتتفاعل مع الأحداث والتطورات . وهذا ما امتاز به الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي، الذي اضطر في كثير من الأحيان إلى التخفي في مرحلة الكتمان ،

---

[1] ـ علي، سعيد إسماعيل: نظرات في الفكر التربوي المصري ، ص ٤٥، القاهرة، جامعة عين شمس ، كليّة التربية ١٩٨٢ .

[2] ـ أنظر ، النوري ، عبد الغني . عبود ، عبد الغني : نحو فلسفة عربية للتربية ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٣ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٧٩ .

وصياغة أساليب تربويّة تماشي الواقع ، وتستشرف المستقبل ، وإذا كانت الأحداث في الشمال الإفريقي قد وقفت في وجه المدّ الإباضي ، إلاّ أنّها عجزت عن استئصاله والقضاء على وجوده . فكان لا بدّ من دراسة هذا الفكر التربوي وتطوره والاستفادة منه في صياغة فكر تربوي إسلامي معاصر ، وإبراز القواسم المشتركة بين الفكر التربوي عند الإباضيّة والفكر التربوي عند أهل السنّة والجماعة .

د ـ أهميّة البحث :

كان للفكر التربوي الإباضي ـ ولا يزال ـ دوره في الحفاظ على الشخصيّة الإباضيّة المميّزة في الشمال الإفريقي . والفكر التربوي الإسلامي بحاجة إلى إبراز كافة الآراء التربويّة الإسلاميّة ، حيث تسعى الأمّة الإسلاميّة إلى التمسّك بأصالتها ، والتحرّر من النظم التربويّة الدخيلة ، التي لا تتماشى مع معتقداتها وأهدافها ، والعودة إلى معالم الشخصيّة التربويّة الإسلاميّة المميّزة .

وللإباضيّة آراء تربويّة نشرت في كتبهم ، ممّا يستدعي البحث والتنقيب بهدف بلورة تلك الآراء التربويّة وإبرازها وفق نظم التربية الحديثة .

هـ ـ المنهج :

إنّ المنهج العلمي الذي نستضيء به في مسار البحث هو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي ، الذي يقوم على استخراج الفكر التربوي والآراء التربويّة في الفكر الإباضي ، وإبراز دور العلماء في خدمة هذا الفكر ، وربطه بالقوى والعوامل الثقافيّة المؤثرة .

ونتكىء على المنهج التاريخي منهجاً فرعيّاً نوظّفه لخدمة أغراض البحث في المواضع التي يتطلّبها البحث في دراسة تطوّر الفكر التربوي الإباضي .

و ـ حدود البحث :

إنّ حدود البحث لدراسة الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي هي من أواخر القرن الأول الهجري وبالتحديد عام (٩٥هـ / ٧١٣م) ، وهو العام الذي بعث فيه الإمام الإباضي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ـ الذي انتهت إليه رئاسة المذهب الإباضي ـ سلامة بن سعيد إلى المغرب ، وتتّفق المصادر الإباضيّة على أنّ سلامة بن سعيد هو أوّل داعية إباضي في المغرب العربي [1] . وحتّى العام (٩٢٨هـ / ١٥٢٠م) ، وهو العام الذي توقّفت فيه الكتابة عند الإباضيّة في الشمال الإفريقي ، حتّى بداية القرن الحالي ــ باعتراف الإباضيّة ــ حيث يصرح الكاتب الإباضي أحمد محمد فرصوص بأنّ سبب وضعه لكتاب ملحق بالسير " أنّي لمّا رأيت علماء الجامعات الأفاضل يكلّفون تلاميذهم عند الامتحان تحرير رسائلهم في البحث عن تاريخ الإباضيّة منذ الفاطميّين إلى انقراض الدولة التركيّة ، ورأيت إذ ذاك تاريخهم منقوصاً منذ وفاة الإمام البدر الشماخي سنة (٩٢٨هـ / ١٥٢٠م) ، ومنذ وفاته توقفت الكتابة عند الإباضيّة إلى تاريخنا هذا [2] ".

---

[1] ـ أنظر ، الدرجيني ، أبو العباس أحمد بن سعيد : طبقات المشائخ بالمغرب ، ج ١ ، ص ١١ ، تحقيق إبراهيم طلاي ، قسنطينة (الجزائر) ، مطبعة البعث ١٩٧٤ .

[2] ـ فرصوص ، أحمد محمد : الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته ، ص ٤٢ ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

ز ـ خطوات البحث :

على ضوء ما تقدم ، فإن البحث يتضمّن الخطوات التالية :

ـ **المقدّمة :** والتي تتضمن المشكلة والهدف من البحث ، أهمّية البحث والمنهج الذي اعتمد ، حدود البحث وخطواته .

ـ **الفصل الأول :** ويتناول نشأة المذهب الإباضي :

ـ ظروف النشأة وأصل التسمية ، والإباضيّة في المشرق وفي الشمال الإفريقي والاتّصالات بينهم .

ـ **الفصل الثاني :** يعرض ويناقش أهداف التربية عند الإباضيّة، والوسائل والأساليب التي اعتمدت في تحقيق هذه الأهداف .

ـ **الفصل الثالث :** يتناول تطور التعليم الإباضي في مرحلتي الكتمان والظهور ، ويبيّن دور العزابة في الحفاظ على الفكر التربوي الإباضي وتطويره .

ـ **الفصل الرابع :** يفصّل ويقيّم :

ـ الشروط التي يجب توافرها في المعلم ، في التربية الإسلاميّة وفي الفكر التربوي الإباضي .

ـ مراحل الدراسة والمناهج ، وتوزيع التلاميذ على المراحل الدراسيّة .

ـ الموارد الماليّة التي تضمن دوام واستمرار مدارس العزابة .

- **الفصل الخامس :** يعرض للنشاطات التعليميّة واللامنهجيّة في مدارس العزابة وتوافقها مع الفكر التربوي الإباضي ، ويناقش موضوع التأديب في التربية الإسلاميّة والفكر التربوي الإباضي .

- **الاستنتاجات .**

- **المصادر والمراجع .**

الفصل الأوّل

نشأة المذهب الإباضي

- **لمحة تاريخية .**
- **الإباضيّة :**

ـ الإباضيّة ترفض اسم الخوارج .

ـ نقد آراء الإباضيّة .

ـ نسبة الإباضيّة إلى ابن إباض .

ـ نقد حجج الإباضيّة .

ـ عدم انتساب الإباضيّة إلى جابر بن زيد .

ـ خلاصة القول .

- **الإباضيّة في المشرق :**

ـ موقف الإباضيّة من المسلمين .

ـ مكانة ابن إباض .

ـ أبو عبيدة التميمي : ـ المجالس السريّة .

ـ دوره في تنظيم الحركة الإباضيّة .

- **الإباضيّة في المغرب :**

ـ أول داعية إباضي في المغرب .

ـ إنتشار الدعوة الإباضيّة قبل وصول سلامة بن سعيد .

ـ إنتشار الدعوة الإباضيّة بين البربر .

ـ تنظيم الإباضيّة .

ـ قيام الدولة الرستميّة .

◆ **الانشقاق المذهبي :**

١ ـ الفرقة النكاريّة .

٢ ـ الفرقة الخلفيّة .

٣ ـ الفرقة النفاثيّة .

٤ ـ الفرقة الحسينيّة .

٥ ـ الفرقة السكاكيّة .

٦ ـ الفرقة الفرثيّة .

◆ **الإباضيّة بعد سقوط الدولة الرستميّة .**

◆ **أماكن تواجد الإباضيّة .**

◆ **أئمة الظهور عند الإباضيّة .**

◆ **استنتاجات .**

لمحة تاريخية

ظهرت الفرقة الإباضيّة في مدينة البصرة ، بعد انقسام المحكّمة [*] عام (٦٥هـ /٦٨٤م) وذلك عندما حثّ ابن الأزرق [**] القعدة من الخوارج على قتال مخالفيهم في رسالته التي كتبها إلى زعمائهم ، ومنهم عبد الله بن إباض، والتي يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون، والله إنّكم لتعلمون أنّ الشريعة واحدة والدين واحد، ففيمَ المقام بين أظهر الكفار ! ترون الظلم ليلاً ونهارا ، وقد ندبكم الله إلى الجهاد ، فقال :

﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً [1] ﴾ ولم يجعل التخلّف عذراً في حال فقال ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا [2] ﴾ وإنّما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون، وبيّن فضل

---

[*] عرفوا بالمحكّمة لأنهم حملوا الإمام عليا ﷺ على التحكيم أولاً، وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله، فجرى الأمر خلاف ما رضي به ، فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه، وقالوا لِمَ حكّمت الرجال: لا حكم إلاّ لله .

وقاتلهم علي ﷺ بالنهروان عام (٣٨هـ /٦٥٩م) مقاتلة شديدة، وافترق بعدها الخوارج إلى فرق عديدة، إلاّ أن الذي يجمع بينها على افتراق مذاهبها إكفار عليّ وعثمان والحكمين ـ أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ـ وأصحاب الجمل رضي الله عنهم ، وكلّ من رضي بتحكيم الحكمين والاكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الإمام الجائر .

(أنظر، ١ ـ الشهرستاني : كتاب الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٠٥ ـ ١٢٤ .

٢ ـ البغدادي : الفرق بين الفرق والفرقة الناجية منهم ، ص ٥٤ ـ ٩٢) .

[**] ـ نافع بن الأزرق (ت ٦٥هـ/٦٨٥م) إليه ينتسب الأزارقة من الخوارج كانوا يمتحنون من قصد عسكرهم إذا ادّعى أنه منهم وذلك بأن يدفع إليه أسير من مخالفيهم ويأمرونه بقتله، فإن قتله صدّقوه في دعواه أنه منهم، وإن لم يقتله قالوا هذا منافق ومشرك وقتلوه (أنظر ، البغدادي: الفرق بين الفرق ، ص ٨٣).

[1] ـ سورة التوبة ، الآية ٣٦ .

[2] ـ سورة التوبة ، الآية ٤١ .

الذين خرجوا معه على الذين رضوا بالقعود وعدم رفع السيف في وجه مخالفيهم بقوله ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[1][2].

لكنّ ابن إباض، عندما قرأ الرسالة، وسمع " دويّ القرّاء ورنين المؤذنين وحنين المسبّحين. قال لأصحابه أعن هؤلاء أخرج معهم؟ فقرّر القعود ورجع وكتم أمره [3]".

و لم يقرأ ابن إباض الرسالة على أصحابه خشية تفرّقهم، ولكنّه قال أمام زعماء القعدة: قاتله الله ، أي رأي رأى . صدق نافع ! لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً، وكانت سيرته كسيرة النبي - ﷺ - في المشركين، ولكنه قد كذب في ما يقوله، إنّ القوم براء من الشرك، ولكنّهم كفار بالنعم والأحكام، ولا يحلّ لنا إلاّ دماؤهم، وما سوى ذلك فهو حرام [4] .

وبهذا الموقف الواضح لابن إباض، والمعارض لابن الأزرق" بدأ فصل جديد في تطوّر حركة الخوارج تميّز بالفرقة والنزاع، وتكفير بعضهم بعضاً، وانقسموا إلى قسمين: أحدهما غالٍ متطرف، والآخر مسالم معتدل [5] ".

---

[1] ـ سورة النساء ، الآية ٩٥ .

[2] ـ أنظر، ١ـ المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص ١٥٥، تحقيق تغاريد بيضون ونعيم زرزور، بيروت ، دار الكتب العلمية ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م .

٢ ـ ابن جرير الطبري ، أبو جعفر محمد : تاريخ الرسل والملوك ،ج٥ ، ص ٢٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف ١٩٦٤ .

[3] ـ البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم : الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات ، ص ١٥٥، القاهرة، طبعة حجرية ١٨٨٤م .

[4] ـ أنظر، ١ ـ المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٦٨ .

٣ ـ الحارثي ، سالم بن حمد : العقود الفضيّة في أصول الإباضيّة، ص ٤٨ ، سوريا لبنان ، دار اليقظة العربية ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م .

[5] ـ خليفات ، محمد عوض : نشأة الحركة الإباضية ، ص ٧٨، عمان ، الجامعة الأردنية ١٩٨٢ .

وبرز عبد الله بن إباض زعيماً لتيار معارض من الخوارج يرى " مخالفيه من المسلمين على أنّهم كفار نِعم وليسوا مشركين ، وأنّه وأتباعه يفترقون عن ابن الأزرق وأتباعه،لأنّهم تأوّلوا قول الله تعالى ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ [1] ﴾ فأثبتوا الشرك لأهل التوحيد حين أتوا من المعاصي ما أتوا ولو أصغرها. وأما المارقة فقد زعموا أنّ من عصى الله تعالى، ولو في صغير الذنوب أو كبيرها أشرك بالله العظيم .

وتأوّلوا قول الله عزّ وجلّ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ [2] ﴾ فقضوا بالاسم على جميع من عصى الله عزّ وجلّ أنّه مشرك، وعقّبوا بالأحكام فاستحلوا قتل الرجال ، وأخذ الأموال والسبي للعيال فحسبهم قول رسول الله ـ ﷺ ـ (إنّ أناساً من أمتي يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة فتنظر في النصل فلا ترى شيئاً وتنظر في القدح فلا ترى شيئاً وتتمارق في التوق [*]) فليس في أمّة محمد ـ ﷺ ـ أشبه بهذه الرواية منهم ، لأنّهم عكسوا الشريعة، قلبوها ظهراً لبطن ، وبدّلوا الأسماء والأحكام ، لأنّ المسلمين كانوا على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ يعصون ولا تجري عليهم أحكام المشركين، فليت شعري فيمن نزلت الحدود في المسلمين أم في المشركين ، فأبطلوا الرجم والجلد والقطع ، كأنّهم ليسوا من أمّة أحمد عليه السلام [3] .

---

(1) ـ سورة الأنعام ، الآية ١٢١ .

(2) ـ سورة الأنعام ، الآية ١٢١ .

(*) ـ روى مسلم الحديث على النحو التالي (يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفواقة هل علق بها من الدم شيء) .

(أنظر ، القشيري النيسابوري ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٧ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د ، ت .

(3) ـ أنظر ، الوارجلاني، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم : الدليل والبرهان، ج ١، ص ١٥ ، تحقيق الشيخ سالم بن حمد الحارثي ، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

ـ الإباضيّة :

عرفت الفرقة المعتدلة التي رفضت آراء ابن الأزرق، وآثرت القعود على قتال المسلمين ، والتي كان يتزعّمها عبد الله بن إباض ـ والتي أقامت بالبصرة ـ بالإباضيّة نسبة إلى عبد الله بن إباض . و" أنّ نسبة الإباضيّة إلى إباض ـ بضم الهمزة ـ وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجدة بن عامر [*]، ويطلق عليها أباضيّة ـ بالفتح في شمال إفريقية . وإباضيّة ـ بالكسر ـ في عُمان وزنجبار [1] ".

و لم يفلح زعماء الخوارج في " استدراج عبد الله بن إباض للخروج معهم، فامتنع وأخبرهم أنه لا يخرج على قوم يرتفع الأذان من صوامعهم والقرآن من مساجدهم [2] ".

وبهذا الانفصال عن متطرفي الخوارج بدأت الفترة الأولى من الإباضيّة التي يمكن تسميتها بمرحلة الكتمان [3] ويعتقد" **LEWICKI**" أنّ ذلك كان عام ٦٥هـ/ ٦٨٤م .

---

[*] ـ نجدة بن عامر (ت ٧٢هـ /٦٩١م) صاحب النجدات من الخوارج، بايعه بعض الذين خالفوا ابن الأزرق، وسمّوه أمير المؤمنين . كاتب عبد الملك بن مروان ، وأعطاه الرضى، نقم عليه أصحابه، قتله أبو فديك أحد أتباعه .

(أنظر ، ١ ـ الشهرستاني : ص ١١١ ـ ١١٢ .

٢ ـ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

[1] ـ المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (الخطط المقريزيّة) ج ٢ ، ص ٣٣٥، القاهرة ، مطبعة النيل، ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م .

[2] ـ معمر، علي يحيى : الإباضيّة ، ص ٣٥ ، الجزائر، غرداية ، المطبعة العربيّة ١٩٨٥ .

[3] ـ أنظر ، LEWICKI, Tadeuz : Encyclopedie de l'Islam, tome 3 , article ALBADIYYA p 669, Nouvelle Edition, Paris, G.p. maison neuve et larose 1971.

- الإباضيّة ترفض اسم الخوارج :

ترفض الإباضية أن يطلق اسم الخوارج على الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب - ﷺ - ووجهة نظرهم في ذلك :

١ - إنّ الذين رفضوا التحكيم لم يشككوا في شرعية الخليفة علي بن أبي طالب - ﷺ - ، لكنّهم " خرجوا عليه لرفضه استمرار القتال في صفين واستجابته لضغوط الأكثرية من جنده، الذين رغبوا في وقف القتال، لّما رفع أهل الشام المصاحف على أسنّة الرماح، فالخوارج من ثمّ يمثلون من الناحية الدينيّة الفئة القليلة المؤمنة التي لا تقبل في الحق مساومة وادهاناً [١] ".

٢ - إنّ معظم المؤرخين للفرق الإسلاميّة كانوا إما تبعاً للشيعة أو صنائع للأمويّين " يعملون جاهدين على إرضاء متبوعيهم، فقد وجدوا أنّ الأمر سهلاً لم يكلفهم عناء ، فأطلقوا كلمة الخوارج على العدو المشترك للأمويّين والشيعة، أطلقوها على تلك الطائفة من المسلمين التي اعتزلت عليّا - ﷺ عند التحكيم - وبايعت عبد الله بن وهب [*] إماماً، وثارت على الظلم وفساد الحكم في الدولة الأمويّة... وربطوا المعنى السياسي لكلمة خوارج بالمعنى الديني، وقد عملت السلطة والدعاية في كلتا الطائفتين الشيعة والأمويّة على تثبيت هذا الاطلاق ونشر هذه الأقاويل [٢] ".

---

[١] - إسماعيل ، محمود : الحركات السرية في الإسلام رؤية عصرية ، ص ١٤ ، بيروت ، دار القلم ، د. ت .

[*] - عبد الله بن وهب الأزدي العماني (ت ٣٨هـ /٦٥٩م) بويع بالخلافة، وكان أتباعه يعتقدون أنه هو الإمام الحق، وأن كلاً من عليّ بن أبي طالب ﷺ ، بعد التحكيم والعزل، ومعاوية ﷺ ثائران يجب عليهما الرجوع إلى حظيرة الإمامة . قتل في معركة النهروان .

(أنظر ، ١ - الحارثي : العقود الفضيّة ، ص ٤٨ .

٢ - الدرجيني : طبقات المشائخ بالمغرب ، ج ٢ ، ص ١ - ٢ .

[٢] - معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ٢٤ - ٢٥ ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٣ ـ غلب اسم السنّية على فئة من المسلمين، لأنّ معاوية ﷺ لما أمر " بلعن عليّ بن أبي طالب ـ ﷺ ـ زعم أنّه سنّة ، فاستحق هذا الاسم كلّ من يرى إمامة معاوية ـ ﷺ ـ حتّى قتل ـ أي عليّ ﷺ ـ واستقر الأمر لمعاوية ـ ﷺ ـ وانقاد إليه الجميع، فزادوا اسم الجماعة على السنّة فتسمّوا بها... ومن هذا يتّضح أنّ كلمة " أهل السنّة والجماعة " لا تطلق على مذهب ديني ، وإنّما كانت تطلق على مذهب سياسي، يدعو إليه بنو أميّة ليستخلصوا الخلافة من بني هاشم، وإنّ هذا المذهب الذي أطلق على نفسه أحبّ الأسماء إلى المسلمين، وقد تطرّق إلى حدّ لم يصل إليه أحد فيما أعلم ممّا وصلت إليه يدي من أحداث التاريخ : تاريخ السياسة أو تاريخ العقيدة، فيجعل أتباع مذهب مهما كان متطرّفاً سبّ خصومهم ولعنهم سنّة متّبعة في كلّ اجتماع [١] ".

٤ ـ إنّ الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب ﷺ كانوا " حزبا ثوريّا يعتصم بالتقوى، و لم ينشأوا عن عصبيّة العروبة، بل عن الإسلام، وكانوا ينظرون إلى حذّاق التقوى ، والتقوى في الإسلام ذات اتجاه سياسي عام، والأمر كذلك إلى أعلى درجة عند الخوارج [٢] ".

٥ ـ الدعاة إلى الله تعالى كانوا يدعون ولاة أمر المسلمين إلى العمل بأوامر الشرع حتّى يستقيم الحكم، ومن هؤلاء الدعاة عبد الله بن إباض كما يبدو في مراسلات ونصائح عبد الله بن إباض لعبد الملك، الذي يطلب منه " أن يعمل بأوامر الشرع فيعدل في الحكم بين الناس ليستوجب الطاعة التي يدعوهم إليها [٣] ". والذين خرجوا على عليّ ﷺ ، كانوا يدعون إلى الله وإلى الالتزام بأوامره ونواهيه.

---

[١] ـ فلهاوزن ، يوليوس : أحزاب المعارضة السياسيّة في صدر الإسلام، الخوارج والشيعة ، ص ١٣٦، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، الكويت وكالة المطبوعات ، ط ٢ ، ١٩٧٦ .

[٢] ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٣٦ .

[٣] ـ الباروني ، أبو الربيع سليمان : مختصر تاريخ الإباضيّة ، ص٢٢، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ، ط ٤ ، د.ت.

٦ ـ إنّ المذهب الإباضي هو كغيره من المذاهب الإسلاميّة المتمسّكة بكتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ ، لكنّه يتميّز عن بقية المذاهب الإسلاميّة بأنّه " لم تنتشر فيه الخرافة التي يبثّها مشايخ الطرق يتصيّدون بها الدنيا عن طريق الدين، و لم يتجمّد بتحكّم فقهاء على العقول والمدارك فيمنعون الاجتهاد ويقصرونه على عصر أوناس ، لا يحقّ لغيرهم أن يصلوا إليه، وتعطّل العلوم والإفهام، فلا تعطي حقّ الحريّة في البحث والتنقيب، وإعطاء الأحكام بدعوى أنّ الاجتهاد أغلقت أبوابه واحتفظ الفقهاء والحاقدون بالمفاتيح في مخبأ سرّي لا يهتدي إليه الطالبون [١] ".

٧ ـ إنّ مفهوم كلمة الخوارج في الماضي كانت " تستخدم إشارة إلى هؤلاء المسلمين الذين خرجوا للقتال في سبيل الله، ولكن معناها تحوّل تدريجيّاً إلى هذا المعنى المشوّه ليصبح هذه الوصمة والتي يرفضها الإباضيّة [٢] ". وكانوا قد سمّوا خوارج " وهو جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج في سبيل الله أخذاً من قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً [٣] ﴾.

فهذا أصل تسميتهم بالخوراج وهي تسمية محمودة وسبب مشكور... ولما فارقنا الأزارقة والصفريّة [*] أخذوا عنّا اسم الخوارج فتركناه

[١] ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ٥ ـ ٦ .

[٢] ـ الموهوبي، عامر علي عمير: عُمان قبل وبعد الإسلام ، ص٢١، سلطنة عمان، وزارة الإعلام والثقافة ١٩٧٦.

[٣] ـ سورة التوبة ، الآية ٤٦ .

[*] ـ الصفريّة: فرقة خارجيّة تنتسب إلى زياد بن الأصفر، خالفوا الخوارج مثل الإباضيّة فلم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا يتّفقون معهم في الإعتقاد، أقاموا في دويلات بربريّة صفريّة في المناطق البعيدة عن ضربات الولاة في القيروان، مثال ذلك المملكة الصفريّة التي لم تعش إلاّ قليلاً جداً، والتي أنشأها أحد البربر، وهو أبو قرة في منطقة تلمسان، وملوية، أو دولة بني مدرار في تافيلا لت التي عاشت أطول منها.

(أنظر،١ ـ بل ، الفرد : الفرق الإسلاميّة في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتّى اليوم ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٧ .

٢ ـ معروف ، نايف : الخوارج في العصر الأموي ، ص٢٣٦ ، بيروت ، دار الطليعة ، ط ٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

لهـم وعرفوا به ، فـانقلب المـدح ذمّـا واختصصنـا باسـم أهـل الاستقامة وهـو الشهير [1] ".

٨ ـ إنّ تحميل كلمة الخوارج الخروج السياسي على خليفة تمّـت لـه البيعـة الشـرعيّة، يرفض اطلاق اسم الخوارج على " طلحة ـ ﷺ ـ أو عليّ ـ ﷺ ـ أو أتباعه، أو على الثائرين على عثمان ـ ﷺ ـ أظهر وأوضح . أمّا إذا لوحظ المعنى السياسي مع المعنى الديني ، فإنّه لا يمكن إطلاق هذه الكلمة عليهم ، كمـا أنّـه مـن العسير إطلاقها على المعتزلين لعلـيّ ـ ﷺ ـ والسـبب في هـذا العسـر أن هؤلاء الثائرين ... إنّمـا ثـاروا غـير منكريـن لأصـل مـن أصـول الإسـلام، ولا مكذبين بمعلوم من الدين بـالضرورة ، ومـع كـلّ طائفـة منهـم فريـق مـن كبـار الصحابة ، وفيهم بعض المشهود لهم بالجنّة [2] ".

٩ ـ إنّ اسم الخوارج لم يطلق على الذين ثاروا علـى أئمّـة شـرعيّين ، كـالثوار علـى عثمان أو معاوية ﷺ ، واسم الخوارج في نظر الإباضيّة " لا علاقة له بالثورة أو بالخروج عن أي إمام ولا يطلق بحال علـى جميـع الذيـن اعـتزلوا عليّـا ـ ﷺ ـ وإنّما يطلق على الفرق الـتي تـأوّلت آيـات مـن كتـاب الله فأخطـأت التـأويل، وأفضى بها سؤ الفهم والتصرف إلى إنكار أو ردّ بعض أحكام الإسلام القطعيّة، ولو من الناحية العمليّة ، فخرجوا بذلك عن الإسلام ... فهم خـوارج بـالعقيدة والعمل لا بالثورة [3] ".

١٠ ـ إنّ الأمويّين والشيعة كانوا يحاولون بكلّ ما اسـتطاعوا أن يلصقـوا هـذا اللقـب، لقب الخوارج ، بعد أن فسّر بالخروج عن الدين " بهؤلاء الثائرين الذين ينـادون

---

[1] ـ ابن عمر ، يوض إبراهيم : من إجابات العلامة الشيخ يوض في إعجاز القرآن ، ص ٦ ، الجزائر ، غرداية ، ١٩٧٣ .

[2] ـ أعوشت ، بكير بن سعيد : درسات إسلامية في الأصول الإباضيّة ، ص ٣٥ ، قسنطينة الجزائـر ، مطبعـة البعث ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

[3] ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ٣٥ .

في إصرار وشدّة بالمبادئ العادلة في الخلافة ، وكلّ هذه الاتجاهات تجتمع على محاربة الاتجاه الذي اتّجه إليه أتباع عبد الله بن وهب الراسبي ذلك الاتجاه العادل، الذي يرى أنّ المسلمين متساوون في الحقوق والواجبات [1] ".

ـ نقد آراء الإباضيّة :

إنّ لقب الخوارج، والذي أطلق على الذين خرجوا على عليّ ﷺ كان أمراً طبعيّاً، فهم خرجوا عن طاعة الخليفة الشرعي، وكان يقابل هذا اللقب، لقب شيعة عليّ ﷺ ، ولقب بني أميّة . وأوّل من أطلق اسم الخوارج على الذين خرجوا على عليّ ﷺ هو عبد الله بن وهب الراسبي حين اجتمع المعارضون لنتائج التحكيم في بيته فقال " أيّها الناس ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن، وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بالحقّ، وإن ضرّ ومرّ فإنّه إن يضرّ ويمرّ في هذه الدنيا، فإنّ ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنّة، فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض هذه المدائن [2] ". فخرجوا من معسكر الخليفة، وخرجوا عن طاعته. فأطلق عليهم اسم الخوارج لأنّهم طلبوا الخروج على كلّ من رفض التحكيم ونتائجه .

ونرى أنّ الإباضيّة يصرّون على عدم إلصاق اسم الخوارج على الذين خرجوا على الخليفة عليّ بن أبي طالب ﷺ للأسباب التالية :

١ ـ سعي الخوارج إلى تحقيق أهدافهم بالسيف ، وارتبط اسمهم في التاريخ الإسلامي بالمذابح التي ارتكبوها دون مبرر . ويروي المبرد أنّهم عندما دخلوا مدينة الكوفة " أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها ، وكانت

---

[1] ـ أعوشت ، بكير بن سعيد : دراسات إسلاميّة في الأصول الإباضيّة ، ص ٣٤ .

[2] ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم : الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ ، بيروت ، مؤسسة ناصر للثقافة ١٩٨٠ .

جميلة ثمّ أرادوا قتلها ، فقالت أتقتلون ﴿ مَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ [1] ﴾ فقال قائل منهم ، دعوها . فقالوا قد فتنتك ، ثمّ قدّموها فقتلوها [2] ".

٢ ـ ينفي الإباضيّة أن يكونوا من الخوارج ، ولا يريدون أن يتّصل تاريخ نشأتهم بالخوارج وذلك لإزاحة " شبح الخوارج عنهم، لعلمهم في أعماقهم أنّ ابن إباض كان أحد الخوارج، ولعلمهم أيضاً أنّ الناس من غيرهم يعلمون ذلك ولا يمكن محوه، كحقيقة واقعة من ذاكرة التاريخ ... إنّ التاريخ وإن ذكر خارجيّة ابن إباض إلاّ أنّه هو التاريخ نفسه الذي ذكر بأنه خالفهم بالرأي أخيراً، فانفصل عنهم، وبيّن فساد رأيهم إذا فلم يعد خارجيّاً [3] ".

ويقرّ ابن إباض في رسالته إلى عبد الملك بن مروان بأنّه من الخوارج إذ يقول " هذا خبر الخوارج، شهد الله والملائكة أنّا لمن عاداهم أعداؤنا، ولمن والاهم أولياؤنا بألسنتنا وأيدينا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه عند ربنا [4] ".

لكنّه لّما ظهر من الخوارج القول بإباحة الدم والمال بالذنب ، أعلن الإباضيّة البراءة من الخوارج . ويؤكّد ذلك ابن إباض في رسالته بأنّه " براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه . لقد كان حين خرج على الإسلام فيما ظهر لنا ولكنّه أحدث وارتدّ وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم [5] ".

---

(1) ـ سورة الزخرف ، الآية ١٨ .

(2) ـ المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

(3) ـ صالح ، عمر بن الحاج محمد : دراسة في الفكر الإباضي ، ص ٣٨ .

(4) ـ البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص ١٦٥

(5) ـ البرادي : المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

ـ نسبة الإباضيّة إلى ابن اباض :

يرفض الإباضيّة أن ينسبوا إلى عبد الله بن إباض [*]، وتشير المصادر الإباضيّة، القديمة والحديثة، إلى أنّ ابن إباض لم يكن إمامهم الحقيقي ومؤسس دعوتهم وإن كان من علمائهم ومشايخهم البارزين في العقود الأولى من تاريخ حركتهم .

يعتبر الإباضيّة أنّ جابر بن زيد الأزدي [**] إمامهم ومؤسس مذهبهم، وأنّ ابن إباض لم يكن إلاّ واحداً من أتباعه، ومن هنا فإنّ " الإباضيّة لم يسمّوا أنفسهم بهذا الإسم في البداية و لم يرد في مصادرهم قبل الربع الأخير من القرن الثالث الهجري. وكانوا يلقّبون أنفسهم أهل الدعوة أو جماعة المسلمين أو أهل الاستقامة والحق [1] ".

يرى محمد علي دبوز أنّ الأمويّين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم نسبة إلى عبد الله بن إباض، لأنّ ابن إباض كان من علماء الإباضيّة وشجعانهم والمناظر باسمهم ولا يريد الأمويّون نسبة هذه الفرقة إلى جابر حتى " لا يجذبوا إليهم الأنظار ، ولا يبدون في هالة جابر المشرقة، فتميل إليهم النفوس، فنسبوهم إلى عبد الله بن إباض، وهو أقلّ منزلة من جابر في العلم، وإن كان لا يقلّ عنه في التقوى والورع والصلاح [2] ".

---

[*] ـ لا تذكر المصادر المتوافرة على اختلافها وتنوّعها شيئاً عن حياة ابن إباض الأولى ، ويشير اطفيش إلى أن عبد الله بن إباض كان صحابيّاً لفترة قصيرة من الوقت ، ومات قبل عام ١٠٠هـ / ٧١٨م .
(أنظر ، ١ ـ اطفيش ، محمد بن يوسف : رسالة شافية في بعض التواريخ ، ص ٤٩ ، الجزائر ، طبعة حجرية ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م) .

[**] ـ جابر بن زيد : (١٨/٢٢هـ ـ ٩٣هـ) (٦٣٩/٦٤٢م ـ ٧١١م) من ولد عمر بن اليحمد الأزدي ولد في مدينة الفرق بالقرب من مدينة نزوى في بلاد عُمان، وانتقل مع أسرته إلى درب الجوف بالبصرَة، وكانت البصرة وقتذاك من أهمّ مراكز العلم والمعرفة في الدولة الإسلاميّة (أنظر ، الحارثي : ص ٩٣ ـ ١٠٦ . الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ـ ٢١٤ . النجّار ، عامر : الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، ص ١٢٢، القاهرة ، دار المعارف ١٩٩٣).

[1] ـ خليفات ، محمد عوض : النظم الاجتماعيّة والتربويّة عند الإباضيّة في شمال إفريقية في مرحلة الكتمان ، ص ١٥، عمان ١٩٨٢ .

[2] ـ دبوز، محمد علي : تاريخ المغرب الكبير، ج ٢ ، ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ ، الجزائر ، المطبعة العربية ١٩٧١ .

ـ نقد حجج الإباضيّة :

يمكن الردّ على حجج الإباضيّة التي تنفي نسبتها إلى عبد الله بن إباض بأدلّة أقوى منها . وهذه الأدلّة هي :

١ ـ إذا كان يعتقد أنّ الأمويّين حسدوا الإباضيّة و لم يسمّوهم باسم إمامهم الحقيقي جابر بن زيد، وعدلوا إلى تسميتهم باسم أحد تلاميذه ابن إباض : فإنّ الأمويّين لم يكن لهم مصلحة في إبعاد أو ربط اسم جابر بالحركة الإباضيّة " وكان الأولى أن يحسد الأمويّون الشيعة فينسبوهم إلى رجل دون عليّ رضي الله عنه بدرجات ، لأنّ عليًا ـ رضي الله عنه ـ فوق جابر في كلّ الأشياء ، وآلق هالة منه، وجابر بن زيد دون عليّ ـ رضي الله عنه ـ في كلّ مجال من المجالات، فأمويّاً، إنّ الإمام عليّاً ـ رضي الله عنه ـ وشيعته، أخطر وأبغض من جابر وأتباع جابر [١] ".

٢ ـ تذكر المصادر الإباضيّة أنّ عبد الله بن إباض " كان رأس القَعدة، ورئيس مَن بالبصرة وغيرها من الأمصار ، والمتقدّم في حلبة الفضل بين أولئك الأخيار، قعد عن اللحاق، فاشتراه من غير إنكار، وقنع بالخمول من غير قصور ولا إقصار وحكى ما اعتقده ابن الأزرق في المحمّديّة، وعدل من طريقي البيهسيّة [*] والنجدة، وسلك محجّة العدل، وكان قدوة لأهل الفضل، وإليه النسبة اليوم في العقائد معدولاً بها عن اسم الولد إلى اسم الوالد طلباً للتخفيف، واختصاص الأشهر، وذلك في اللغة معروف لا ينكر، لابن إباض فضائل مشهورة في الآفاق وآثارة مخلّدة في بطون الكتب [٢] ". وهذا تأكيد على أنّ ابن إباض هو رأس المذهب وإليه ينسب .

---

[١] ـ صالح ، عمر بن الحاج محمد : دراسة في الفكر الإباضي ، ص ٣٩ .

[*] ـ البيهسيّة : أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة، وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد فهرب إلى المدينة ، فطلبه بها عثمان بن حبّان المزني فظفر به وحبسه وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثمّ يقتله ففعل به ذلك .

(أنظر ، الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١١٣ ـ ١١٥) .

[٢] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ بالمغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

٣ ـ يشكّك الكتّاب الإباضيّون المعاصرون بنزاهة الكتب التي تحدّثت عن الفرق الإسلاميّة، وأكّدت إمامة عبد الله بن إباض للإباضيّة ونسبتهم إليه، فحين يذكر البغدادي إجماع "الإباضيّة على القول بإمامة عبد الله بن إباض[1] ".

يشكّك علي يحيى معمر بنزاهة البغدادي، ويرى " أنّ القارئ بمجرد البدء في قراءة مقدمة كتاب الفَرق بين الفِرق، يحسّ كأنّه داخل في معمعة حامية الوطيس ، وكأنّه يرافق محارباً شديد المراس . قد دّجج نفسه بجميع أنواع الأسلحة استعداداً لدخول معركة ينبغي له أن يقضي فيها على عدو من الخصوم [2] ".

ومردّ هذا التشكيك هو أنّ البغدادي كغيره من مؤرخي الفرق أكّد أنّ الإباضيّة قد أجمعت على إمامة عبد الله بن إباض ، وهذا يناقض ما يردّده مؤرخو الإباضيّة المعاصرون .

٤ ـ ينفي الإمام جابر بن زيد أن تكون له علاقة بالإباضيّة حين قيل له إنّ الإباضيّة يزعمون أنّك منهم . قال أبرأ إلى الله منهم [3] .

ويؤكّد ذلك الحوار الذي دار بين الإمام جابر بن زيد، وبين الإمام الحسن البصري، فيروي ثابت البناني: "دخلت على جابر بن زيد ، وقد ثقل ، قال : فقلت له : ما تشتهي؟ قال: نظرة من الحسن . قال: فأتيت الحسن وهو في منزل أبي خليفة، فذكرت ذلك له. فقال: أخرج بنا إليه . قال : قلت: إني أخاف عليك قال : إنّ الله سيصرف عنّي أبصارهم. قال: فانطلقت حتّى دخلنا عليه. قال : فقال له الحسن : يا أبا الشعثاء ، قل لا إله إلاّ الله .

---

(١) ـ البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ١٠٣ .

(٢) ـ معمر ، علي يحيى : الإباضية بين الفرق الإسلاميّة ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

(٣) ـ أنظر ، ١ ـ ابن سعد ، أبو عبد الله محمد : الطبقات الكبرى ، ج ٧ ، ص ١٨١ ، بيروت ، دار صادر ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .

٢ ـ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي : تهذيب التهذيب ، ج ٢ ، ص ٣٨ ، حيدر أباد ١٣٢٥هـ .

قال : فقال ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ [1] ﴾ قال فتلا هذه الآية . قال : فقال له الحسن إنّ الإباضيّة تتولاك؟ قال : فقال أبرأ إلى الله منهم. قال ثمّ خرجنا من عنده[2] ".

ويردّ محمّد عوض خليفات على هذه الرواية التي تؤكّد عدم انتساب جابر إلى الإباضيّة بأنّ " الحسن البصريّ الذي كان صديقاً لجابر بن زيد وأنّه كان يعرف آراء جابر ومعتقده، قبل زيارته وهو على فراش الموت ، وليس ذلك الوقت المناسب لأن يطرح البصريّ على جابر مثل هذا السؤال [3] ".

ويبدو تعليل خليفات ضعيفاً ، لأنّ الرواية لا تذكر لنا الوقت الذي قضاه الحسن البصريّ عند جابر، وليس من المعقول أن يتحمّل البصريّ المشقّة والخطر في الوصول إلى جابر ليجلس عنده سويعات ، بل نميل إلى أنّه جلس عنده الوقت الكافي وتحادثا في القضايا المعاصرة .

ـ عدم انتساب الإباضيّة إلى جابر بن زيد :

إذا كان البصريّ صديقاً لجابر ، وطرح عليه السؤال وهو على فراش الموت، فقد طرح عليه السؤال ليكون له حجّة بعد وفاة جابر، فجابر كان يردّ على الاتهامات حيّاً، أمّا بعد الوفاة، فكان من الأدب العلمي أن يسمع البصريّ ردّ جابر مشافهة منه ، حتّى يأخذ به ، ولو كان جابر بن زيد إباضيّاً لحدّث بذلك الحسن البصريّ، وهو على فراش الموت يودّع الدنيا .

وقول الإمام الحسن البصريّ لجابر بن زيد: الإباضيّة تتولاك يعني عدّة أمور :

أ ـ إنّ هذه الفئة من القعدة كانت تعرف بالإباضيّة، نسبة إلى عبد الله بن إباض، كما عرف غيرهم باسم الأزارقة والنجديّة من الفرق الإسلاميّة .

ب ـ إنّ الإباضيّة، ومعظمهم من قبيلتي تميم والأزد، والأزد نزلوا البصرة، وتربطهم بجابر روابط أسريّة وقبليّة، حتّى ظُنّ أنّه واحد منهم، وبخاصّة أنّه كان مفتي

---

[1] ـ سورة الأنعام ، الآية ١٥٨ .

[2] ـ ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٧ ، ص ١٨١ .

[3] ـ خليفات ، محمد عوض : نشأة الحركة الإباضيّة ، ص ٩٣ .

البصرة زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث يقول إياس بن معاوية قاضي البصرة " أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عُمان [1] ".

ج ـ أراد الحجّاج أن يولي جابر القضاء ، ولم يول الحجّاج إلاّ من يثق بولائه. وأمّا الاحتجاج بأنّ جابراً عمد إلىَ التقيّة عندما ردّ على الحجّاج أنا أضعف من ذلك. قال الحجّاج وما بلغ ضعفك ؟ قال : يقع بين المرأة وخادمها شرّ فما أحسن أن أصلح بينهما. قال إنّ هذا لهو الضعف [2] .

ويحتمل ردّ جابر أحد أمرين :

- **الأوّل** : إنّه كبقيّة العلماء يتحرّج في تولي القضاء .
- **الثاني** : إنّه زاهد في الدنيا منصرف عنها .

ونرجّح الاحتمال الثاني للمعطيات التالية :

١ ـ إنّ علاقة جابر بالحجّاج ـ كما تذكر المصادر الإباضيّة ـ كانت علاقة حميمة، وهذه العلاقة جعلت الحجّاج يخصّص له راتباً شهريًا يتراوح ما بين ٦٠٠ و ٧٠٠ درهم [3]. وهذه العلاقة الحميمة جعلته يردّ هذا الردّ الصريح .

٢ ـ إنّ شخصيّة جابر بن زيد هي شخصيّة زاهدة منصرفة عن الدنيا، زاهدة فيها وبكلّ أمورها، ويتّضح ذلك من أقواله التي كان يردّدها أمام أصحابه "سألت ربّي امرأة مؤمنة وراحلة صالحة ورزقا كفافا فأعطانيهن [4] ".

---

(1) ـ ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي : البداية والنهاية، ج ٩، ص ٩٤، بيروت، مكتبة المعارف ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(2) ـ أنظر ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٩١ .
٢ ـ الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد : كتاب السير، ج١ ، ص ٧٠، تحقيق أحمد بن سعود السيابي، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

(3) ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج١ ، ص ٩٠ .
٢ ـ الحارثي : العقود الفضية ، ص ١٠ .

(4) ـ الشماخي : السير ، ج ١ ، ص ٧٢ .

أو قوله "ليس منكم رجل أغنى منّي ، ليس عندي درهم ، وليس عليّ دين [1] ".

وإذا كانت المصادر الإباضيّة تجمع على أنّ جابر بن زيد هو المؤسس للمذهب الإباضي بدليل أنّ الحجّاج بن يوسف سجنه ثمّ نفاه إلى عُمان لعلاقته بالإباضيّة [2] فهذا القول مردود ، لأنّ الحجّاج لم يتورّع في قتل سعيد بن جبير [*] لأنّه نقض بيعة بني أميّة، فكيف إذا عرف أنّ جابر بن زيد إمام المذهب الإباضي، أو أنّه إباضي يناصب الدولة الأمويّة العداء .

ومن المؤكّد أنّ جابرا كان له موقف من قتل الحجّاج للإباضيّة الأزد ـ الذين هم من قبيلته ـ ممّا اضطرّ الحجّاج إلى سجنه ونفيه إلى موطنه عُمان .

٣ ـ يؤكّد البغدادي "أنّ الإباضيّة لم يكن لهم إمام بعد المحكّمة الأولى إلاّ عبد ا لله بن إباض وبعده حارث بن مزيد الإباضي [3] ".

وهذا يتنافى مع ما تورده المصادر الإباضيّة المعاصرة من أنّ جابر بن زيد كان زعيم الحركة الإباضيّة بعد وفاة عبد ا لله بن وهب الراسبي مباشرة [4] إذ لا يعقل أن يكون صبي ولد ما بين عامي (١٨و٢٢هـ) (٦٠م أو ٦٤م) . أن يتولّى في السادسة عشرة أو في العشرين من عمره عند مقتل " عبد ا لله بن وهب في المبارزة [5] " في معركة النهروان عام ٣٨هـ/ ٦٥٨م. شؤون الإمامة الإباضيّة .

---

[1] ـ الشماخي ، السير ، ج ١ ، ص ٧٢ .

[2] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ، ج ١ ، ص ٨٩ .

٢ ـ الحارثي : العقود الفضية ، ص ٩٩ .

[*] ـ سعيد بن جبير (ت ٩٤هـ / ٧١٢م) قتله الحجاج ، وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث. وكان الحجاج قد جعله على عطاء الجند حين وجّه عبد الرحمن إلى رتبيل لقتاله، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج، كان سعيد فيما خلع .

(أنظر ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٨) .

[3] ـ البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٨٤ .

[4] ـ أنظر ، دبوز ، محمد علي : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ .

[5] ـ البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٦٠ . .

- وإذا كانت الروايات تختلف في ولادة جابر، فمن المستغرب أن تختلف الروايات في وفاته، وتجعلها إمّا عام ٩٣هـ /٧١١م وإمّا عام ٩٦هـ /٧١٤م، وإمّا عام ١٠٣هـ /٧٢١م . [١] وهو في نظر الإباضيّة الشخصيّة المهمة في نشؤ المذهب والتنظيم واكتساب الأتباع .

٤ - تجمع المصادر الإباضيّة على أنّ جابراً ترك كتاباً من عشرة أجزاء هو كتاب الديوان، وضمّن هذا الكتاب الأحاديث التي رواها، وأودع في صفحاته آراءه وفتاويه في كثير من الأمور وتتّفق هذه المصادر على فقدان هذا الكتاب [٢]، ومن المستغرب أن يفقد كتاب بمثل هذه الأهميّة، ونميل إلى أنّ هذا الكتاب لا وجود له . وما وصلنا من آراء الإمام جابر بن زيد كتاب تحت عنوان "من جوابات الإمام جابر بن زيد [٣] " وهذه الإجابات لا تخرج عن كونها إجابات على أسئلة فقهيّة يسألها الناس، وقد كتبت وحفظت لحاجة الناس إليها، ولو كان له كتابات في أمور العقيدة لحفظت هذه الاجابات، فأمور العقيدة أهمّ من الفتاوى .

٥ - إنّ رواية أبي نعيم عن هند بنت المهلب، والتي تؤكّد فيها أنّ جابر بن زيد كان "أشد الناس انقطاعاً إليّ وإلى أمي، فما أعلم شيئاً يقربني إلى الله إلاّ أمرني به، ولا شيئاً يباعدني عن الله عزّ وجلّ إلاّ نهاني عنه، وما دعاني إلى الإباضيّة قطّ، ولا أمرني بها ، وإن كان ليأمرني أن أضع الخمار، ووضعت يدها على الجبهة [٤] ".

---

[١] - أنظر ، ١ - البرادي : الجواهر المنتقاه ، ص ١٥٥ .
٢ - الشماخي : السير ، ص ٧٧ .
٣ - الحارثي : العقود الفضية ، ص ٩٣ - ٩٤ .

[٢] - أنظر ، أبو زكرياء ، يحيى بن أبي بكر : كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، ص ١٦و ٣٠، تحقيق ووضع الهوامش إسماعيل العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٩٨٢ .

[٣] - ابن زيد ، جابر : من جوابات الإمام جابر بن زيد ، ترتيب الشيخ سعيد بن خلف الخروصي ، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

[٤] - أبو نعيم، أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج٣، ص٨٩ ، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٥٢هـ .

فلو كان جابر إماماً للإباضيّة لدعا هذه المرأة إلى دعوته . ونرجّح عدم إباضيّة جابر بن زيد، ولا يمكن بالتالي أن يكون عبد الله بن إباض تلميذاً لجابر ابن زيد، الذي كان في عهد معاوية ﷺ يافعاً، في حين كان ابن إباض مع الخوارج الذين اختلفوا مع عبد الله بن الزبير ﷺ حول رأيه في عثمان ﷺ ، وانصرفوا عنه، فسار جماعة منهم إلى البصرة، وفيهم نافع بن الأزرق الحنفي، وعبد الله بن صفار السعدي، وعبد الله بن إباض [1] .

ـ خلاصة القول :

إستطاع عبد الله بن إباض بموقفه من ابن الأزرق أن يحوّل الخلاف حول الحكم " إلى آراء ومذاهب تكاد تكون علميّة بحتة [2] "واستطاع أن يحمي نفسه بقبيلة تميم التي ينتمي إليها، والتي "كانت في صدر الإسلام من أهمّ قبائل البصرة وأكثرها عدداً [3]". واستطاع أن يكون محاورا ندّا للخليفة عبد الملك بن مروان، وتظهر الرسائل المتبادلة بينه وبين الخليفة الأمويّ عمق تفكيره وثقافته وقوة شخصيّته.

إنّ الإباضيّة تنتسب إلى عبد الله بن إباض بيد أنّ خليفته الحارث بن مزيد الإباضي لم يكن في مستوى شخصية ابن إباض ومنعته، فاضطر إلى الانزواء والكتمان، حتّى جاء من بعده أبو عبيدة [*]، الذي أعاد تنظيم أتباع المذهب من جديد . وكلمة أخيرة " وهي أنّه بشيء كثير

---

[1] ـ أنظر ، عبد الرؤوف ، عصام الدين : تاريخ المغرب والأندلس، ص١٤٥، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق،١٩٨٤ .

[2] ـ حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ١، ص ٣٩٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ٧، ١٩٦٤ .

[3] ـ خليفات : نشأة الحركة الإباضية ، ص ٨٤ .

[*] ـ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، توفّي في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، ويعود إليه الفضل في انتشار الدعوة الإباضيّة في الأقطار الإسلاميّة مثل عمان والمغرب، واليمن والحجاز، وذلك عن طريق الدعاة الذين كان يطلق عليهم حملة العلم، والذين حملوا العلم الإباضي من البصرة إلى شتى الأقطار، وهو الذي قام بتطوير تنظيمات المجالس السريّة في البصرة، وهو من أشهر أئمّة الإباضيّة في مرحلة الكتمان .

(أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٩١ ـ ٩٢) .

من التجوّز والتسامح نقبل قول الإباضيّة بأنّ إمامها هو جابر بن زيد ، إذ الحقيقة أنّ التابعين أمثال جابر وسعيد ابن المسيب والحسن البصريّ ـ كانوا للأمّة كلّها ، فنحن لا نرى أن يقال عن أحدهم : إنّه كان لهذا المذهب دون ذاك. اللهمّ إلاّ إذا كان المسوّغ هو أنّ غالبية الإباضيّة هم عُمانيّون، والإمام جابر عُماني، لذا وجدوا أنّهم أولى به من غيرهم إقليمياً [1] ".

ـ الإباضيّة في المشرق :

بلور عبد الله بن إباض المذهب الإباضي، بعد رفضه الخروج مع ابن الأزرق، وهذا الرفض هو دلالة واضحة على عدم الاعتراف بقيادته، وقد اتّضحت معالم هذا المذهب في رسالة عبد الله بن إباض إلى الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥هـ ـ ٨٦ هـ) (٦٨٤م ـ ٧٠٥م) شارحاً أهداف ومبادئ الحركة فيقول : وأمّا ما ذكرت من عثمان ـ ﷺ ـ والذي عرضت به من شأن الأمّة، فإنّ الله ليس ينكر عليه أحد شهادته في كتابه الذي أنزل على نبيّه محمّد ﷺ أنّ من ﴿لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [2] ﴾ ﴿الْفَاسِقُونَ [3] وَالْكَافِرُونَ [4] ﴾ ثمّ إني لم أكن أذكر لك من شأن عثمان ـ ﷺ ـ شيئاً إلاّ والله تعلم أنّه حقّ ، وسأنزع لك البيّنة من كتاب الله، وسأخبرك خبر عثمان ـ ﷺ ـ الذي طعنّا فيه .

ويمضي ابن إباض في إتّهام عثمان ﷺ بأنّه حاد عن كتاب الله تعالى، وبعد اتّهامه لسيّدنا عثمان ﷺ ، ينصح عبد الملك بأن يلتزم بما جاء في كتاب الله تعالى فيقول :

واعلم أنّ علامة كفر هذه الأمة إذا تركوا الحكم بما أنزل الله فحكموا بغير ما أنزل الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [5] ﴾ ،

---

[1] ـ صالح، عمر بن الحاج محمد : دراسة في الفكر الإباضي ، ص ٣٩ .

[2] ـ سورة المائدة، الآية ٤٥ .

[3] ـ سورة المائدة، الآية ٤٧ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

[4] ـ سورة المائدة، الآية ٤٤ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ .

[5] ـ سورة المائدة، الآية ٥٠ .

وقـال ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ [1] ﴾ . فلا يغرّنّك يا عبد الملك بـن مـروان عـزّ نفسك، ولا تسند دينك إلى الرجـال، فـإنّهم يستدرجون مـن حيـث لا يعلمـون، فـإنّ أملـك الأعمال خواتيمها، وكتاب ا لله جديد أبداً، لا ينطق إلاّ بالحقّ، أجارنا ا لله باتّباعـه أن نبغـي أو نضلّ، فاعتصم بحبل ا لله يا عبد الملك، واعتصم بـا لله يهـدِك إلى صـراط مستقيم، فـإنّ ا لله ﷻ يقول ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ [2] ﴾ وكتـاب ا لله هـو حبـل ا لله المتين، الذي أمر المؤمنين أن يعتصموا به فقال ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ [3] ﴾ .

فأنشدك ا لله أن تتدبّر معانـي القرآن فتكون معتدّاً بـــه ، مخاصمـاً بـه، قـال ا لله عزّ وجلّ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ [4] ﴾ .

وبعد أن فنّد الرأي القـائل إنّ انتصـار معاويـة ﷺ ، دليـل علـى انسـجامه مـع شريعة ا لله سبحانه وتعالى، وإنّ كثيراً ما ينتصر غير ذوي الحقّ، وغـير ذوي الإيمـان، مثـل الذي حاجّ إبراهيم في ربّه، وفرعون، والمشركين من قريش في غزوة أحد، ويردّ على عبــد الملك الذي نعته وأتباعه بالغلوّ بالدين فيقول :

وكتبت إليّ تحذرنـي الغلوّ في الديـن ، أعوذ با لله من الغلو، وسأبيّن لك ما الغلوّ في الدين الذي جهلته، والغلوّ في الدين أن يقال على ا لله غير الحق، ويعمل بغير كتاب ا لله الذي بيّن وسنّة نبيه الـتي سـنّ . وقـال ا لله ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ [5] ﴾ .

ويدافع عن رأي الخوارج في ما ذهبوا إليه من آراء ، وأنّ ما يعتقدونه هو سـبيل الحقّ والصواب، فيقول :

---

(1) ـ سورة الجاثية ، الآية ٦ .

(2) ـ سورة آل عمران ، الآية ١٠١ .

(3) ـ سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

(4) ـ سورة محمد ، الآية ٢٤ .

(5) ـ سورة النّساء ، الآية ١٧١ .

وكتبت إليّ تعرّض بالخوارج، وتزعم أنّهم يغلون في دين ا لله، يتبعون غير سبيل المؤمنين، ويفارقون أهل الإسلام، وأنا أبيّن لك سبيلهم. هم أصحاب عثمان ـ رضي الله عنه ـ الذين أنكروا عليه ما أحدث من بدعة، وفارقوه حين ترك حكم ا لله. وهم أصحاب الزبير وطلحة ـ رضي الله عنهما ـ حين نكثا ، وأصحاب معاوية ـ رضي الله عنه ـ حين بغى ، وأصحاب عليّ ـ رضي الله عنه ـ حين بدّل كتاب ا لله، وحكّم عبد ا لله بن قيس وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ فهم فارقوا هؤلاء كلّهم . وأبوا أن يقرّوا بحكم البشر دون حكم ا لله. فهم لمن بعدهم أشدّ عداوة وأشدّ مفارقة. كانوا يتولّون في دينهم سنّة نبي ا لله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويدعون إلى سبيلهم ، ويرضون على ذلك ، كانوا يخرجون وإليه يدعون ، وعليه يفارقون ، وقد علم من عرفهم وعرف حالهم أنّهم كانوا أحسن عملاً وأشدّ قتالاً في سبيل ا لله.

وبيّن رأي الخوارج النهائي بقوله : هذا خبر الخوارج، شهد ا لله والملائكة أنّا لمن عاداهم أعداؤنا، ولمن والاهم أولياؤنا بألسنتنا وأيدينا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا، ونموت عليه إذا متنا، ونبعث عليه عند ربنّا [1] .

ـ موقف الإباضيّة من المسلمين :

نتبيّن من هذه الرسالة أنّ موقف الإباضيّة من المسلمين هو التالي :

١ ـ المسلم المؤمن هو الذي يطبّق تعاليم الإسلام بلا إفراط كما غلا ابن الأزرق، ولا تفريط في حقّ ا لله كما فعل بنو أميّة.

٢ ـ التبرّؤ من ابن الأزرق لغلوّه وافراطه وتشدّده في الأحكام، حين حكم على كل مسلم مخالف لرأيه بأنّه مسلم مذنب بكفر الشرك .

---

[1] ـ أنظر، ١ ـ البرادي : الجواهر المنتقاه ، ص ١٥٦ ـ ١٦٧ .
٢ ـ الحارثي : العقود الفضية ، ص ١٢٣ ـ ١٣٨ .
٣ ـ النجّار، عامر: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج،ص ١٢٩ ـ ١٣٧ .
٤ ـ الشكعة ، مصطفى : إسلام بلا مذاهب، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط ١٠، ١٩٩٤ .

٣ ـ التبرّؤ صراحة من الخوارج ـ الأزارقة ـ الذين أخطأوا في التأويل فحكموا على مرتكب الكبيرة بالشرك الأكبر، واستحلّوا دماء المسلمين وأموالهم، أمّا الإباضيّة فحكموا على مرتكب الكبيرة بكفر النفاق والنعمة .

٤ ـ حدث تغيير في الحكم الإسلامي في آخر خلافة عثمان ﵁ ، وقد اعترض بعض الصحابة على هذه السياسة .

٥ ـ أخطأ عليّ بن أبي طالب ﵁ برفضه قرار التحكيم، وعدم اعترافه بالخليفة الذي اختاره المسلمون الإباضيّون .

٦ ـ التبرّؤ من كل نظام إسلامي لا يلتزم بتعاليم الإسلام ومضمون ذلك :

أ ـ الالتزام بالشورى في الحكم امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ [1] ﴾ .

ب ـ يتولّى الخلافة أيّ مسلم يتمّ التوافق عليه، ولا تشترط القرشيّة أو العروبة .

ـ مكانة ابن إباض :

تحولت الحركة الإباضيّة مع ابن إباض من حركة تعتمد السيف ، إلى حركة تعتمد الحوار والنقاش والجدل ، تطرح رأيها وتستمع إلى الرأي المضاد .

وأبرزت مراسلات عبد الله بن إباض مع عبد الملك بن مروان مكانته في المجتمع الإسلامي، وجعلته ندّا للخليفة الأموي، فأطلق على أتباع الحركة التي تطلق على نفسها " أهل الاستقامة [2] " اسم الإباضيّة، وهذه التسمية " جاءتنا من مخالفينا فقبلناها غير متبرّمين منها [3] ".

---

[1] ـ سورة الشورى ، الآية ٣٨ .

[2] ـ ابن شامس ، سالم بن حمود : إزالة الوعثاء في أتباع أبي الشعثاء ، ص ٢٦، شرح سيدة إسماعيل كاشف، القاهرة ، سجل العرب، ١٩٧٩ .

[3] ـ ابن شامس : المصدر السابق ، ص ٤٩ .

وكـان أسلـوب الحوار الذي نهجه ابـن إبـاض هـو الوسـيلة الناجعـة للمحافظـة علـى " التـواجـد الإبـاضـي فـي وسـط مفعـم بـالخلاف كثيـر الفـتن، لا يرحـم فيـه أصحـاب السلـطة كـلّ مـن شـذّ عـن الـرأي الـعـام الـذي تسيطـر عليـه الأسـرة الأمـويّـة [1] ".

وأصبح ابن إباض الذي ، لم يدعُ في مراسـلاته عبـد الملـك بلقـب الخلافـة ، في نظر أتباعه " المجاهد علناً المناضل علناً في سبيل تحقيق الحقائق وتصحيح قضايا العقول، فيما أحدثه أهل المقالات والبدع من الزور والافتراء في شريعة ربّنا، وكان شديداً في ا الله تعالى، ولـه مناظـرات مع أهل التنطّس والتفلسف، كان الحجّة الدافعـة الـتي يخنـس أمامهـا كلّ ثرثار [2] ".

هذه النظرة الإباضيّة إلى ابن إباض، إضافـة إلى حمايـة قبيلـة تميـم ، إحـدى أهـم قبائل البصرة، لم يسمح للولاة " أن يتعرّضوا له بـأذى خوفـاً مـن إغضـاب قبيلتـه، كـبرى القبائل بالبصرة آنذاك في القـرن الأوّل الهجـري [3] "، وجعلـت مـن ابـن إبـاض شـخصيّة سياسيّة بارزة .

لكن ضغط الحجّاج على المنـاوئين للدولـة الأمويّـة، جعـل ابـن إبـاض ينـزع إلى الكتمان، وبخاصّة بعد ثورة عبد الرحمن بـن الأشـعث، بعـد أن انضـمّ إليـه جميـع المنـاوئين للدولة الأمويّة عام ٨٢ هـ / ٧٠١م والـتي استمرت حتّى عـام ٨٥ هــ /٧٠٥م. و لم تهـدأ الثورة إلاّ بقتل عبد الرحمن بن الأشعث [4] .

---

[1] ـ جهلان، عدون : الفكـر السياسـي عنـد الإباضيّـة مـن خـلال آراء الشيخ محمـد بـن يوسـف اطفيـش ، ص ٣٣ ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ، ط ٢ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

[2] ـ معمر، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

[3] ـ الجعبيري ، فرحـات : دور المدرسـة الإباضيّـة في الفقـه والحضـارة الإسـلاميّة ، ص ٥٣٢ ، نـدوة الفقـه الإسلامي ، جامعة السلطان قابوس ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

[4] ـ أنظر ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٠٢ ـ ٢٢٦ .

والشدّة التي مارسها الحجّاج على المناوئين للسياسة الأمويّة جعلته يقتل على الظنّة، ممّا حدا بالمناوئين إلى التفرّق وذلك " لما انهزم أصحاب عبد الرحمن "بالجماجم "، نادى منادي الحجّاج: من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن، وكان قد ولاّه الرَّيَّ، وسار إليه، فلحق به ناس كثير، وكان منهم الشعبي [1] ".

ولا شكّ أنّ من لم يستطع الخروج استتر، ومن هنا فلم نعد نسمع عن الحركة الإباضيّة شيئاً حتى بعد وفاة الحجّاج .

وعندما نعرف أنّ الحجّاج كان " يقتل بمن أطاعه من عصاه، وقيل: أحصي من قتله الحجّاج صبراً فكانوا مائة ألف وعشرين ألفاً (٢) ". يتبيّن لنا أنّه لا مجال لجدالٍ أو تحرّك سياسي. ولهذا السبب لا ندري بالتحديد السنة التي توفّي فيها عبد الله بن إباض أو خليفته الحارث بن مزيد . وتقرّ المصادر الإباضيّة بأنّها لم تطّلع " على تاريخ ولادته ولا وفاته[3] "، إلاّ أنّ مصادر أخرى ترجّح وفاته عام ٨٦ هـ /٧٠٦م [4] .

ـ أبو عبيدة التميمي :

إنّ عدم تحديد تاريخ وفاة الحارث بن مزيد ، لا يسمح لنا بتحديد إمامة أبي عبيدة بن أبي كريمة، الذي بدأ بتنظيم الحركة بعد موت الحجّاج عام ٩٥ هـ /٧١٤م. والذي أحسن التحرك ضمن الهامش الذي كانت تسمح به الظروف والأوضاع السياسيّة، فدرّس في مجالس سريّة في سرداب ، وجعل فيه سلسلة وطفق يعمل القفاف

---

[1] ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ٢٢١ .

[2] ـ ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

[3] ـ الحارثي : العقود الفضيّة ، ص ١٣٨ .

[4] ـ أنظر ، عزب ، محمد زينهم . وعوض ، أحمد عبد التواب : دراسة في تاريخ الإباضيّة وعقيدتها ، هامش ص ٥ ، القاهرة ، دار الفضيلة ١٩٩٤ .

بباب السرداب ، فمتى رأى شخصاً مقبلاً حرَّك السلسلة فسكتوا، فإذا انصرف حرَّكها فيأخذون في دراستهم [1] .

ـ المجالس السرّيّة :

يذكر خليفات أنّ المجالس السرّيّة التي كانت موجودة زمن أبي عبيدة التميمي ثلاثة أنواع [2] :

- **ـ النوع الأوّل :** المجالس العامة، وهي التي لم تكن مقصورة على جماعة معينة، بل إنّ دخولها مباح لأيّ شخص من أهل الدعوة، وكان الأعضاء يرتادون هذه المجالس التي تعقد سرّاً في بيت أحد المشايخ، وفي سراديب أرضيّة أعدّت لهذا الغرض، وفي بعض الأحيان كانوا يعقدون هذه المجالس في بيوت النساء العجائز أو في بيوت الكرّائين تجنّباً للشبهات وامعاناً في الحيطة والحذر .

- **ـ النوع الثاني :** مجالس المشايخ ويحضرها زعماء الإباضيّة فقط ، وفي هذه المجالس تقرّر السياسة التي يجب على أهل الدعوة اتّباعها . وكان مجلس المشايخ عبارة عن مجلس تخطيط وتنظيم لحركة ثوريّة سريّة ، ولا يجوز لأحد غير الإمام وكبار المشايخ حضور هذه المجالس .

- **ـ النوع الثالث :** وهو ما يمكن أن نسميه باسم مجالس أو مدارس حملة العلم، حيث كان الدعاة من مختلف الأمصار يتلقون العلم وأصول الدعوة الإباضيّة وتعاليمها مباشرة عن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الذي أقام مدرسة سريّة لهذه الغاية في سرداب أرضيّ لا يعرفه إلاّ الدعاة ، والشيوخ البارزون .

---

[1] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٢٠ .

[2] ـ أنظر ، خليفات : نشأة الحركة الإباضيّة ، ص ١٠٦ ـ ١٠٨ .

استنتج خليفات هذا التقسيم للمجالس السرّية، دون أن يكون لديه دليل واضح من كتاب طبقات المشائخ للدرجيني الذي اعتمد عليه [*] .

ويبدو أنّ هذا التقسيم اعتمدته الحركة الإباضيّة في المغرب بعد تنظيم العزابة في القرن الخامس الهجري .

ـ دور أبي عبيدة في تنظيم الحركة الإباضّية :

تذكر المصادر الإباضيّة أنّ أبا عبيدة كان من تلاميذ جابر بن زيد [1] " أخذ العلم من جابر بن زيد وزملاء جابر [2] ". والنصوص التي بين أيدينا لا توحي بأن أبا عبيدة كان "من أبرز تلاميذه ـ جابر ـ وأكثرهم علما [3] ". وإنّما كان يستمع إلى دروسه كبقيّة الإباضيّة الذين لم يقف منهم الموقف المعارض. والروايات التي يذكرها الدرجيني توضح أنّ أبا عبيدة لم يكن على علم كاف بفقه جابر بن زيد، ومن ذلك :

١ ـ حدّث أبو سفيان قال كان أبو عبيدة يضعّف أمر الشفعة ويقول لا تحبس على اليتيم حتّى يكبر ولا على غائب. "قال فابتلي بها رجل من أصحابه فجاءه يسأله فقال إذهب إلى أشياخ البصرة فاسأل هل فيها لجابر أثر، فجاء إلى منزل المحضر، فأخبر أنّ جابرا كان يراها ويوجبها فأمرهم أن يأخذوا بقول جابر [4] ".

---

[*] ـ صدر كتاب نشأة الحركة الإباضية عام ١٩٨٢، بينما كتاب طبقات المشائخ طبع عام ١٩٧٤ في الجزائر وفي بيروت ، ونستغرب كيف لم يعتمده خليفات من ضمن مراجعه ، واعتمد على مخطوط للكتاب في دار الكتب المصرية دون أن يذكر رقمه كبقية المخطوطات الإباضيّة التي اطّلع عليها في دار الكتب المصريّة .

(أنظر ، خليفات : نشأة الحركة الإباضيّة ، ص ١٨١) .

[1] ـ أنظر ، الشماخي : السير ، ج ١ ، ص ٧٨ .

[2] ـ الحارثي : العقود الفضيّة ، ص ١٣٩ .

[3] ـ جهلان ، عدون : الفكر السياسي عند الإباضيّة ، ص ٣٨ .

[4] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

٢ ـ لم يكن أبو عبيدة المرجع الأوّل في الفتيا لما يحكيه " المليح قال : دخلت أنا وعبد الملك الطويل على أبي عبيدة وقلنا : يا أبا عبيدة، ما تقول في رجل دخل على امرأة فأدخل يده من تحت ثيابها فنهضت المرأة فأنكرت ذلك إنكار الحرة أله أن يتزوّجها : قال لا، قال فبينما نحن عنده إذ دخل أبو نوح صالح الدهان فقلنا مَنْ يسأله ؟ قال الفضل بن جندب أنا أسأله، قال فسأله الفضل، فقال : نعم له أن يتزوّجها ويعطيها ماله إن شاء ، فقال له أبو عبيدة إنّها الفروج يا أبا نوح، قال : صدقت، ثمّ قال أبو نوح، يا معشر الفتيان، ألم أنهكم أو قال إنّي أنهاكم أن تسألوني إن كان أبو عبيدة حاضراً [(١)] ".

فلو كان أبو عبيدة المرجع الأوّل في الفتيا لما تجرّأ الحضور على إعادة طرح السؤال من جديد ، وأمام أبي عبيدة، بعد طرحه على أبي عبيدة !

كان أبو عبيدة يمتاز بعقليّة تنظيميّة، وتجلّت هذه العقليّة في الأمور التالية :

١ ـ الاعتماد على فقه جابر بن زيد واعتباره المرجع في الأمور الفقهيّة لأنّه كان محايداً ويوثق به لوقوفه إلى جانب أبناء قبيلته من الأزد الإباضيّة، الذين تعرّض لهم الحجّاج .

٢ ـ إتّخذ من موسم الحجّ وسيلة لنشر المذهب الإباضي، وجعل خيم أتباعه مدارس متنقّلة لنشر المذهب الإباضي، ومجالس لدراسة أفضل الوسائل للدعوة إلى مذهبهم .

٣ ـ تطبيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين أتباعه ، يقول أحد الإباضيّة "سمعت بعض مشايخ مَنْ أدركت يقول : إنّا لنذكر إذا دخل شعبان أن كان الفقراء من

---

(١) ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

المسلمين لتأتيهم الأحمال بالسويق والتمر، وما يصلحهم لشهر رمضان ولا يعلمون من بعث بها، يأتي الرجل بالجمّال حتّى يقف على باب الدار، فيقول : أدخل ، فيكتب في خرقة كلوا وأطعموا [1] ".

٤ ـ إعادة الحركة الإباضيّة إلى واجهة الحياة السياسيّة، عندما أرسل إلى الخليفة عمر ابن عبد العزيز (٩٩ هـ /١٠١م) (٧١٩م/٧٢١م) وفداً إباضيّاً بقيادة جعفر بن السماك وسالم الهلالي لمناقشته في أمر الخلافة [2] فأعاد بذلك للإباضيّة الدور الذي كانوا يتمتّعون به إبّان إمامة عبد الله بن إباض .

٥ ـ الحرص على تهدئة أتباعه باقناعهم أنّه لا يمكن " أن يخرج من ضواحي البصرة لإقامة إمامة مستقلّة في ضاحية من ضواحي البصرة كما فعل نافع بن الأزرق وأتباعه[3] ". لأنّ ذلك يؤدّي إلى صراع مع الدولة الأمويّة المتفوّقة عدداً وعدّة .

٦ ـ العمل على نشر الدعوة الإباضيّة خارج البصرة عن طريق التجار بهدف إقامة إمامة مستقلّة في منطقة بعيدة عن سلطة الخلافة المباشرة [4] .

وغدت البصرة المركز الإشعاعيّ لنشر الدعوة الإباضيّة وإعداد الدعاة إلى كافّة الأمصار الإسلاميّة [5] .

٧ ـ استطاع أبو عبيدة أن يجمع حوله الأتباع لما عرف عنه كما تقول المصادر الإباضيّة من الزهد في الدنيا والتواضع مع نيل الدرجات العليا والاعتراف بضيق الباع على ما عليه من الاتساع [6] .

---

[1] ـ الشماخي : السير ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

[2] ـ أنظر ، LEWICKI: Encyclopedie de l'Islam, p 671.

[3] ـ LEwicki : المرجع السابق ، ص 671 .

[4] ـ أنظر ، الشماخي : السير ، ج ١ ، ص ٧٩ .

[5] ـ أنظر ، أبو زكرياء : كتاب سير الأئمة ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

[6] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

وانتشر الفكر الإباضي في الأمصار الإسلاميّة بفضل نشاط الدعاة واخلاصهم لمبدئهم . ونجح دعاة الإباضيّة في جعل المغرب العربي مركزاً مشعاً للدعوة الإباضيّة .

ـ الإباضيّة في المغرب :

استغلّ الهاشميّون والخوارج حالة السخط ضد الدولة الأمويّة، وسعوا إلى "تأليب الجماعة الإسلاميّة ضدّ الحكم الأموي، فبينما اتّجه الهاشميّون بدعوتهم نحو الشرق من فارس وخراسان، عمد الخوارج إلى بثّ دعاتهم في بلاد المغرب [*] التي كانت إذ ذاك ميداناً خصباً لنقل مبادئهم [1] ".

وكان أهل إفريقية يظهرون الاستياء من شدّة بطش الولاة، ورغم عدم الرضا، فإنّه لم يكن للخلافات السياسيّة في المشرق أدنى تأثير، "بل كانوا يصدّون عنها ويمنعونها أن تصل إليهم، مع أنّ الثوّار لا ينفكّون عنهم، ولا عن دعوتهم إلى الانضمام إليهم، والانقلاب على بني أميّة . لكنهم كانوا يردّون عليهم بأنّهم لا يخالفون أئمّتهم بما يجني العمّال، ولا يحملون وزر ذلك عليهم، هذا قولهم ونحن لا نريد مخالفتهم حتّى قبورهم، لذلك أجمعوا أن يبعثوا وفداً إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك يرفع إليه ظلامتهم، ويطالب بإنصافهم .

---

[*] ـ لفظ المغرب يطلق في عرف أهله على ناحية من الأرض معروفة بعينها، يحدها من جهة الغرب المحيط الاطلانطيقي إلى الإسكندرية ومصر فبرقة خارجة عن بلاد المغرب بهذا الإعتبار. وبلاد طرابلس وما دونها إلى البحر المحيط داخله فيه. ويحدّها من جهة الشمال البحر الرومي المعروف بالبحر الأبيض المتوسّط ، ومن جهة الجنوب جبال الرمل الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد البربر، وهي المعروفة عند علماء الجغرافيا بالصحراء الكبرى وتعرف عند العرب الرحالة هناك بالعرق وكانت هذه البلاد قديماً تسّمى بلاد البربر .

(أنظر ، سرهنك ، الميرالاي إسماعيل : تاريخ دول المغرب ، ص ١٠، تقديم ومراجعة حسن الزين، بيروت، دار الفكر الحديث ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

[1] ـ عبد الرزاق، محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرابع الهجري، ص ٣١، الدار البيضاء (المغرب) ، دار الثقافة ، ط ٢ ، ١٩٨٥ .

ولكنّهم لما وصلوا دمشق طلبوا الدخول إلى هشام ، وانتظروه سنة كاملة وهو لا يجيبهم حتّى يئسوا من لقائه وأتوا الأبرش وزيره ، وقدّموا له عريضة ذكروا فيها شكواهم ، ولّما عادوا إلى ديارهم انتحلوا مذهب الصفريّة وبايعوا ميسرة بن المطغري (*) بالخلافة ، وتعاهدوا على قتال العرب ككفّار ومرتدّين عن الإسلام . وقاموا يدعون البربر للثيار فتداعوا إليهم من كلّ صوب مسلمهم وكافرهم[1]".

وإن كانت المصادر تتفّق على أنّ بعض ولاة بني أميّة في الشمال الإفريقي كانوا يعاملون البربر "معاملة الرعايا الملزمين بأداء الجزية، على الرغم من كونهم مسلمين صالحين ومقاتلين متحمّسين في الحرب المقدّسة ـ الجهاد ـ وهكذا وجد رسل الخوارج المقبلون من العراق إلى إفريقية النفوس مستعدّة لتلقّي تعاليمهم فحرّضوا البربر على الخليفة الأموي ، وحرّكوهم لرفع راية العصيان [2] ".

(*) ـ ميسرة المطغري (ت ١٢٢هـ/ ٧٣٩م) كانت ثورة البربر بالمغرب عام ١٢٢هـ/٧٣٩م . فخرج ميسرة المطغري رأس الصفريّة على عمر بن عبد الله المرادي والي طنجة فقتله، وثارت البرابر كلّها مع أميرهم ميسرة، وكان بالمغرب حينئذ قوم ظهرت فيهم دعوة الخوارج، ولهم عدد كثير وشوكة كبيرة، وكان السبب في ثورة البربر، وقيام ميسرة، أنّها أنكرت على عامل ابن الحبحاب سؤ سيرته، فقد كان الخلفاء بالمشرق يستحبّون طرائف المغرب، ويبعثون فيها إلى عمّال إفريقية فيبعثون لهم البربريّات السنيّات . لكنّ البربر أنكرت على ميسرة سؤ سيرته ، فقتلوه بعدما بويع بالخلافة .

(أنظر ، ١ ـ الرقيق ، أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٧٣ ـ ٧٥ ، تحقيق عبد الله العلي الزيدان ، وعزّ الدين موسى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠ .

٢ ـ ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١ ، ص ٥٢ ـ ٥٤ ، تحقيق ومراجعة ج. س كولان، وأ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة ط ٣ ، ١٩٨٣) .

[1] ـ الثعالبي ، عبد العزيز : تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبيّة ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

[2] ـ بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الإسلاميّة ، ج ١، ص ١٩٢، نقله إلى العربيّة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين، ط ٣ ، ١٩٦٠ .

لكنّ الواقع التاريخي يؤكّد أنّ الـولاة لم يفرّقـوا في المعاملـة بين عـرب وبربـر في فـرض الأمـن والنظام، حتّى أنّ العرب استصرخوا هشام بن عبد الملك لإنقاذهم من بطش عبيدة بن عبد الرحمن [*] .

ويـذكر ابن الأبّار أنّ أبا الخطّار بن ضرار الكلبي [**] أحد زعماء اليمنيّة اشـتكى إلى هشام بن عبد الملك من سؤ معاملة الولاة وكتب إليه يقول :

أفـادت بنـو مروان قيسـا دماءنا	وفي ا لله، إن لم يعدلوا حكم عـدل
وقينـاكـم حـرّ القنـا بصـدورنا	وليـس لكم خيـل سوانـا ولا رحل
فلمّـا بلغـتـم نيـل مـا قـد أردتـم	وطابت لكم فيها المشارب والأكل
تغافلتـم عنّا كـأن لـم نكـن لكم	صديقاً وأنتم ما علمتم لنا وصل[1].

بدأت قسوة الولاة إبّان ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي، الـذي تـولى إمـارة إفريقيـة عـام ١١٠هـ /٧٢٨م ، وبعـد الظهـور النشيط للحركـة الإباضيّـة والصفريّـة في الشمال الإفريقي. و لم تذكر لنا الدراسات التاريخيّة التـاريخ الدقيـق لظهورهـم في الشـمال الإفريقي، ولكنّ المسار التاريخي يظهر أنّهم ظهروا بعد " ستين سنة علـى أقـلّ تقدير قـد مضت على تاريخ ظهورهم بالمشرق [2] ".

تذكـر المصادر الإباضيّة على لسان عبد الرحمن بن رستم، أنّ أوّل داع لمذهـب الإباضيـة ونحن بالقيروان سلامة بن سعيد، قدم علينا من أرض البصرة، ومعه عكرمة مولى ابن عبّـاس متعقبـين على بعير، فسلامة يدعو إلى مذهب الإباضيّة وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفريّة [3] .

---

[*] ـ عبيدة بن عبد الرحمن والي إفريقية عام١١٠هـ/ ٧٢٨م، وعزله هشام بن عبد الملك في شوّال عام ١١٤هـ/٧٣٢م. (أنظر، الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٦٨ ـ ٧٠) .

[**] ـ أبو الخطار الكلبي ولي إمـارة الأندلس عـام ١٢٥هـ / ٧٤٢م وعـزل عـام ١٢٨هـ / ٧٤٥م ، لتعصّبه لليمانيّة وتفضيلهم على المضريّة .

(أنظر ، ابن الأبّار ، أبو عبد ا لله محمـد بن عبـد ا لله : كتـاب الحلّـة السـيراء ، ج ١، ص ٦٤ ـ ٦٥، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية ١٩٦٣) .

[1] ـ أنظر ، الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

[2] ـ المجذوب، عبد العزيز: الصراع المذهبي بإفريقية، ص ٢٠، تونس، الدار التونسية للنشر، ط ٢ ، ١٩٨٥ .

[3] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ، ج ١ ، ص ١١ ـ ١٢ .

٢ ـ أبو زكرياء : كتاب سير الأئمّة ، ص ٧١ .

ويستوقفنا هذا النّص في عدة قضايا :

- **أوّلاً** : يذكر النصّ أنّ سلامة بن سعيد أقـام بالقـيروان، بينمـا يذكـر خليفـات أنّـه " بعـد وصول سلامة بن سعيد الحضرمي وعكرمة إلى بـلاد المغـرب افترقـا، واتّخـذ كـلّ منهما مقراً يدعو فيه لمذهبه، فقد نزل عكرمة في مدينة القـيروان، وأخـذ يتّصـل بزعماء البربر من مختلف القبائل، وكان يدعو لمذهبه سرّاً، ويبـدو أنّـه ركّـز معظـم جهوده على قبائل البربر القاطنة في المغرب الأقصـى ، بينمـا ركّـز سـلامة جهـوده على قبائل المغرب الأدنى ، ولعلّ ذلك كان باتّفاق مسبق بينهما [١] ".

- **ثانياً** : يذكر المالكي أنّ أبا عبد الله عكرمة مولى عبد الله بن عبـاس ﷺ،كـان عالمـاً مـن أهل السنّة والجماعة " أقام بالقيروان وبثّ بها العلم، وكان مجلسه في مؤخر جـامع القيروان... وتوفّي سنة خمس ومائة وهو ابن ثمانين سنة، توفّي هو وكثيّر عزّة في يوم واحد، وصلّي عليهما جميعاً، فقيل مات أشعر الناس وأعلم الناس[٢] ".

- **ثالثاً** : لا نؤيّد الآراء التي تعتقد أنّ عكرمة كان صفريّاً للمعطيات التالية :

أ ـ إنّ عكرمة كان مولى عبد الله بن عباس ﷺ، الذي كان مناصراً لعليّ بـن أبـي طالب ﷺ، وعكرمة كان يحمل علم ابن عبّاس ﷺ، فقـد أورد ابـن سـعد أنّـه عندما "مات ابن عبّاس وعكرمة عبد، فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من علـيّ ابن عبد الله بن عبّـاس بأربعة آلاف دينـار فبلـغ ذلـك عكرمـة فقـال : بعتـني بأربعة آلاف دينار؟ قـال نعم ، قال أمّا أنّه ما خير لك، بعت علم أبيـك بأربعة آلاف دينار؟ فراح عليّ إلى خالد فاستقاله فأقالـه فأعتقـه [٣] ". وعلـم ابـن عبّاس يخالف آراء كلّ الفرق المخالفة والخارجة على عليّ بن أبي طالب ﷺ .

---

[١] ـ خليفات : نشأة الحركة الإباضيّة ، ص ١٣٤ .

[٢] ـ المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد : كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهّـادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ج ١ ، ص ١٤٦، حققـه بشـير البكّـوش، راجعـه محمد العروسي المطوي، بيروت،دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

[٣] ـ ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٢٨٧ .

ب ـ عاصر عكرمة قبل وفاته، والي إفريقية يزيد بن أبي مسلم ، الذي وُلي إفريقية عام ١٠٢هـ / ٧٢٠م. وكان شديداً لم يسمح لأهل البدع من الإقامة بالقيروان. وبلغ من احترازه أنّه قام على المنبر خطيباً، فقال : "إنّي رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها، فأرسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره حرسي ليعرفوا بذلك بين سائر الناس، فإذا وقفوا على أحد، أسرع لما أمرت به، فلمّا سمعوا ذلك منه، أعني حرسه، اتّفقوا على قتله، وقالوا : جعلنا بمنزلة النصارى، فلمّا خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاّه [1] ".

وعاصر أيضاً بشر بن صفوان (ت ١٠٩هـ / ٧٢٧م) الذي تولّى أمر إفريقية بعد يزيد بن مسلم، وأعمل السيف في أعداء بني أميّة [2] . ولم يسمح هؤلاء الولاة لمن خالفهم من العلماء أن يدرّس في المسجد الجامع في القيروان .

ج ـ يدعو المذهب الصفريّ إلى إمامة وفق تصوراته التي تخالف التصوّر الإباضيّ [3] . وهذا ما حدث في الشمال الإفريقي حيث قامت الدولة الصفريّة في سجلماسة، وهي دولة بني مدرار عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م ودولة أخرى للإباضيّة ، هي الدولة الرستميّة في تاهرت عـ ١٦١هـ/ ٧٧٧م [4] .

وواقع الحال لا يقبل أن يترافق الاثنان في سفر طويل، وهما داعيتان لإمامتين، إحداهما تخالف الأخرى .

---

[1] ـ ابن عذاري : البيان المغرب، ج ١ ، ص ٤٨ .

[2] ـ أنظر، ١ ـ الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

٢ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨ .

[3] ـ أنظر ، الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٢١ ـ ١٢٣ .

[4] ـ أنظر ، عبد الرزاق ، محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب ، ص ١١٢ ـ ١٥٣ .

د ـ كان أبو عبيدة إمام الإباضيّة في البصرة، يتوخّى الحيطة والحذر والسريّة في كلّ تصرّفاته، ويفرض هذا النهج على أتباعه حتّى لا تعرف تحركاتهم، وبلغت هذه السريّة حدّاً جعلت داعية إباضيّاً يردّ ابن عمه الإباضي، حتّى لا يحضر اجتماعاً خاصّاً، ويعلم ما يدور فيه من نقاش . يروي الدرجيني أنّ " شعيب بن عمر من أفاضل الفتيان يومئذ، وكانت أخته تحت الحاجب ، قال فجاءه تلك الليلة فأخبر به حاجب، فقال ردُّه، قالوا له : يا أبا مودود، سبحان الله جاء من السماح في هذه الساعة وتردّه، فقال ردّوه، فردّوه. قال وكان بين منزله ومنزل حاجب ثلاثة أميال [1] ".

لم يسمح حاجب الإباضي لابن عمه حضور الاجتماع، فكيف يتوجّه داعية إباضيّ وآخر صفريّ معاً إلى المغرب، وعلى جمل واحد للدعوة لإمامتين مختلفتين .

هـ ـ كانت الحركة الإباضيّة تحرص على التخفّي خوفاً من مداهمة وملاحقة ولاة بني أميّة ، وكانوا " ذات مرة في عهد زياد أو ابنه أتاهم الخبر بأنّ الخيل تريدهم، قال فخرجوا مسرعين، وتركوا نعالهم على باب البيت . الذي كانوا فيه، قال فجاء الشرط فنظروا إلى النعال ؟ فقالوا للعجوز صاحبة البيت، ما هذه النعال ؟ قالت مكاتب لنا يسأل الناس فيعطى النعال وغيرها. قالوا تا لله ما ذلك كما ذكرته وأنّ بهذا الموضع ريبة، قال فقال بعضهم : ويحكمُ قد ذكرت العجوز ما ذكرت فلا تعرّضوها للبلاء، فلعلّها تكون صادقة... وبلغني أنّهم كانوا يأتون المجالس أيّام زياد وابنه في هيئة النساء في النقاب وغير ذلك، يتشبّهون بالنساء ، قال وإن كان أحدهم ليحمل على ظهره جرّة بماء ، أو يحمل جملة متاع كأنّه بيّاع، حتّى يدخل المجالس لا يدعونها لشيء [2] ".

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

[2] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

لا يسمح تنظيم يتّخذ مثل هذه الاجراءات الاحترازية أن يدع أحد أتباعه الذي سيحمل أعباء الدعوة أن يتوجّه إلى الشمال الإفريقي مع شخص يخالفه الرأي والتصوّر .

و ـ التناقض في رواية الدرجيني، ففي حين يروي على لسان عبد الرحمن بن رستم أنّ أوّل داعية لمذهب الإباضيّة في القيروان هو سلامة بن سعيد، يعود ويروي أنّ سلامة بن سعيد استقرّ في جبل نفوسه في منطقة طرابلس وأخذ يدعو لمذهبه بين قبائل هوارة البربريّة التي كانت تسكن في تلك المنطقة [1] .

هذا التناقض في الرواية، يجعل قدوم سلامة بن سعيد مع عكرمة مولى ابن عبّاس إلى المغرب أمراً بعيداً عن الواقع والحقيقة .

ز ـ وإذا كنّا نسلّم أنّ سلامة بن سعيد قد وصل إلى المغرب مع عكرمة مولى ابن عبّاس ﷺ ، فهذا يعني أنّ وصول الرجلين كان قبل عام ١٠٥هـ /٧٢٣م ، وهو عام وفاة عكرمة في القيروان .

وإذا كانت المصادر ترجّح وصولهما ما بين عامي ٩٥هـ / ٧١٣م . و١١٠هـ/٧٢٨م [2] . فإنّ من المرجّح أن تكون الصحبة لرفقة أتراب، ومن غير المعقول أن يسافر داعية إلى بلاد نائية، وهو ما بين السبعين والخامسة والسبعين من العمر ، بل يفترض أن يكون شابّاً نشيطاً يستطيع التحرّك والتنقّل بسرعة ونشاط .

---

(1) ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٢ .
٢ ـ خليفات : النظم الاجتماعيّة والتربويّة ، ص ١٧ .

(2) ـ أنظر ، ١ ـ المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٤٦ .
٢ ـ البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٢٨٤، بغداد ، مكتبة المثنّى، د.ت .

رحل سلامة بن سعيد وحيداً إلى الشمال الإفريقي، وتؤهّله قوّة شخصيّته وشجاعته المستشفة من عبارته التي قالها في إفريقية " وددت أن لو ظهر هذا الأمر، يعني مذهب الإباضيّة، يوماً واحداً من أوّل النهار إلى آخره فلا أسف على الحياة بعده[1] "، لأن يقوم بمثل هذه الرحلة .

ويؤكّد علي يحيى معمر بأنّ سلامة بن سعيد " انطلق من جزيرة العرب إلى إفريقية وحيداً منفرداً يقتحم المجاهل ويدخل القفار، ويغشى المجتمعات التي لا تعرف له جنساً ولا لغة، وليس له من سلاح في كلّ ذلك إلاّ ذلك الإيمان الذي غمر قلبه، وتلك المعرفة الشاملة لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين. ولم يمضِ عليه عشر سنوات حتّى كانت دعوته تنتشر ما بين تلمسان [*] وسرت [**] وحتّى كان المذهب الإباضي مذهباً لأغلب السكان في ليبيا وتونس والجزائر [2] ".

ـ انتشار الدعوة الإباضيّة قبل وصول سلامة بن سعيد :

انتشرت الدعوة الإباضيّة في الشمال الإفريقي قبل وصول سلامة بن سعيد، من مصر إلى القيروان، " وتنوّه المصادر الإباضيّة برحلة أوّل مغربي إلى مركز الدعوة بالبصرة،

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٢ .

[*] ـ تلمسان : بكسرتين ، وسكون الميم ، وسين مهملة ، وهما مدينتان متجاورتان مسوّرتان ، بينهما رمية حجر ، إحداهما قديمة والأخرى حديثة ، والحديثة اختطّها الملثمون ملوك المغرب .
(أنظر ، الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، بيروت، دار صادر وبيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .

[**] ـ سرت : بضم أوله وسكون ثانيه ، وآخره تاء مثناة من فوق ، مدينة على ساحل البحر بين برقة وطرابلس الغرب .
(أنظر، الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٠٦) .

[2] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في ليبيا ، ج ١ ، ص ٢٥ .

وأنّى له أن يعرف ذلك لولا وصول الأخبار من قبل، خاصّة أنّ مصر هي الأخرى نالت نصيبها من أثر الدعوة الإباضيّة، وأوّل من يذكر الشماخي من مشايخ المغرب ابن اليسع من أهل مصر، وأبا اسحاق إبراهيم المصري، وعيسى بن علقمة المصري [١] ".

أما المغربيّ الذي رحل إلى البصرة فهو ابن مغطير النفوسي الجناوي " كان شيخاً فاضلاً فقيهاً مفتياً ، كان ممّن أخذ عن أبي عبيدة مسلم ، ثمّ قدم بعده الخمسة المذكورون فانتقل عن الفتيا وقال : إنّي أخذت عن أبي عبيدة و لم يحرّر لي المأخوذ به عنده من الأقوال ، وهؤلاء أخذوا آخراً وقد حرّر المختار عنده من الأقوال [٢] ".

وعندما أراد عبد الرحمن بن رستم الاستزادة من العلم قال له " رجل من أهل الدعوة إن كنت تريد العلم بما كلفّت به، وعلق مطلبه بخاطرك، فدونك أرض البصرة، فإنّ فيها رجلاً عالماً يكنّى أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، فإنّك تجد عنده ما تطلب، فلذلك توجّه عبد الرحمن بن رستم إلى البصرة [٣] ".

ويعني هذا أنّ دعاة الإباضيّة قد رحلوا قبل سلامة بن سعيد إلى المغرب، وكوّنوا مراكز وتجمعات إباضيّة يأتيها باستمرار الدعاة من البصرة حاملين توجيهات الأئمّة الإباضيّين، وخاصّة أنّ أبا عبيدة كان باستمرار يرسل " بعض الدعاة لاستطلاع أحوال الناس في المغرب ومعرفة اتّجاهاتهم ودراسة عاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم، ومقدار تطوّرهم الفكري والحضاري ودرجة ولائهم للسلطة الحاكمة [٤] ". وسلامة بن سعيد من هؤلاء الدعاة، وهو ليس بحاجة إلى دليل أو حماية، فالمراكز الإباضيّة منتشرة من مصر إلى القيروان، وهي التي تتولّى تأمين انتقال دعاتها الذين اعتمدوا السريّة في تنقلاتهم وتحرّكاتهم .

---

[١] ـ الجعبيري ، فرحات : علاقة عُمان بشمال إفريقية ، ص ١٤ ، سلطنة عمان ، معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

[٢] ـ الشماخي : كتاب السير، ج ١ ، ص ١٢٨ .

[٣] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٢ .

[٤] ـ خليفات : النظم الاجتماعيّة والتربويّة ، ص ٧ .

ـ إنتشار الدعوة الإباضيّة بين البربر :

انتشرت الدعوة الإباضيّة بين البربر [*] المناوئين للحكم العربي، وكان لا بدّ أن يكون الدعاة في بلاد المغرب، من غير العرب، حتّى يستجيب البربر لها، ونجح الدعاة في تحقيق أهدافهم في تصوير خلفاء بني أميّة على أنّهم في تصرّفاتهم غير مسلمين وتجب مقاتلتهم [1] .

ـ تنظيم الإباضيّة :

استطاع سلامة بن سعيد تنظيم التجّمعات الإباضيّة في طرابلس "و لم يكد يمضي على دخوله إلى المغرب عشرون سنة حتّى تمكّنت جماعة معتبرة من الإباضيّين في طرابلس يتزعّمها رجل يدعى : عبد الله بن مسعود التجيبي [**] [2] " ـ الذي نشر الإباضيّة بين

---

[*] ـ البربر اسم مأخوذ من لفظ بارباري الذي كان القدماء يسمّون به القبائل العربية، و لم يكن في الأصل، مختصّاً بأمة واحدة، ولفظة بار فاروس اليونانية كلفظة بيبلوس اللاتينيّة مأخوذة من اللفظ أو الصوت الذي يصدره الألثغ، ثمّ صار علما عند اليونان يراد به كلّ من لم يتكلم بلغتهم ولهذا سمّوا إيطاليا بربريا. ثم أطلق الرومان هذه الكلمة على كل الطوائف التي ليست يونانية ولا تليانية .
(أنظر، سرهنك، أميرالاي إسماعيل: تاريخ دول المغرب، ص ١٠) .

والبربر السكان بالمغرب قبائل لا يُلحق عددهم ولا يُوقف على آخرهم، لكثرة بطونهم وتشعّب أفخاذهم وقبائلهم وتوغّلهم في البراري وتبدّدهم في الصحاري. أقواتهم الألبان وفي بعض الأوقات اللحم، وفيهم من الجلد والقوّة ما ليس لغيرهم، وفيهم البسالة والجرأة والفروسيّة على الإبل والخفّة في الجري والشدّة والمعرفة بأوضاع البّر وأشكاله والهداية فيه.

(أنظر، ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي : كتاب صورة الأرض، ص ٩٧ ــ ٩٨، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

[1] ـ يذهب حسين مؤنس إلى إدانة ولاة المغرب وتبرئة ساحة الخلفاء من تصرّفات الولاة المخالفة لتعاليم الإسلام، ويأتي بالأدلّة التاريخيّة والوثائق التي تؤكّد العطف على مسلمي الشمال الافريقي، واستنكار ما يفعل الولاة .
(أنظر، مؤنس، حسين: فتح العرب للمغرب، ص٢٨٩ وما بعدها، القاهرة، مكتبة الآداب ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م).

[**] ـ عبد الله بن مسعود التجيبي : كان رئيس الإباضيّة في ليبيا قتله إلياس بن حبيب عام ١٢٧هـ /٧٤٥م. وكان له طائفة تنتحل اسم الإباضيّة يقال لهم العمريّة ، وهم تبع عيسى بن عمير .
(أنظر، الدرجيني : طبقات المشائخ، ج ١، ص ٤٧ ـ ٤٨) .

[2] ـ العربي ، إسماعيل : مقدمة كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، ص ١٦ .

قبائل البربر من هوارة وزناته في شرق طرابلس - من الثورة على والي طرابلس إلياس بن حبيب . لكنّ الأخير تمكّن من إخماد هذه الثورة وقتل عبد الله بن مسعود التجيبي [1] .

إستقرّ المذهب الإباضي " أوّلاً عند قبائل البربر في منطقة طرابلس عند زناتة، وبخاصة عند نفوسه، التي كانت تقيم على الجرف الصخري الذي يسمّى إلى اليوم باسمها: جبل نفوسة [2] ". وعندما آنس الإباضيّة من أنفسهم القوّة " انتخبوا الإمام الحارث الكندي [*] فقام بالأمر وساس البلاد خير سياسة، فكان أوّل إمام بويع بالمغرب هذا الإمام [3] ".

و لم تستمرّ إمامة الظهور طويلاً، إذ قتل الحارث عام ١٣١هـ . أو ١٣٢هـ . (٧٤٩م أو ٧٥٠م) ، و لم تمضِ سنوات قليلة حتّى عادت البعثة العلميّة [**] من البصرة،

---

[1] - أنظر ، ١ - الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٨٩ - ٩٢ .
٢ - ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٦٠ - ٦١ .
٣ - الجعبيري، فرحات : علاقة عمان بشمال إفريقية ، ص ١٦ .

[2] - Pavard, Claude: Lumières du M'ZAB, p 16, Paris, édidtions delaroisse 1977 .

[*] - الحارث بن تليد، وجد قتيلاً مع صاحبه عبد الجبار بن قيس المرادي، وسيف أحدهما في رقبة الآخر، وحول هذه المسألة نشأ في أصول العقيدة الإباضيّة جدل يدور حول : هل الولاية المعنيّة تنتقل إلى الوقوف أم لا ؟ وهل اليقين يدفعه الشك أم اليقين، إذ ظنّ البعض أنّ أحدهما قتل الآخر .
(أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ، ج ١ ، ص ٢٤ - ٢٥).

[3] - العربي، إسماعيل : مقدمة كتاب سير الأئمة ، ص ٦ .

[**] - رحلت بعثة العلماء إلى البصرة عام ١٣٥هـ/ ٧٥٣م. ومكثت عند الإمام أبي عبيدة مدة خمس سنوات، يتلقّى أفرادها العلم وأصول العقيدة ومنهج الدعوة، وعرفت هذه البعثة باسم حملة العلم ، عادت إلى الشمال الإفريقي عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م . وتتألّف هذه البعثة من :
١ - عبد الرحمن بن رستم بن بهرام : (ت ١٧١هـ/٧٨٧م) مؤسّس الدولة الرستميّة، تولى الإمامة بعد أبي الخطاب بن السمح المعافري اليمني، وتتّفق المصادر الإباضيّة على زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة، واعترف كل إباضي بإمامته.(أنظر،١ - الشماخي : السير، ج ١ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .
٢ - الحموي : معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٨ - ٩ .
٣ - ابن الصغير : تاريخ الأئمة الرستميّين، ص ٢٨ ـــ ٤٢، تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م) .
٢ - أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني : (ت ١٤٤هـ /٧٦١م) رحل إلى البصرة من اليمن، وأمره أبو عبيدة بالتوجّه إلى المغرب، وأن يتولى الإمامة إن آنس الإباضيّة من أنفسهم القوة ، بويع بالإمامة عام ١٤٠هـ /٧٥٨م. واحتلّ القيروان عام ١٤١هـ /٧٥٩م. وعامل أهلها بالحسنى، وعيّن عبد الرحمن بن

←

واجتهدوا في تبليغ الدعوة الإباضيّة ونشر آرائهم القائمة على " المبادئ العامة البسيطة التي يفهمها عامة الناس مع أقرانهم من العرب المسلمين [1] ".

رستم والياً عليهـا، قتل في معركة "تاروغا " عـام ١٤٤هـ /٧٦١م . على يد والي مصر العباسي ابن الأشعث الذي أتى القيروان على رأس جيش لإنقاذها من الإباضيّة .

(أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ، ج ١ ، ص ١٩، ٢٣، ٢٩ .

٢ ـ عبد الرزاق، محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

٣ ـ ابن عذاري : البيان المغرب، ج ١ ، ص ٧٢ .

٤ ـ خليفات : نشأة الحركة الإباضيّة ، ص ١٥٢ ـ ١٥٤) .

٣ ـ عاصم السدراتي (ت ١٤١هـ /٧٥٩م) من سدراته غربي الأوراس، كان من خيار قادة أبي الخطاب، مرض مرضاً شديداً أثناء حصار الإباضيّة للقيروان، فسمع بمرضه أهل القيروان، وأنّه اشتهى القثاء ، فبعث أهل القيروان ببائع القثاء ، فسمّوا واحدة من قثائه، وأمروه أن لا يبيعها إلاّ لعاصم السدراتي ، فمضى البيّاع بما عنده من القثاء إلى المعسكر، فاشترى لعاصم أصحابه تلك المسمومة، فأتوه بها فأكلها، فثار فيه سمّها، حتّى هلك، وقد هرب البيّاع حين باعها .

(أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٢٩ .

٢ ـ الشماخي : السير، ج ١ ، ص ١١٧) .

٤ ـ أبو دراز إسماعيل بن درار الغدامسي : ويقال أبو درار سأل أبا عبيدة يوم عودة البعثة إلى الشمال الافريقي ثلاثمائة سؤال في مشاكل الأحكام قبل أن يستوي على ظهر الدابة، ولما أتّم أبو درار أسئلته، وهمّ أبو عبيدة بالرجوع، رفع عينيه إلى تلميذه وقال : كأنّك تريد أن تكون قاضياً يا ابن درار ؟ فأجاب الطالب: أرأيت إن ابتليت بذلك يا شيخ؟ وبعد قتل عاصم وانتقال الإمامة إلى تاهرت في الجزائر، اعتزل أبو درار القضاء واستقرّ في بلده غدامس جنوب طرابلس واشتغل بالتدريس. لحق به طلاّب عاصم وأخذوا منه أكثر ممّا أخذوا عن عاصم، وأصبحوا ينسبون علومهم إليه ويحسبون من مدرسته .

(أنظر،١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ، ج ١ ، ص ٢١ .

٢ ـ معمر، علي يحيى : الإباضيّة في الجزائر، ص١٣٢، القاهرة، مكتبة وهبة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٣ ـ معمر، علي يحيى : الإباضيّة في ليبيا، ص ١٤ ـ ١٥ .

٤ ـ الشماخي : السير، ج ١ ، ص ١٢٧) .

٥ ـ أبو داوود القبلي النفزاوي ، بايع أبا الخطاب بالإمامة لكنه اعتزل الحركة السياسيّة من أوّل الأمر واستقرّ في بلده نفزاوه جنوبي إفريقية (تونس) يلقي دروس العلم ، فلمّا قتل عاصم لحق به جمع من تلاميذ عاصم ، وكان عالماً مشهوراً، وكان الإمام عبد الوهاب مع كثرة علمه إذا جلس بين يديه كالصبي أمام المعلم، وفي كتاب سير أشياخ نفوسه أنّ أبا عبيدة قال له لا تفتِ بما سمعت منّي ، ولا ما لم تسمع .

(أنظر ، ١ ـ الشماخي، السير، ج ١ ، ص ١٢٩ .

٢ ـ معمر، علي يحيى : الإباضية في الجزائر، ص ١٣٢) .

[1] ـ خليفات : التنظيمات السياسيّة والإداريّة عند الإباضيّة ، ص ٩ .

وتوّجت هذه الجهود بإعلان إمامة الظهور من جديد في ليبيا، وبويع أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح إماماً للإباضيّة، واستولى على مدينة طرابلس، وامتدّ نفوذه ليشمل جزيرة جربة والقيروان التي سيطرت عليها قبيلة ورفجومة الصفريّة، وتكوّنت إمامة إباضيّة في الشمال الإفريقي ، شملت قسماً من ليبيا وتونس والجزائر .

ـ قيام الدولة الرستميّة :

إستغلّ الإباضيّة إنشغال الدولة الأمويّة بالتصدّي للدعوة العباسيّة في المشرق فاستولوا على العاصمة القيروان أكثر من أربع سنوات (١٤١هـ /١٤٤هـ) (٧٥٩م/٧٦١م) إلى أن أخرجهم الجيش الذي أرسله الخليفة العباسي [١] . لكنّ عبد الرحمن بن رستم ـ قاضي القيروان الإباضي ـ استطاع التحصّن في وادي أجج ـ وهو جبل منيع بالقرب من تاهرت ـ ولحق به ستّون شيخاً من شيوخ الإباضيّة من طرابلس [٢]. واستطاعوا جمع شتاتهم " ولمّا آنسوا من أنفسهم القوّة فنظروا من يصلح للولاية من رؤساء القبائل فوجدوا جماعة ، كلّ واحد صالح شجاعة وعلماً وتقى فاتّفق رأيهم على عبد الرحمن لفضله وكونه من حملة العلم [٣] ".

قامت الدولة الإباضيّة الرستميّة في تاهرت " وبلغ المذهب الإباضي أوج عظمته العلميّة والسياسيّة حيث كان أساساً لحضارة لم يشهد المغرب الأوسط مثيلاً لها من قبل [٤] ".

---

[١] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٢٤ .
٢ ـ أبو زكرياء : سير الأئمّة ، ص ٥٧ ـ ٦٥ .
٣ ـ الشماخي : السير ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

[٢] ـ أنظـر ، Addoun, Aïcha daddi : Sociologie et l'histoire des algeriens Ibadites, p103, ghardaia, Imp: el arabia 1977.

[٣] ـ أبو زكرياء : سير الأئمّة ، ص ٨٢ ـ ٨٣ .

[٤] ـ العربي ، إسماعيل : مقدّمة كتاب سير الأئمة لأبي زكرياء ، ص ١٩ .

وغدت مدينة تاهرت (*) حاضرة حضاريّة. لكنّ انشقاق الإباضيّة إلى عدّة فرق نتيجة خلاف عقديّ وصراع على السلطة أضعف الدولة الرستميّة وأدّى إلى سقوطها عام ٢٩٧هـ /٩٠٩م . على يد أبي عبد الله الشيعي (١) .

إلتجأ الإباضيّة، بعد سقوط الدولة الرستميّة، إلى الواحات، "وكان لهم في بعضها حضارة مزدهرة، ثمّ تعاونت عليهم ظروف قاسية مؤلمة بعضها من البشر، وبعضها من الطبيعة فانحسروا إلى الجنوب إلى وادي ميزاب (**) ووارجلان (***) حيث

(*) ـ غدت تاهرت رغم الخلاف السياسي بين الدولة الإباضيّة والقيروان ـ عاصمة الدولة الأغلبيّة ـ مركزاً مهماً للدراسات الإسلاميّة وفقاً لمذهب الخوارج الإباضيّة، وبفضل تسامح الأئمّة ، استطاع علماء أهل السنّة القدوم لجدال علماء الإباضيّة في مسائل العقيدة والشريعة، وكانت تاهرت مدرسة لشحذ روح الجدل، وحبّ المناقشة والتدقيقات، وكان لموقع تاهرت الجميل، وما يحيط بها من بساتين كثيرة الأشجار، دور في وفود العلماء إليها .

(أنظر ، ١ ـ بل، ألفرد : الفرق الإسلاميّة في الشمال الإفريقي، ص ١٤٩ .

٢ ـ ابن عذاري : البيان المغرب، ج ١ ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

٣ ـ حجازي، عبد الرحمن : التربية الإسلاميّة في القيروان في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، ص ٣٥٧، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلاميّة، بيروت،كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلاميّة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) .

(١) ـ أنظر ، ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(**) ـ وادي ميزاب تبعد هذه المنطقة عن العاصمة الجزائريّة ٦٠٠ كلم، إلى جنوب الجزائر في شمال الصحراء الكبرى، في ناحية تسمى الشبكة، وهي منطقة جبليّة تتخللها أودية. وقد آثر الميزابيّون هذه المنطقة الجبليّة الوعرة لمنعتها، وجودة هوائها، وبعدها عن الشمال. وكان الميزابيّون إلى آخر القرن الثالث الهجري في شمال الجزائر، وفي نواح أخرى من المغرب الأدنى والأقصى. وقد لجأوا إلى الصحراء بعد سقوط الدولة الرستميّة .

وتتميّز منطقة وادي ميزاب بالطابع الصحراوي على العموم. أما الأمطار فسقوطها قليل جداً، بحيث لا تتجاوز في أحسن الحالات ٢٥ ملم في السنة.وهذه المنطقة يكثر فيها النخيل، والذي يعدّ العمود الفقري في اقتصاد المنطقة ـ لا سيّما قديما ـ قبل أن تعرف المنطقة تطورات هامة في التجارة والصناعة والسياحة والبترول .

(أنظر ، ١ ـ دبوز، محمد علي : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج ١ ، ص ١٥٠ ـ ١٥١، الجزائر ، المطبعة التعاونية ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

٢ ـ اعوشت، بكير بن سعيد : قطب الأئمّة العلامة محمد بن يوسف اطفيش، ص ٤٨ ـ ٤٩، سلطنة عمان، مكتبة الضامري ١٩٨٩) .

(***) ـ وارجلان : كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر. كثيرة النخيل والخيرات، هاجر إليها الأمير يعقوب بن أفلح وجماعة كبيرة من عائلته الرستميّين بعد سقوط الدولة الرستميّة .

(أنظر ، ١ ـ الحموي: معجم البلدان ،ج ٥ ، ص ٣٧١ .

٢ ـ دبوز، محمد علي : نهضة الجزائر الحديثة ،ج ١ ، ص ١٥٢) .

حافظوا على نمط حضاريّ ، قلّ أن تجد شبيهاً في مثيلها في الواحات، كما حافظوا على وضع شبه مستقلّ باستمرار ، فقد اتّفقوا مع ولاة العهد العثماني أن لا يدخلوا إلى بلادهم على أن يدفعوا لهم جزية محدّدة يحملونها هم أنفسهم إلى الدولة ولا يدخل جباة الدولة إليهم [1] ".

ـ الإنشقاق المذهبي في شمال إفريقية :

إنشقّت الحركة الإباضيّة ، رغم وحدة النشأة والتفكير والمعتقد، وأوّل إنشقاق تذكره المصادر الإباضيّة . هو الانشقاق الذي حدث أثناء مبايعة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وأنّ المعارضين لولايته " أخذوا العلل والأباطيل ، قالوا : إنّما كانت ولاية عبد الوهاب على شرط أن لا يقطع أمراً دون جماعة معلومة، ورجعوا إلى لجاجة أمرهم الذي لم يجزه أهل البصائر من قبل ، وجعلوا يفتّشون ذلك عند الجهّال والطغام ، ومن ليست لهم بصيرة في الدين يستزلون عقولهم ، ويستفزّون أفكارهم ، ويحيلون عقائدهم ، وأشاعوا أنّه حابى عليهم بعض الناس وولاّهم الأمور دونهم ، وزعموا أنّهم لذلك أولى من سواهم ، وأنّه لاينبغي أن يلي جماعة المسلمين أحد إذا كان في الجماعة من هو أعلم منه ، فتفاقم الأمر ، وكثر القيل والقال في البلد ، وعظم داؤهم ، وكثر النزاع ، وانتشر الخلاف [2] ".

١ ـ *الفرقة النكاريّة :*

توضح المصادر الإباضيّة بأنّ الانشقاق الأوّل في المذهب الإباضي كان عام ١٧١هـ / ٧٨٧م وذلك عندما أحسّ الإمام عبد الرحمن بدنو أجله، ترك أمر الإمامة شورى بين سبعة رجال ، من بينهم أبو قدامة بن فندين، وعبد الوهاب بن

---

[1] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم ، ص ٣٨ ـ ٣٩ ، القاهرة، مكتبة وهبة ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

[2] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

عبد الرحمن ، وبعد مشاورات وقع الاتّفاق على بيعة عبد الوهاب. وقال ابن فنديـن حـين هـمّ بالبيعة : نبايع على ألاّ يقضي في شيء دون مشورة جماعة مخصوصة من الناس. وردّ عليه بأنّـه لا يعرف شروطاً للبيعة إلاّ العمل بكتاب الله وسيرة السلف الصالح .

وتمّت البيعة، وتـذكـر المصـادر الإباضيّـة أنّ أبا قدامه كـان يعتقـد في نفسه الكفـاءة والقـدرة على تـولـي الأمر ، فـانتظر فـترة مـن الزمـن لعلّـه يستشـار في شـيء أو يكلّـف بعمـل ما ، فلـم يحصـل شـيء من ذلك فبدأ الشـغب وزعـم أنّ الإمامـة باطلـة، وأطلـق النـاس على حركـة ابـن فندين اسم النكّار والنكّاث لأنّهم أنكروا ونكثوا بيعتهـم [1] .

ويروي ابـن الصغير رواية مغايـرة للروايـات الإباضيّـة فحواهـا أنّ قبـائل مزاتـه وسدراته وغيرهم اشتكوا بأنّ الأمور قد تغيّرت والأحـوال قـد تبدّلـت : قاضينـا جـائر ، وصاحب بيت مالنا خائن ، وصاحب شرطتنا فاسق ، وإمامنا لا يغـيّر مـن ذلـك شيئـاً . فدخلوا على الإمام عبد الوهاب وقالوا إنّ رعيتك قد ضجّت من قاضيك وصـاحب بيـت المال والقائـم بشرطتـك فاعزلهـم عنهم ، وولِ عليهم خيارهم ، فقال عبـد الوهـاب جزاكم الله من وفد خير فقد تمّ من الإسلام مـا يفتقـده مـن كـان مثلكـم ، الأمـر إليكـم قدّموا من رأيتم وأخرّوا من رأيتم ، فدعوا له وأثنوا عليه .

فلما انصرفوا دخل عليه وجوه رجاله وقوّاده وأهل بطانتـه وجعلـوه يعـدل عـن قراره ، فقالوا : ليس نظرهم عندما قلت ولا معنـاهم عنـد مـا رأيـت ، ولكـن سـألوك أن تعزل قـاضيك وصـاحب بيـت مـالك ، والقـائم بشـرطتك ، فـإن فعلـت ذلـك شـكروك وحمدوك ، وإن أبيت لهم من ذلك خلعوك ونبذوك ، ثمّ لا تأمن . ولو أجبتهم إلى كلّ مـا سألوك أن يأتوك فيقولوا لك إنّ المسلمين في ابتداء أمـرك لم يجتمعوا عليـك فـانخلع وأردد إليهم أمرهـم [2].

---

[1] ـ أنظر ، الباروني ، سليمان بن عبد الله : الأزهار الرياضيّة في أئمّة وملوك الإباضيّة ، ص ١٣٠ ، تونس ، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٦ .

[2] ـ أنظر ، ابن الصغير : أخبار الأئمّة الرستميّين ، ص ٤٧ ـ ٥١ .

وإذا كنّا لا نجد هذه الرواية في المصادر الإباضيّة، فإننّا نميل إلى ترجيح هذه الرواية، لأنّ هذه الرواية لم تخبُ بعد مقتل يزيد بن فندين بل استمرّت إلى منتصف القرن الرابع الهجري مع عبد الله الفزاري [*] وأبي يزيد مخلد بن كيداد [**] ، وتخالف هذه الفرقة الإباضيّة في المقالات الأربع التالية :

١ ـ الإمامة غير مفروضة .

٢ ـ صلاة الجمعة غير جائزة وراء الأئمّة الجورة .

٣ ـ عطايا الملوك لا يحلّ أخذها .

٤ ـ لا تجوز ولاية المفضول [1] .

وخلاصة أقوالهم في العقيدة التي خالفوا فيها الإباضيّة هي كما يذكرها المارغني :

١ ـ الحدّ في الأسماء .

٢ ـ إنّ ولاية الله وعداوته تتقلّب بالأحوال .

٣ ـ إنّ أسماء الله مخلوقة .

---

[*] ـ عبد الله بن يزيد الفزاري : من علماء القرن الثالث الهجري، عاش في الكوفة، كان خرّازاً، يلقي دروسه في محله، ويعدّ من المتكلمين،وهو الذي أظهر مقالات النكّار، وألّف فيها كتباً متعددة، ومن مؤلفاته كتاب يحمل عنوان " كتاب الردود " .

(أنظر، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢، ص ٤٧٧ .

٢ ـ معمر، علي يحيى : الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، ج ٢ ، هامش ص ١٦ .

٣ ـ الميلي، مبارك بن محمد : تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج٢ ،ص٨٤ ، تقديم وتصحيح محمد الميلي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٩).

[**] ـ هو مخلد بن كيداد بن سعد اليفرني، هبط من جبل أوراس يدعو إلى الحقّ بزعمه، و لم يعلّم الناس مذهبه، فرجوا فيه الخير والقيام بالسنّة، فخرج على الشيعة ودخل إفريقية، وخرّب مدنها، وقتل من أهلها ما لا ينحصر. إشتدّ أمره في إفريقية عام ٣٣٣هـ / ٩٤٤م . حتّى فرّ أمامه أبو القاسم الشيعي إلى المهديّة من رقادة. قتله المنصور الفاطمي عام ٣٣٦هـ /٩٤٧م . وأمر بسلخه وحشى جلده قطناً وصلبه.

(أنظر، ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢) .

[1] ـ أنظر، ١ ـ طعيمة ، صابر : الإباضيّة عقيدة ومنهباً، ص ٥٢ ـ ٥٣ ، بيروت، دار الجيل ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .

٢ ـ معمر، علي يحيى : الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة ، ج ٢ ، ص ١٨ .

٤ ـ الإمامة غير مفترضة .

٥ ـ يجوز الانتقال من الولاية إلى الوقوف .

٦ ـ حجّة الله تقوم بالسماع وقد سمع الناس .

٧ ـ من لم تبلغه دعوة الإسلام ودعي إلى دين سماوي آخر لا يجوز له أن يجيب .

٨ ـ صلاة الجمعة غير جائزة خلف أئمّة الجور .

٩ ـ عطايا الملوك لا يحلّ أخذها .

١٠ ـ إنّ الله لم يأمر بالنوافل .

١١ ـ يلزمنا العمل بالفرائض ولا يلزمنا العلم بها ولا من معرفتها شيء .

١٢ ـ إنّ الحقّ في القول واحد مع المختلفين في النوازل التي يسع فيها الخلاف، وقد ضاق على الناس خلاف الحقّ .

١٣ ـ إنّ الحرام المجهول حلال .

١٤ ـ يدعى المشرك إلى الجملة وبراءة أحداث أهل الأهواء من أهل القبلة .

١٥ ـ قالوا بالوقوف في الأطفال كلّهم .

١٦ ـ يجوز شرب الخمر على التقيّة .

١٧ ـ لا تجوز إمامة من ولي أمر المسلمين، وفي المسلمين أفضل منه .

١٨ ـ لا تقوم الحجّة فيما يسع حتّى يجتمع المسلمون بأسرهم .

١٩ ـ لا كفر إلاّ فيما تقع عليه اليد ، وهو ربع دينار، ومن أخذ دونه ليس عليه شيء .

٢٠ ـ اللطمة والنظر بشهوة والقبلة ودخول الحمام بغير إزار صغائر غير كبار [1] .

---

(1) ـ أنظر ، المارغني ، أبو عمرو عثمان بن خليفة : رسالة في فرق الإباضيّة الست وما زاغت به عن الحقّ، ص ١ ـ ٣ ، مكتبة بني يزجن، رقم المخطوط ٢/٦٩ .

٢ ـ الفرقة الخلفيّة :

تنسب هذه الفرقة إلى خلف بن السمح، حفيد أبي الخطاب عبد الأعلى أوّل أئمّة الظهور عند الإباضيّة [١] . ووالده هو السمح بن عبد الأعلى وزير الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن [٢] . عيّنه أهل طرابلس والياً على طرابلس بعد وفاة أبيه دون العودة إلى الإمام عبد الوهاب، الذي رفض هذا التعيين، وولّى على طرابلس شخصاً آخر يدعى أبا عبيدة عبد الحميد الجناوني، رفض أهل طرابلس هذا التعيين [٣] وأصرّ الإمام عبد الوهاب على قراره وبعث برسالة إلى أهل طرابلس وجبل نفوسة [*] جاء فيها " بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله. من أمير المؤمنين عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين بحيّز طرابلس ، أما بعد فإني آمركم بتقوى الله واتّباع ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه. وقد بلغني ما كتبتم به إليّ من وفاة السمح واستخلاف بعض الناس خلفاً وردّ أهل الخير ذلك : فإنّ من ولّى خلفاً من غير رضاء إمامه فقد أخطأ سيرة المسلمين، ومن أبى من توليته فقد أصاب وإذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كلّ عامل استعمله منكم السمح إلى عمالته التي ولّي عليها إلاّ خلف بن السمح حتّى يأتيه أمري وتوبوا إلى ربّكم وراجعوا التوبة لعلّكم تفلحون [٤] ".

---

(١) ـ أنظر ، الباروني : الأزهار الرياضيّة ، ص ٢٤٩ .

(٢) ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٣) ـ أنظر ، ١ ـ أبو زكرياء : سير الأئمّة ، ص ٢٥ .
٢ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٦٨ .
٣ ـ الباروني : الأزهار الرياضيّة ، ص ١٤٨ ـ ١٥٢ .

(*) ـ جبل نفوسه ، كانت قبيلة نفوسه أكبر قبائل البربر وأكثرها انتشاراً من طرابلس وجبل نفوسه وحتّى القيروان، وكان الجبل معقلهم الأساس ، ويبلغ طوله من الشرق إلى الغرب مسيرة ستّة أيام ، وارتفاعه نحو ثلاثة أيام، وهو عامر بالمدن والحصون والضياع والقرى ، وأهمّ مدنه : شروش، وجادو، ومسيف، كانت قبائل نفوسه على النصرانيّة قبل الإسلام، إعتنقت المذهب الإباضي في أوائل القرن الهجري الثاني، وأسهمت بنصيب وافر من ثورات الإباضيّة في الشمال الإفريقي، وكانت نفوسه رغم تبعيتها للدولة الرستميّة إلاّ أنها كانت شبه مستقلة لبعدها عن تاهرت .
(أنظر ، الشماخي : السير ، ج ١ ، ص ١٩٢ ـ ٢٧٣) .

(٤) ـ الباروني : الأزهار الرياضيّة ، ص ١٥٠ .

رفض أهل طرابلس الكتاب ، واتّخذ الخلاف صبغة دينيّة ، ودار حول أمرين هما :

- **الأوّل** : مدى حقّ الرعيّة في تعيين عمالها .
- **الثاني** : شرعيّة وجود إمامين في وقت واحد بعدما اعتبر خلف نفسه إماماً شرعياً .

لكنّ خلف انهزم في مواجهة جنود الإمام أفلح بن عبد الوهاب عام ٢٢١هـ /٨٣٥م . وانسحب إلى "تمتي"، ولم تقم له قائمة [١] .

ويرفض كتّاب الإباضيّة المعاصرون الاعتراف بالفرقة الخلفيّة وينتقدون كتّاب المقالات الذين " يعتبرون خلفاً إماماً لفرقة، ولو كان كلّ إنسان سخط على حكم ما فثار عليه، وقاد مجموعة من الناس للقتال يعتبر رئيساً لفرقة وتعتبر مجموعته فرقة لضاقت كتب التاريخ عن تسمية الفرق [٢] ".

ويردّ على هذا الانتقاد بأنّ الخلفيّة طرحت شرعيّة وجود إمامين، محتجّة ببعد المسافة بينهما، وحقّ العامة في اختيار الإمام. وإذا كان خلف رجلاً " ثار على الحكم طمعاً في الحكم [٣] " فهذا من الناحية السياسيّة، أمّا من الناحية الدينيّة فقد طرح آراء ستحق الدرس والمناقشة .

٣ ـ الفرق النفاثية :

تنسب فرقة النفاثيّة إلى نفاث بن نصر. وتورد المصادر الإباضيّة أنّ نفاث بن نصر وشابّا يدعى سعداً، كانا تلميذين للإمام أفلح بن عبد الوهاب وعندما توفّي عامل قنطنار نظر الإمام أفلح في ذلك " فلم يرَ له أهلاً إلاّ سعداً لّما تحقّق من صلاحيته، واختبره

---

[١] ـ أنظر ، ١ ـ الباروني : الأزهار الرياضيّة، ص ١٧٠ ـ ١٧٥ .
٢ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٧٢ ـ ٧٧ .

[٢] ـ معمر، علي يحيى : الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، ج ٢ ، ص ٣٠ ـ ٣١ .

[٣] ـ معمر ، علي يحيى : المرجع السابق ، ص ٣١ .

من حسن حاله، فكتب كتابا باستعمال سعد، فطواه، وختم عليه بخاتمه، وأودعهما إيّاه، و لم يعلمهما أيّهما العامل ، وقال لهما حين دفعه إليهما : لا تفكّاه حتّى تصلا قنطنار . فسارا، فلمّا كانا ببعض الطريق غلب الشر على نفاث فاستخفّه حبّ الرئاسة، فاستغلّ سعداً، وتخلّف إلى رحلهما ففضّ خاتم الكتاب وقرأه، فوجد سعداً هو العامل، فظنّت نفسه الظنون ، واعتقد العداوة ، واضمر الغشّ لاستعمال الإمام سعداً دونه، ولما وصلا قنطنار قرئ بها كتاب الإمام ، فسمع أهلها وأطاعوا. وأقام سعد والياً عليهم عاملاً بطاعة الله عزّ وجلّ ، وتمادى نفاث إلى بلاده، فسئل عن الإمام وأحواله، فأظهر الطعن فيه، وقال إنّه أضاع أمور المسلمين [1] ".

ثار نفاث على الإمام الأفلح، واستجاب الناس لدعوته، بعد أن أرهقتهم الرسوم والجبايات التي يحصّلها عمال الإمام، وشدّتهم في معاملة الرعية [2] . وبلغت الثورة حدّاً جعلت الناس يخلعون العمال ممّا اضطّر أفلح إلى أن يكتب إلى رعيته " ومن عاب أحداً من عمالنا بخصلة من الخصال ، أو أنكر عليه شيئاً فليرفع ذلك إلينا ، فنكون نحن الذين يغيّرون [3] ".

واعتمد أفلح سياسة التودّد إلى نفاث، وأثمرت هذه الجهود في تثبيط عزيمة نفاث وخاصّة بعد تصدّي مشايخ نفوسه لحركته، فاضطر نفاث إلى الرحيل إلى بغداد وانكبّ على دراسة كتب المذهب ، ولمّا عاد وجد أتباعه قد تفرقوا [*] . فما كان منه إلاّ أن " تاب ورجع عن مسائله التي خالف فيها [4] ".

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ، ج ١ ، ص ٦٨ .

[2] ـ أنظر ، الباروني: الأزهار الرياضيّة ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

[3] ـ الباروني : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

[*] ـ أورد الدرجيني مثلاً يدلّل به على دور نفوسة في مقاومة حركة نفاث جاء على لسان ابن أخت لنفاث أتاه فقال له : عبرّ لي رؤيا رأيتها، رأيت رجلاً جمع شعيراً فجعله في صرّة كبيرة فرقي سنور أعلاها، فقال له ذلك رجل جمع علوماً فاستولى عليه الشيطان ، فقال أنت هو الرجل يا خالي .

(أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٧٩) .

[4] ـ الباروني : الأزهار الرياضيّة ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .

نستشفّ من المصادر الإباضيّة أنّ نفاثاً كان ثائراً على ظلم الإمام وعماله، لأنّ حركته لم تأخذ طابعاً عسكريّاً، وإنّما أخذت طابع الجدل والنقاش .

ويذهب محمود عبد الرازق إلى القول بأنّه " على الرغم ممّا تورده المصادر الإباضيّة من تفسير لحركة نفاث ، باعتباره مارقاً على الإمامة لأسباب ودوافع ذاتيّة، فإنّ ذلك لا ينفي قطّ كون نفاث ثائراً صاحب آراء واجتهادات في المذهب الإباضي وداعية لإنقاذ الإمامة الإباضيّة ممّا تردّت فيه من امتهان على عهد أئمّة بني رستم ، فقد آلت الإمامة إلى أفلح بن عبد الوهاب تواً بعد وفاة أبيه سنة ٢٠٨هـ /٨٢٣م. ممّا يؤكّد استمرار مبدأ الوراثة واختفاء مبدأ الاختيار في الحكم الرستمي [١] ".

ويؤكّد هذا الرأي أنّ آراءه ظلّت بين الناس، تعتنقها وتدافع عنها حتّى نهاية القرن الخامس الهجري [٢] .

وإذا كانت هذه الفرقة قد انقرضت ، و لم يبق لها أثر، إلاّ أنّها تركت " بصماتها على التاريخ الإباضي، وخاصّة في الجانب العقدي عند فرقة تشكلّت ذات يوم تحت لواء ومنطلقات المعتقد الإباضي في الإسلام [٣] ". خاصّة أنّ المسائل التي انتحلها "لا أصل لها، ومنها زعمه أنّ الخطبة بدعة، ومنها قوله أنّ الأخ الشقيق أولى بالميراث من الأخوة للأب ، وأنّهم يحجبونهم [٤] ".

وتنسب إلى نفاث الآراء والمسائل التالية :

١ ـ إنّ ا لله هو الدهر ، فلما سئل عن ذلك قال هذا وجدته في الدفتر، يعني الكتاب المسمّى بهذا الإسم .

٢ ـ أنكر خطبة الجمعة وقال إنّها بدعة .

---

(١) ـ عبد الرزاق ، محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب ، ص ١٦٧ .

(٢) ـ أنظر ، LEWICKI,T: Melanges berberes Ibadites, p270, Revue islamique, Année 1936,Cahier 3, Paris 1936.

(٣) ـ طعيمة ، صابر : الإباضيّة ، ص ٥٦ .

(٤) ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٧٩ .

٣ ـ أنكر على الإمام استعمال العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطالب بيت مال المسلمين من الرعايا .

٤ ـ ابن الأخ الشقيق أحقّ بالميراث من الأخ للأب .

٥ ـ إنّ المضطر بالجوع لا يمضي بيع ماله، إلاّ إذا باعه لأجل ذلك وعلى من شهد مضرته تنجيته .

٦ ـ إنّ الفقد لا يتحقّق إلاّ فيمن تجاوز البحر .

٧ ـ إنّ الإمام إذا لم يمنع رعيته من جور الجورة وظلمهم، لا يحلّ له أن يأخذ الحقوق التي جعل الله عليهم لضعفه عن الدفاع عنهم .

٨ ـ من أعطى لعامل أفلح الزكاة، فكمن أعطاها لنوبار ملك السودان .

٩ ـ أفلح غفل واتّبع الصيد ، وضيّع أمور المسلمين [١] .

٤ ـ الفرقة الحسينيّة :

لم تدخل هذه الفرقة في صراعات سياسيّة أو حزبيّة، ومؤسّس هذه الفرقة أحمد بن الحسين الطرابلسي [*] ، كان له العديد من الكتب والمقالات التي انتشرت بين أتباعه ، وقد عرف أحمد بن الحسين باسم الضلّيل لأنّه ضلّ بآرائه عن المذهب الإباضي ، وأنّ مسألة السخط والرضا " قد وقعت عند من وقعت من أهل الدعوة من كتاب أحمد بن الحسين الضلّيل ، فرسخت في قلوبهم ، ودانوا بها فضلّوا وأضلّوا [٢] ".

---

[١] ـ يعرض علي يحيى معمر لآراء نفاث ويناقشها في كتابه الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة،ج ٢، ص ٢٤ ـ ٢٩ .

للإطلاع على آراء نفاث راجع كتاب الأزهار الرياضيّة ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

[*] ـ أحمد بن الحسين الطرابلسي ، عاش في القرن الثالث الهجري ، لم يعرف تاريخ مولده ووفاته .

[٢] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ .

وذكر المارغني آراء هذه الفرقة ، التي يمكن إيجازها على النحو التالي :

١ ـ لا يشرك من أنكر غير الله تعالى .

٢ ـ حكموا بتشريك المتأوّلين المخطئين من فرق الأمّة .

٣ ـ الحبّ والرضا والولاية والعداوة والسخط أفعال الله وليست بصفات له .

٤ ـ يسع جهل معرفة محمّد عليه الصلاة والسلام ، وليس على الناس إلاّ معرفة المعبّر عنه [هكذا] .

٥ ـ أباحوا الزنا وأخذ الأموال لمن أكره على ذلك يتّقي بها ويغرّم بعد ذلك .

٦ ـ الحرام المجهول معاقب عليه .

٧ ـ فرّقوا بين الأسماء والأحكام فسمّوا اليهود منافقين ، وسمّوا المتأوّلين مشركين، وأجازوا السبي وأحلوا النكاح منهم ، وهم عندهم مشركون فيما زعموا .

٨ ـ حجّة الله تنال بالفكر في دين الله اضطراراً .

٩ ـ لا يجوز أن يبعث الله رسولاً إلاّ بعلامة يعرف بها ويفرز عن غيره ولا يكون حجّة إلاّ بها .

١٠ ـ لم ينه الله المشركين والبالغين عن غير الشرك ، ولم يأمرهم بغير التوحيد، فإذا وحّدوا لزمتهم جميع الفراض ، ونهوا عن جميع المعاصي .

١١ ـ العقلاء يتفاضلون في التكليف والاستطاعة ولا يتفاضلون في العقل .

١٢ ـ خوف الرسل خوف إجلال لا خوف عقاب .

١٣ ـ تجوز الولاية والبراءة بشرط .

١٤ ـ أهل الجنّة يخافون ويرجون، والموتى تأكلهم الأرض إلاّ عجب الذنب [1] .

---

[1] ـ أنظر ، ١ ـ المارغني : فرق الإباضيّة الست ، ص ٦ ـ ٧ .

٢ ـ طعيمة ، صابر : الإباضيّة ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

٣ ـ معمر، علي يحيى : الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

وتتّفق آراء هذه الفرقة مع فرقة أخرى تسمّى العمديّة ويبدو أنّ أصلهما كان واحداً ، ولكن أئمّتها اختلفوا فقال بعضهم بمقالات تقترب من الإباضيّة ، وقال آخرون بمقالات تقترب من المعتزلة ، وإذا كانوا حسينيّة وعمديّة ، فإنّهم يبتعدون عن جميع الأطراف ، وآراؤهم تخرجهم من الإسلام [١] .

٥ ـ الفرقة السكاكيّة :

صاحب هذه الفرقة هو عبد الله السكّاك ، من قبيلة لواته " وكان أبوه رجلاً صالحاً فأسلمه إلى المؤدّب فقرأ وحفظ القرآن الكريم ، ثمّ أخذ في طلب العلم فنال منه دقائق واحترف الصياغة ، فكان صائغاً ماهراً ، ويبدو أنّه جمع علماً ومالاً فأغراه الشيطان وسوّلت له نفسه أن يعمل للظهور ، فخالف المسلمين في مقالات قطعوا فيها عذره فحكموا عليه بالشرك ، وتساهل بعضهم قليلاً ، فحكموا عليه بالنفاق [٢] ".

وتروي المصادر الإباضيّة أنّ والد السكّاك "توجّه إلى الحجّ قبل أن يولد أبد [*] الله ، فلما كان في بعض الطريق رأى في منامه أن قد ولد شيطان ، فلمّا قضى حجّه ورجع إلى أهله وجد مولوداً له فسمّى أبد الله [٣] ".

وكان أتباع السكّاك إذا قرب وقت الصلاة خرجوا متجنبين عن الناس إلى مفاحص قد هيّؤوها لأنفسهم ، فيصلّون فيها فرادى [٤] .

---

[١] ـ أنظر ، ١ ـ المارغني : فرق الإباضيّة الست ، ص ٦ .

٢ ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة ، ج ٢ ، ص ٣٣ .

[٢] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة ، ج ٢ ، ص ٣٤ .

[*] ـ أبد الله هو عبد الله ، وأطلق عليه اللقب لآرائه المخالفة للإباضيّة .

[٣] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١١٨ .

[٤] ـ أنظر ، الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١١٨ ـ ١١٩ .

وكان الإباضيّة في قسطيلية يصلّون على جميع موتى أهل القبلة كلّهم من المخالفين وغيرهم إلاّ أصحاب السكّاك ، فإنّهم من مات منهم جعلوا في رجليه مرابط وجرّوه بها إلى موضع يوارونه فيه [1] .

والمسائل التي خالفت فيها السكاكيّة هي :

١ ـ أبطلوا السنّة ورأي المسلمين ، وزعموا أنّ الله أغنى عنهما أولي العقول والألباب بكتابه العزيز ، فليس من رأي ولا من سنّة .

٢ ـ إنّ الصلاة جماعة بدعة .

٣ ـ إنّ الأذان بدعة، فإذا سمعوا الأذان قالوا نهق الحمار .

٤ ـ الصلاة لا تجوز بما لا يعرف معناه وتفسيره من القرآن .

٥ ـ إنّ بقول الجنّات ممّا ينبت في سماد بني آدم كلّ ذلك نجس بنجاسة ما نبت عليه .

٦ ـ إنّ الصلاة لا تجوز بثوب فيه قمل .

٧ ـ إنّ بول الدوابّ في الأندر حين درسها إياه نجس فلا يطهر ما بالت عليه إلاّ بالغسل [2] .

ويذكر الدرجيني أنّ هذه الفرقة قد فني أصحابها ، " فلم يبق لهم بقيّة، وهم لم يتجاوز مذهبهم قنطنار كحال الفرثيّة لم يتجاوز مذهبهم وارجلان حتّى فني الفريقان إلى غير رحمة الله [3] ".

٦ ـ الفرقة الفرثيّة :

تنتمي هذه الفرقة إلى أحد أفراد الأسرة الرستميّة ، إلى أبي سليمان بن يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب ، أقام في وارجلان بعد سقوط الدولة الرستميّة ، واطّلع

---

[1] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١١٩ .

[2] ـ أنظر ، الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١١٨ .

[3] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١١٩ .

على كتب الحسينيّـة ومقالاتهـم ، ممّـا حمـل والـده على أن " يقـول لأهـل وارجـلان : إحذوروا هـذا ، فإنّـه قـرأ ديـوان أحمـد بـن الحسـين [1] ". وأخـذ يفـتي بخلاف رأي الإباضيّـة منهـا قولـه أنّ فـرث الأنعـام نجس ، وإلى هـذه المسألـة ينسـب فكـان يقال لـه الفرثي لهـذا السبـب [2] .

و لم يفلـح علمـاء الإباضيّـة في إقنـاع أبـي سـليمان ببطـلان دعوتـه ، والمسائل التي أفتى بها أبو سليمان بخلاف ما عليه المذهب الإباضي سبع مسائل هي :

١ ـ إنّ فرث الأنعام نجس ، وما طبخ فيه من طعام .

٢ ـ تحريم أكل الجنين .

٣ ـ نجاسة عرق الجنب .

٤ ـ نجاسة عرق الحائض .

٥ ـ نجاسة دم العروق المستبطنة للظهر بعد ذكاة الشاة .

٦ ـ صوم يوم الشك .

٧ ـ لا تعطى الزكاة إلاّ للقرابة، أي قرابة المزكّي [3] .

ـ الإباضيّة بعد سقوط الدولة الرستميّة :

حـاول الإباضيّـة بعـد سقـوط الدولـة الرستميّـة تجميـع صفوفهـم مـن جديـد في وارجـلان ، ومبايعـة يعقـوب بـن الإمـام أفلـح بالإمـامـة بعـد خروجـه مـع أصحابـه بعيالهـم مـن تاهرت هرباً من أبي عبـد الله الشيعي، لكـنّ أبـا يعقـوب رفـض وقـال : لا يستـتر الجمـل بالغنـم ، فصـار مثلاً. وطلب مـن أتباعـه أن يتفرقـوا بـالبلاد ، وقـال لهـم :

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

[2] ـ أنظر ، الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

[3] ـ أنظر ، الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

إنّكم لا يجتمع منكم ثلاثة نفر إلاّ كان عليهم الطلب ، افترقوا فقد انقطعت أيامكم وزال ملككم [1] .

توجّه يعقوب بأتباعه بعيداً عن الدولة الفاطميّة ، فنزل القرى في منطقة وادي ميزاب ، وعاش الإباضيّة في أماكن تجمعاتهم التي انتقلوا إليها دون أن يكوّنوا لأنفسهم كياناً سياسيّاً ، وإنّما يعيشون حتّى أيامنا الحاضرة تحت نظام العزابة ، وهذا النظام يحمل جميع مزايا الحكم الشوري باستثناء منصب الخليفة أو الإمام .

ـ أماكن وجود الإباضيّة :

أدّت الضغوط المتلاحقة على الإباضيّة ، إلى تقلّص التجمعات الإباضيّة في الشمال الإفريقي ، ففي ليبيا تقلّص نفوذ الإباضيّة إلى جبل نفوسه وزواره. وشكّلوا في كل قرية أو مدينة مجلس مشايخ ، ومن رؤساء جميع المجالس كوّنوا المجلس الأعلى للعزابة ، وجعلوا مقر اجتماع المجلس الأعلى للعزابة في الجبل في مدينة جادو . وقد تمّ اختيار هذه المدينة لتوسّطها بين مناطق الإباضيّة في الجبل [2] .

وتقلّص نفوذ الإباضيّة في تونس إلى جزيرة جربة ، والجزيرة يوجد فيها إلى جانب شيخ العزابة شيخ آخر يطلق عليه اسم شيخ الحكم ، وهو يتولّى الشؤون الإداريّة والسياسيّة والعلاقات الخارجيّة للجزيرة ، في حين يتولّى شيخ العزابة الشؤون الدينيّة والاجتماعية باسم مجلس العزابة [3] .

---

[1] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

[2] ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في الجزائر ، ص ٢٧٩ .

[3] ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في تونس ، ص ٤٢١ وما بعدها ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ، ط ٢ ، ١٩٩٣ .

لجأ الإباضيّة في الجزائر إلى مكان يحميهم من غارات الأعداء، فوقع اختيارهم على بقعة صحراويّة بعيدة عن الأنظار ، وبمعزل عن مسالك البدو ومراعيهم طلباً للأمن وذلك بوادي ميزاب " وهي عبارة عن سهل يابس تكسوه الرمال تحدّه من جانبيه جبال صخريّة ، وهناك شيّدت مدن ميزاب العريقة على التوالي: العطف ١٠١٤م ثمّ بنوره ١٠٤٦م ثمّ غردايه ١٠٤٨م ، ثمّ بني يزجن ١٣١٤م ثلاثة قرون من بعد الأولى، ومليكة ١٣٥٠م، وأخيراً القرارة ١٦٣١م، وبريان ١٦٩٠م .

توافدت إليها جماعات من جربه ونفوسه وتاهرت وربّما وجد فيها البصريّون والكوفيّون ومن كل الفئات الإباضيّة التي تواجدت في المغرب وكلّ ما يجمعها مصير واحد وهدف واحد [١] ".

وطبق الإباضيّة في الجزائر نظام العزابة ، وشيخ العزابة في الوادي هو الذي يعلن الاتفاقات التي تصدر عن المجلس ، وليس له أن يصدر أمراً إلى جميع سكان الوادي دون الرجوع إلى المجلس واتّخاذ القرار فيه .

ويربط بين هذه التجمعات الإباضيّة في كلّ من جبل نفوسه وجزيرة جربه ووادي ميزاب بمجلس أعلى للعزابة ، وتكون له الكلمة النافذة على جميع المجالس ، وشيخ واحد يتولّى تنفيذ قرارات المجلس مع اختلاف بسيط في الاختصاصات [٢] .

---

[١] ـ ابن يوسف ، إبراهيم : الحكم والسياسة في الإسلام من منظور الإباضيّة ، ص ٥٣ ، الجزائر ، مطبعة تقنية الألوان ١٩٩١ .

[٢] ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في الجزائر ، ص ٢٦١ و ٢٦٣ و ٤١٠ .

أئمّة الظهور عند الإباضية

أ ـ أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني .

(١٤٠هـ / ٧٥٧م)　　(١٤٤هـ / ٧٦١م) .

ب ـ الدولة الرستميّة (١٦٠هـ /٧٧٧م)　　(٢٩٧هـ /٩٠٩م) .

١ ـ عبد الرحمن بن رستم (١٦٠هـ /٧٧٧م) (١٧١هـ /٧٩٠م) .

٢ ـ عبد الوهاب بن عبد الرحمن (١٧١هـ /٧٩٠م) (٢٠٨هـ /٨٢٣ م).

٣ ـ أفلح بن عبد الوهاب (٢٠٨هـ /٨٢٣ م) (٢٥٨هـ /٨٧١ م) .

٤ ـ أبو بكر بن أفلح
(٢٥٨هـ /٢٦١هـ)
(٨٧١ م /٨٧٤ م)

٥ ـ أبو اليقظان محمد بن أفلح
(٢٦١هـ /٢٨١هـ)
(٨٧٤ م / ٨٩٤ م)

٦ ـ يعقوب بن أفلح
(٢٨١هـ /٢٨٤هـ)
(٨٩٤ م / ٧٩٨ م)
حكم أربع سنوات بعد خروج الإمام أبي حاتم من تاهرت

٧ ـ أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان
(٢٨١هـ / ٢٩٤هـ)
(٨٩٤ م / ٩٠٦ م)

٨ ـ اليقظان بن أبي اليقظان
(٢٩٤هـ /٢٩٧هـ)
(٩٠٦ م / ٩٠٩ م)

ـ استنتاجات :

نمت الدعوة الإباضيّة في بيئة بربريّة في الشمال الإفريقي، واعتنق البربر " المذهب الخارجي الداعي إلى المساواة احتجاجاً على تصرف بعض الولاة ، فاعتنقوا مذهبين : المذهب الصفري الذي يمثّل النزعة اليساريّة [التطرّف] ، والإباضيّة التي هي أكثر اعتدالاً [١] ".

واستطاعت الدعوة الإباضيّة إقامة دولة إباضيّة في منتصف القرن الثاني الهجري (١٦٠هـ /٢٩٧هـ) (٧٧٧م /٩٠٩م) وتمكّن الأئمة الرستميّون من كسب ثقة البربر بفضل بساطتهم وتقواهم وعلمهم، وأصبحت تاهرت " مركزاً مهمّاً للدراسات الإسلاميّة وفقاً للمذهب الإباضي [٢] ".

و لم تستمرّ هذه الدولة أكثر من قرن ونصف من الزمان ، ونرى أن سقوط هذه الدولة يعود إلى الأسباب التالية :

١ ـ ثورات البربر المتلاحقة : تلاحقت ثورات البربر ، بعد انتشار مذهب الخوارج ، وأدّت هذه الثورات إلى ضعفهم ، وبخاصّة بعد معركة "مانو" (٢٨٣هـ /٨٩٦م) التي كانت بمثابة الضربة القاضية للدولة الإباضيّة ، والتي لم تمكّنها فيما بعد من مواجهة الجيوش الفاطميّة بقيادة أبي عبد الله الشيعي ، وفرّ أبو يوسف يعقوب ، آخر الأئمّة الرستميّين مع أفراد أسرته وأعيان دولته إلى سدراته قرب وارجلان ، وهناك حاول الإباضيّة تأسيس دولة جديدة، لكنّ الظروف لم تكن مواتية، و لم تتحقّق هذه الأمنية منذ ذلك التاريخ ، وبهذا دخل الإباضيّة في مرحلة الكتمان من جديد [٣] .

---

[١] ـ باجية ، صالح : الإباضيّة بالجريد في العصور الإسلاميّة الأولى ، ص ٢٩، دراسة للحصول على شهادة الكفاءة للبحث العلمي ، تونس ، الجامعة التونسية، دار بو سلامة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

[٢] ـ باجيّة ، صالح : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

[٣] ـ أنظر ، جهلان ، عدون : الفكر السياسي عند الإباضيّة ، ص ٤٧ .

٢ ـ أخذ علماء المذهب المالكي ، على عاتقهم، الردّ على أهل البدع، وبخاصّة القائلين بنفي رؤية الله تعالى يوم القيامة ، وبخلق القرآن ، وتقول بهما المعتزلة والإباضيّة، ومن أمثلة هذا الردّ ، أنّ أسد بن الفرات (١٤٢هـ / ٢١٧هـ) (٧٥٩ م/٨٢٨ م) كان يجلس للتفسير ويتلو الآية :

﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى (١) ﴾ . ويقول " ويل لأهل البدع، هلكت هوالكهم ، يزعمون أنّ الله عزّ وجلّ خلق كلاماً يقول ذلك الكلام المخلوق : لا إله إلاّ أنا . وعن ابن الحدّاد قال : حُدِّثْتُ عن أسد أنّ أصحابه كانوا يقرأون عليه يوماً في تفسير المسيّب بن شريك، إلى أن قرأ القارئ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢) ﴾ وكان سليمان بن حفص جالساً بين يديه، فقال له : يا أبا عبد الله من الانتظار ، وكان إلى جانب أسد نعل غليظ ، فأخذ أسد بتلابيبه، وأخذ بيده الأخرى نعله وقال : أي والله يا زنديق لتقولنها أو لأبيضنّ عينيك! قال نعم، ننظره (٣) ".

٣ ـ إنتشار الدعوة الفاطميّة بين قبيلة كتامة البربرية، بعد أن ابتدع أبو عبد الله الشيعي رواية عن كتامة ونسبها إلى آل البيت، وتقول الرواية يا أهل كتامة، إنّكم أصحاب دعوتنا والمدلّون بحجّتنا والمقيمون لدولتنا ، وعلى أيديكم سيظهر الإمام العادل، ويفتح بكم الدنيا، فيجمع لكم خيرها ونعيم الآخرة (٤) .

وأدّى ذلك إلى اقتتال البربر بسببه ، فأضعفت الحروب الداخليّة البربر ، وعملت على تفتيت قواهم بعد اعتناقهم نحلة مخالفة للنحلة الإباضيّة .

---

(١) ـ سورة طه ، الآية ١٣ ـ ١٤ .

(٢) ـ سورة القيامة ، الآية ٢٢ ـ ٢٣ .

(٣) ـ المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

(٤) ـ أنظر ، ١ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٢٦ .
٢ ـ الثعالبي ، عبد العزيز : تاريخ شمال إفريقيا ، ص ٣١٤ .
٣ ـ أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ج٣، ص ٢٠٨ ـ ٢٧١، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦ .

٤ ـ حرص المذهب المالكي في الشمال الإفريقي على الاحتفاظ بالسيادة في بلاد المغرب. و لم يتمّ له ذلك إلاّ بعد تحجيم المذهب الفاطمي والمذهب الإباضي .

وتمكّن المذهب المالكي من القضاء على الدعوة الفاطميّة في المغرب، ففي شهر المحرم من عام ٤٠٧هـ /١٠١٦م " قتلت الشيعة بجميع بلاد إفريقية، وكان سبب ذلك أنّ المعزّ بن باديس ركب، ومشى في القيروان ، والناس يسلّمون عليه ويدعون له . فاجتاز بجماعة، فسأل عنهم ، فقيل هؤلاء رافضة يسّبون أبا بكر وعمر ـ ﷺ ـ فقال : رضي الله عن أبي بكر وعمر، فانصرفت العامة من فورها إلى درب القاضي من القيروان، وهو مكان تجتمع به الشيعة، فقتلوا منهم وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طمعاً في النهب وانبسطت أيدي العامة في الشيعة [١] ".

انصرف المذهب المالكي ، بعد القضاء على الشيعة في المغرب ، إلى إعادة الإباضيّة إلى حظيرة المذهب المالكي .

٥ ـ أدّت الانشقاقات في المذهب الإباضي إلى تمزّق الحركة الإباضيّة ، ولم نجد لدى المؤرخين الإباضيّين " إجابة واضحة ومحددة عن سرّ ذلك الانشقاق المذهبي والطرائقي الذي حدث في مجتمع الإباضيّة من وحدة نشأة التفكير والمعتقد ، خاصّة أنّه قد تطوّر ذلك الانشقاق حتّى أنف المؤرخون الإباضيّون أن يعتبروا بعض هذه الفرق منتمياً للمذهب الإباضي أو من أمّة الإسلام [٢] ".

٦ ـ نزوح القبائل العربيّة من أرض مصر إلى بلاد المغرب منذ عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م واستوطنت هذه القبائل الجزائر ممّا دفع بالجماعات الإباضيّة إلى جنوب

---

[١] ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ١١٤ .

[٢] ـ طعيمة ، صابر : الإباضيّة ، ص ٦٨ .

الجزائر، وترك أماكنهـا إلى القبـائل العربيّـة المندفعـة مـن الشـرق ، وبلـغ عـدد المقاتلـة مـن هـذه القبائل وغيرهم من شـيوخ ونسـاء وصبيـان بنحـو تسـعمائة ألـف [1] .

٧ ــ إن مـا عانـاه الإبـاضيّــة مـن منازعـات وحـروب داخليّـة بينهـم وبـين الفـرق الإسلاميّة الأخرى ، وما اتّسم به الإباضيّة من انغـلاق بعـد فعـولات المذهـب المالكي، والحماس إلى درجة التعصّب ، كـلّ هـذا جعـل المذهـب الإبـاضي في العصور الإسلاميّة الأولى لا يجد الوقت للراحة ولا الاستقرار للنضـج والتطـوّر الكامل حيث كان عرضة للاضطهاد ، ولذلك انشـغل الإباضيّـة عـن الفتـوح، إلى الوقوف موقف المتظلّم والمدافع عن النفس [2] .

---

[1] ـ أنظر ، الميلي ، مبارك بن محمد : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ٢٠٢ .

[2] ـ أنظر ، باجية ، صالح : الإباضيّة بالجريد ، ص ٥٧ .

الفصل الثاني

أهداف التربية عند الإباضيّة ووسائلها

◆ **الأهـداف :**

١ ـ الإمـامـة :

أ ـ مكانة الإمام في المذهب الإباضي .

ب ـ أسباب وجود الإمام الإباضي .

ج ـ الإمام هو الذي يشرف على نشر الدعوة .

د ـ ألقاب الإمام .

٢ ـ العقيـدة :

أ ـ الإمامة الإباضيّة هي الإمامة الشرعيّة .

ب ـ الصفـات .

ج ـ خلق القرآن .

د ـ نفي الرؤيـة .

٣ ـ إعداد الدعـاة :

أ ـ مراعاة الدور الذي يقومون به .

ب ـ الاهتمام بأحوال القلب .

ج ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

د ـ مشاركة الناس في حياتهم .

هـ ـ الأخوّة في الدين أقوى من النسب .

٤ ـ التشبّث بالأرض :

أ ـ العمل الزراعي .

ب ـ تربية الأبناء على حب الأرض .

ج ـ عدم هجرة الأرض .

◆ إستنتاجات .

◆ الـوسـائــل :

١ ـ التـجـارة :

أ ـ نشر الإسلام في غرب إفريقية .

ب ـ أول داعية إباضي .

ج ـ مناقشة نشر الإسلام في إفريقية .

٢ ـ التـقـيّــة :

أ ـ التقيّة عند الشيعة والإباضيّة .

ب ـ تطبيق التقيّـة .

ج ـ مناقشة التقيّة .

٣ ـ الحــجّ .

٤ ـ المنـاظـرة :

أ ـ مناظرة المعتزلـة .

ب ـ مناظرة غير المسلمين .

ج ـ مناظرة أهل السنّة والجماعة .

د ـ مناظرة الإباضيّة .

٥ ـ خطب الجمعة :

ـ أهمّيّة خطبة التحكيم في نشر المذهب .

٦ ـ تأليف الكتب .

٧ ـ الرسـائـل :

أ ـ رسائل في توضيح أمر الشريعة .

ب ـ رسائل في الأمور الدينيّة .

ج ـ رسائل في الردّ على المخالفين .

د ـ رسائل في الوعظ والإرشاد .

◆ استنتاجات .

أهداف التربية عند الإباضيّة ووسائلها

بـدت ملامـح النظـام التربـوي الإباضـي فـي الشـمال الإفريقـي واضحـة المعـالم فـي الدولـة الرستميّـة ، التي جعلت من تاهرت عاصمة فكريّة تحرص علـى اسـتقبال العلماء ، وتناقش آراءهم وتدعوهم إلى تبني أهدافها، وحمل دعوتها الداعية إلى الأهـداف التاليـة :

١ - الإمامــة

كان الخلاف حول الإمامة السبب الرئيسي في سحب تـأييد فرقـة مـن المسـلمين للخليفة عليّ بن أبي طالب ﷺ ، وأطلقوا على أنفسهم المحكّمة ، ومن هؤلاء الإباضيّـة ، الذين " يرون أنفسهم الممثلين الحقيقيين للأمّة الإسلاميّة ، وأنّ الإمــام يجـب أن يختـار مـن قِبل الأمّة اختياراً حرّاً بعيداً عن اعتبارات الأهـل أو القبيلـة أو الجنـس ، وأنّ الأمّـة تحتفـظ بحقّ عزل الإمام إذا أخلّ بشروط العقد بينه وبين الجماعة [١] ".

أ - مكانة الإمام في المذهب الإباضي :

لا يفصل الفكر السياسي الإباضي بـين الديـن والدولـة ، ويعطي الإمامـة دوراً مميّزاً ، والدليل على ذلك نظرية مسالك الدين ، التي تقتضي وجود إمام في مختلف الظروف والأحـوال ويعني ذلك أنّ الإمامة الإباضيّة هي إمامة روحيّة وسياسيّة واجتماعية .

وإذا كانت الإمامة عند الشيعة من صلب العقيـدة " وذهـابهم إلى تعيـين الإمـام بالنصّ لا باختيار ، وإلى عصمة الإمام واستناده إلى الالهام في أمره ونهيه ، وفقهه للكتـاب والسنّة [٢] "، فإنّ الإمامة عند الإباضيّة فرض " لفرض الله الأمـر والنهـي والقيـام بـالعدل

---

(١) ـ العقيلي : محمد رشيد : الإباضيّة في عُمـان وعلاقتهـا مـع الدولـة العباسيّة في عصرهـا الأول ، ص ١٦ ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، د . ت .

(٢) ـ عثمان، محمد فتحي : مـن أصـول الفكـر السياسـي الإسـلامي، ص ٣٦٦ ، بـيروت، مؤسسـة الرسالة، د . ت .

وإقامة الحدود ، على ما بيّنه في كتابه ، فاجتمعت الإمامة على هذه الحدود ، مع وجوبها ، لا تقام إلاّ بالأئمّة وولاتهم ، فثبت أنّ عقد الإمامة على المسلمين واجب وحقّ لازم [(١)] ".

وإذا كان الذي دعا إلى تنصيب الإمام عند الشيعة هو جواز الخطأ من الأمّة ، فإذا جاز الخطأ أيضاً من الإمام لاحتجنا إلى هاد آخر ، وهو مثله فيلزم ذلك التسلسل ، وأنّ الإمام هو حافظ الشريعة ، فيلزم أن يكون معصوماً حتّى يؤمن على حفظها ، وإلاّ احتاج إلى حافظ آخر ، وهذا يعني تنزيه الإمام عن الخطأ والإنحراف [(٢)] .

فإنّ الذي دعا إلى تنصيب الإمام الإباضي هو أنّ الأمر والنهي لا يتمّان إلاّ بإمام عادل ، فنصبه واجب إذا كان المسلمون على نصف عددهم الذي يتّقون شوكته ، ويردّ على القائلين بأنّ الناس إذا توفرت مصالحهم الدينيّة والدنيويّة فإنّ الحاجة إلى نصب الإمام غير واردة ، والدليل على ذلك أنّ أهل البادية الخارجين من أحكام السلطان قد انتظمت أحوالهم بلا إمام ؛ فإنّ ضرر عدم نصب الإمام أكثر ، لأنّ كثيراً من الناس ينقاد إلى مثله، فكيف إلى من أعظم ، وإذا كفر لم يترك على كفره ، فقتاله مأمور به شرعاً [(٣)] .

ب ـ أسباب وجود الإمام الإباضي :

إنّ أحكام الشريعة في المفهوم الإباضي " منوطة بالإمامة التي لا تقام إلاّ معها، فكلّ ما كان من الفرض لا يتمّ إلاّ به ، فهو فرض مثله ، والأمّة لا تجتمع على شيء ثمّ تختلف فيه [(٤)] ".

ولا يمكن تطبيق الشريعة في المذهب الإباضي إلاّ بوجود إمام للأسباب التالية :

---

(١) ـ الإباضي،أبو عمّار عبد الكافي: الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الردّ على أهل الخلاف، ج٢، ص ٢٢٣، تحقيق عمّار الطالبي، بيروت، مطابع الشروق ١٩٧٨ .

(٢) ـ أنظر ، أمين ، أحمد : ضحى الإسلام ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ .

(٣) ـ إطفيش، محمد بن يوسف : شرح عقيدة التوحيد بخطّ الحاج محمد بن الحاج صالح، ص٢٢٦، الجزائر، طبعة حجرية ١٣٢٨هـ .

(٤) ـ الإباضي عبد الكافي : الموجز ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

ـ إنّ قتال أهل البغي لا يحلّ إلاّ بوجود " إمام قائم بعد أن يدعوهم إلى الدخول في دين المسلمين ـ الإباضيّة ـ والخروج عمّا هم عليه من الباطل [1] ".

ـ لا يحقّ للإباضي أن يرفع قضيته إلى حاكم غير إباضي إلاّ إذا توفرت فيه ست خصال هي :

١ ـ " أن يكون معه على حقّه بيّنة عادلة .

٢ ـ أن يكون الذي عليه الحقّ عالماً بالذي عليه أو بعدالة البيّنة .

٣ ـ أن يكون ذلك الحاكم ممّا ليس فيه اختلاف بين المسلمين .

٤ ـ أن يكون مذهب الحاكم في ذلك الحكم موافقاً لمذهب المسلمين ـ الإباضيّة ـ .

٥ ـ لا يجوز لأحد من المسلمين ـ الإباضيّة ـ في زمان الفتنة أن يحكم بين أحد إلاّ في خصلة واحدة وهي أن يحكّمه الخصمان .

٦ ـ ولا يجوز لإباضي أن يتولّى حكماً بإذن من سلطان جائر إلاّ في خصلتين :

ـ أحداهما أن يأمره أن يزوّج امرأة ، فإنّه جائز له ذلك إذا علم أن ليس لها ولي ولا زوج ولا عُدّة من زوج .

ـ ثانيتهما أن يوكله ليتيم لا وصيّ له من أبيه ولا أهل له من المسلمين ، فإنّ ذلك جائز [2] ".

ويبدو من هذه الخصال أنّه لا يحقّ لأحد من الإباضية التعاون مع أنظمة لا تتّبع المذهب الإباضي ، أو لا يحكم فيها بالفقه الإباضي .

---

[1] ـ ابن قيس أبو إسحاق إبراهيم: مختصر الخصال، ص ١٩٣، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

[2] ـ ابن قيس : المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

ج ـ الإمام هو الذي يشرف على نشر الدعوة :

يوجّه الإمام في المذهب الإباضي الدعاة لنشر المذهب ، وبخاصّة بين الوثنيّين . " فالوثنيّون واجب قتالهم حتّى يدخلوا في الإسلام ، لا يقبل منهم غير ذلك ، والكتابيّون واجب قتالهم حتّى يدخلوا في الإسلام ، أو يعطوا الجزية وهم صاغرون [١] ".

والإمام هو الذي يجمع الجزية ، والتي يحددها الفقه الإباضي بأربعة دراهم في الشهر على الذمّي إن كان غنيّاً " وإن كان وسطاً فدرهمان ، وإن كان فقيراً فدرهم إلاّ في خمس خصال :

" أحدهما أن يكون عبداً ، الثاني أن يكون امرأة ، الثالث أن يكون صبياً أو مجنوناً ، الرابع أن يكون شيخاً كبيراً ، الخامس أن يكون راهباً ، قال وأمّا أهل الكتاب من العرب ، فعليهم في أموالهم ضعف ما على المسلمين من الزكاة ، ولا جزية عليهم من غير ذلك ، إن كان على المسلمين في ذلك المال العشر ، كان عليهم الخمس ، وإن كان على المسلمين نصف العشر كان عليهم العشر ونحو ذلك [٢] ".

والأحكام في المذهب الإباضي بحاجة إلى وجود إمام لتنفيذها ، وتتعطّل هذه الأحكام في حال عدم تنصيب إمام .

د ـ ألقاب الإمام :

يرى الإباضيّة أنّ الإمامة والخلافة والإمارة والرئاسة عبارات مختلفة في اللفظ متّفقة في المضمون العام ، وهي " رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص ، وهي خلافة الرسول ـ ﷺ ـ في إقامة الدين وحفظ حوزة الملّة [٣] ".

---

[١] ـ ابن قيس : مختصر الخصال ، ص ١٩١ .

[٢] ـ ابن قيس : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

[٣] ـ اطفيش : شرح عقيدة التوحيد ، ص ٤٣٧ .

ويرفض الإباضيّة أن يطلق على إمامهم اسم أمير المؤمنين ، و "لعلّهم تركوا ذلك لما سمعوا الناس يقولون بأمير المؤمنين للفسقة والظلمة من الملوك العتاة والجورة الطغاة [1] ".

لكن محمد بن يوسف اطفيش يبرّر عدم اطلاق لقب أمير المؤمنين على الإمام الإباضي ، بأنّ الإباضيّة " لم يكن لهم نفوذ منذ نشأتهم سواء في المشرق أو المغرب ، فإنّهم لم يتخذوا لأئمّتهم هذا اللقب [2] ".

وقد يطلق أحياناً على الإمام الإباضي لقب السلطان ، وهو " كناية عن الإمام ووجه التشبيه القدرة على إنفاذ الأمور والأحكام ، قال تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا [3] ﴾ [4] ".

لكن التسمية المحبّبة ، والتي يطلقها الإباضيّة على إمامهم هي الإمام " لأنّ الإمام حاكم عدل يعطي بحقّ ويأخذ بحق ، أمّا الملك فيأخذ بحق ، ويعطي بلا حق . أمّا السلطان وهو المتسلّط الذي يأخذ بلا حقّ ويعطي بلا حقّ [5] ".

ويفضّل الإباضيّة لقب الإمام ، لأنه يدلّ على معنى الإقتداء ، كاقتداء المأموم بأحكام الصلاة ، فضلاً عمّا ورد في ذلك من آيات القرآن الكريم لقوله تعالى ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا [6] ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا [7] ﴾ .

إنّ هدف الإباضيّة الأساس هو إقامة دولة وفق الآراء التي نادوا بها ، وخرجوا بها عن الخلافة الراشدة ، ومع ذلك فإنّهم يرون أنّ الدولة التي يسعون إليها هي " دولة إسلاميّة عادلة ، دستورها القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، وإن لم تتحقّق

---

[1] ـ ابن شامس : إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ، ص ٥٣ .

[2] ـ إطفيش، محمد بن يوسف: شرح كتاب النيل وشفاء العليل، ج١٤، ص٣٧٢،٣٧٣، بيروت، دار الفتح، ط٢، ١٩٧٢م.

[3] ـ سورة النساء ، الآية ١٥٣ .

[4] ـ الشماخي : مقدمة التوحيد وشرحها ، ص ١١٣ .

[5] ـ اطفيش : شرح مقدمة التوحيد ، ص ٤٢٧ .

[6] ـ سورة الفرقان ، الآية ٧٤ .

[7] ـ سورة البقرة ، الآية ١٢٤ .

الإمامة حينئذ ، يجب تصحيح الأوضاع بمختلف الوسائل والأساليب ، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإعلان الثورة ضدّ الجور والفساد ، وانتهاج سياسة اللين والعمل في الخفاء على الاصلاح وتغيير المنكر بالتي هي أحسن [1] ".

وبما أنّ الإمامة أساس لتطبيق الشريعة ، ونشر الدعوة ، فقد أجاز الإباضيّة "إقامة إمام بكل قطر ، ولا يجوز إقامة إمامين في قطر أو مصر واحد لما يتولّد على ذلك من شتات الشمل واختلاف الكلمة وتنازع النفوذ ، وهو ما استقرّ عليه العمل اليوم في سائر الأقطار الإسلاميّة [2] ".

ويؤيّد ذلك واقع التاريخ ، فقد عقدت الإمامة الإباضيّة في المشرق لطالب الحقّ [*] في حين كانت إمامة إباضيّة في المغرب .

لقد لقي هدف الإباضيّة صدى كبيراً لدى البربر في المغرب ، وبخاصّة أنّ الإباضيّة لا يقيدون الإمامة بعربي قرشي . وأنّ القرآن الكريم لا يشير إلى ذلك، بل يشير إلى طاعة ولي الأمر ، إذا التزم بشرع الله تعالى ، ودعموا رأيهم بقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ [3] ﴾ .

---

(1) - CHEIKH, BEKRI : Le Khorijisme berbere, quelques aspects du royaume rustumides , p 60, annales de l'institut d'études orientales, Alger , université d'Alger , tome 15, 1975 .

(2) - الثميني ، عبد العزيز : النيل شفاء العليل ، ص ٣ ، تحقيق عبد الرحمن بكلي ، غردايه (الجزائر) ، المطبعة العربية ، ط ٣ ، ١٩٦٩ .

(*) - هو عبد الله بن عمر الكندي ، أبو يحيى الملقب بطالب الحقّ ، إمام إباضي من اليمن ، خلع طاعة مروان ابن محمد ، وبويع له بالخلافة واستولى على صنعاء ومكّة المكرّمة ، اشتدّ خطره ، فوجه إليه الخليفة الأموي جيشاً بقيادة عبد الملك بن محمد السعدي ، ونشب بين الفريقين معركة انتهت بمقتل طالب الحقّ ، وكان ذلك عام ١٣٠هـ / ٧٤٧م .

(أنظر ، ١ - أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ١٣٢ .

٢ - الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ - ٢٦٣ .

٣ - الشماخي : السير ، ج ١ ، ص ٩٧) .

(3) - سورة النساء ، الآية ٥٩ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا [1] ﴾ .

وتبرز أهمّيّة الإمامة في المفهوم الإباضي ، بظاهرة غياب المنبر في مساجد وادي ميزاب وورجلان ، وهذا له علاقة أساسيّة بنظرة المذهب الإباضي لأداء صلاة الجمعة وشروطها .

ويعبّر عبد الله السالمي عن أهمّيّة الإمامة في المذهب الإباضي بقوله :

" والاهتمام بمصالح الورى فرض على كلّ امرئ ما قدرا
وإنّه لا يصلح البريّة شيء سوى العدل مع الرعية
والظلم لا تبنى عليه دار لأنّه الخراب والبوار [2] ".

وفقد الإباضيّة بعد سقوط إمامتهم في الدولة الرستميّة أهمّ شرط من شروط صحّة صلاة الجمعة ، حسب فقههم ، وهو الإمام العادل ، ففي غياب هذا الإمام الذي يعتبرونه الرئيس الديني والسياسي لجماعتهم ، فقدت صلاة الجمعة أهمّ شرط من شروطها ، لأنّ صلاة الجمعة لم تكن شعيرة دينيّة وحسب، وإنّما كانت أيضاً تجمّعاً سياسياً [3] .

٢ ـ العقيدة :

يتّفق الإباضيّة مع أهل السنّة والجماعة على أنّ المصدر الأوّل للشريعة هو القرآن الكريم ، وأنّ السنّة النبويّة الشريفة هي المصدر الثاني .

---

[1] ـ سورة النساء ، الآية ٥٨ .

[2] ـ السالمي، عبد الله : جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، ص ٥٦٢ ، مصر ، المطبعة العربية ، ١٣٤٤ هـ .

[3] ـ أنظر ، ناصر ، محمد : دور الإباضيّة في نشر الإسلام بغرب إفريقيا ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ، سلطنة عمان ، وزارة العدل والأوقاف والشئون الدينيّة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

ويرون أنّ الإجماع هو المصدر الثالث إذا استوفى الشروط ، وأنّ القياس هو المصدر الرابع على الأسس المنصوص عليها في كتب الأصوليّين ، ويأتي بعد ذلك الاستدلال والاستحسان والاستصحاب والالهام [1] .

ولقد شدّد الإباضيّة في الدعوة إلى مذهبهم على الأمور التالية :

أ ـ الإمامة الإباضيّة هي الإمامة الشرعيّة :

يعتقد الإباضيّة أنّ إمامتهم هي الإمامة الشرعيّة الصحيحة ، فالمسلمون يقرّون بأنّ خلافة عليّ بن أبي طالب ﷺ هي الخلافة الشرعيّة ، لكن عليّاً ﷺ أخطأ في القبول بالتحكيم . وبما أنّ المسلمين لا يمكنهم البقاء دون إمام ، لذلك اختير عبد الله بن وهب الراسبي إماماً للمسلمين .

ويؤكّدون وجهة نظرهم برسالة عليّ ﷺ إلى عبد الله بن وهب الراسبي ، والتي بيّن فيها خطأ الحكمين بقوله ﷺ : " بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب إلى زيد بن حصن وعبد الله بن وهب الراسبي ، ومن معهما من المسلمين، سلا عليكم ، فإنّي أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد فإنّ الحكمين الحُكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورهما وحكما بغير ما أنزل الله ، فبرئ الله منهما ورسوله ، وأنا منهما بريء فهلمّوا نعطيكم الرضى ، ونرجع إلى الأمر الأوّل نقاتل عدّونا وعدوّكم حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين [2] ".

واعتبروا أنّ إقرار عليّ ﷺ بالبراءة من الحكمين يقضي الرجوع إلى الأمر الأوّل ، وهو في نظرهم إعطاء البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي ، ولذلك ردّوا على

---

[1] ـ أنظر، بلوي، إبراهيم عبد العزيز : دور المدرسة الإباضيّة في الفقه والحضارة الإسلاميّة، ص ٧٢٣ .

[2] ـ الحارثي : العقود الفضية ، ص ٤٨ .

كتاب عليّ ﷺ بقولهم " وصل إلينا كتابك تذكر أنّ الحكمين نبذا كتاب الله وحكما بغير ما أنزل الله ، فقد علمنا والحمد لله أنّ أمرهما كان مخالفاً للحقّ من أوّله ، وأنت بتحكيمك إيّاهما أعظم جرما منهما وذكرت أنّك ترجع إلى الحقّ فتعطي الرضا وترجع إلى الأمر الأوّل ، فلسنا نردّ عليك بتوبتك ، فإن كنت صادقاً فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله ورسوله ﷺ ، وإمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي ، فقد بايعناه بعد خلعنا إيّاك لاستحقاقك منّا أن نخلعك ولا يسعنا إلاّ ذلك والسلام [1] ".

واستدلوا على أنّ خلافة بني أميّة هي خلافة غير شرعيّة حين نقلوا عن ابن عباس " أنّ في ما اشترط عليّ ومعاوية - ﷺ - كلّ منهما على صاحبه ، أنّه أيّما رجل أحدث حدثا من أصحاب عليّ - ﷺ - ودخل في دين معاوية - ﷺ - وحكمه، فليس لعليّ - ﷺ - إقامة الحدّ عليه لدخوله في دين معاوية - ﷺ - وحكمه ، وأيّما رجل أحدث حدثا من أصحاب معاوية - ﷺ - ودخل في دين عليّ - ﷺ - وحكمه ، فليس لمعاوية - ﷺ - إقامة الحدّ عليه لدخوله في دين عليّ - ﷺ - وحكمه ، فكيف يدخل في دين قوم قد أقرّوا على أنفسهم بأنّه أحدث حدثا منهم ففرّ من حكم الله عليه، وكره إقامة الحدّ بأن يقول دخل في دين معاوية - ﷺ - زال ذلك الحكم والحدّ عنه ، وكيف يدخل في دين عليّ - ﷺ - وأمره ، كذلك وزاد بأن خلع نفسه من إمرة المؤمنين [2] ".

لذلك رفض الإباضيّة حكم بني أميّة في المغرب ، وقاموا بالثورات المستمرّة ضدّ الدولة الأمويّة في المغرب ، وبعد ذلك ضدّ الدولة العباسيّة والمؤيّدين لها ، و " روى ابن القطّان في كتابة "نظم الجنان في تاريخ القيروان" أنّ عدد الوقائع التي تقاتل فيها العرب والبربر من لدن قتالهم مع عمر بن حفص إلى القضاء على فتنتهم ٣٧٥ واقعة ، وهي وقائع منكرة لا يغتفرها لهم تاريخ [3] ".

---

[1] ـ الحارثي : العقود الفضيّة ، ص ٤٩ .

[2] ـ الحارثي : المصدر السابق ، ص ٥٧ .

[3] ـ الثعالبي ، عبد العزيز : تاريخ شمال إفريقية من الفتح العربي إلى نهاية الدولة الأغلبيّة ، ص ١٨ .

ولم يعش البربر أحداث الخلاف بين عليّ ومعاوية ﷺ ، بل تلقّوا هذا الخلاف من المصادر الإباضيّة واعتبروا كل إمامة غير الإمامة الإباضيّة باطلة .

ب ـ الصفات :

خالف الإباضيّة في مذهبهم أهل السلف في صفات الله تعالى ، وشدّدوا في نشر دعوتهم على أنّ لله صفات واجبة وصفات مستحيلة . فالصفات الواجبة هي الصفات التي لا يمكن القول بوجود الله سبحانه بدونها ، وهي موجودة وجوداً لا يحدّه زمان ، وإنّما له الوجود المطلق ، والبقاء المطلق ، ولا نهاية لبقائه ، ولا يخلو منه مكان ، ولا تحيط به الألوان ولا تفنيه الأزمان ، وإلى جانب هذه الصفات الواجبة ، فإنّ هناك صفات مستحيلة عليه ، فكلّ صفة وجبت له امتنع عليه ضدّها ، فإنّه لو لم يكن كذلك لم يكن إلها ، فإذا كانت صفات العلم والقدرة قد وجبت عليه ، فإنّ ضدّها كالجهل والعجز تمتنع عليه [1] .

ومع أنّ العلماء المالكيّين أوضحوا خطأ ذلك ، فقد ردّ ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) " على الذي جاء يسأله يوماً يا أبا عبد الله ، الله سمّى نفسه أراد أن يقول له نعم ، فيثبت عليه الإقرار بحدوث الأسماء والصفات الحسنى ، فقال ابن سحنون الله سمّى نفسه لنا ولم يزل وله الأسماء الحسنى [2] " . إلاّ أنّ جهل معظم البربر للغة العربيّة ، جعل بعض القبائل البربريّة تتبنّى وجهة نظر الإباضيّة في الصفات .

ج ـ خلق القرآن :

أوضح الإباضيّة في نشر مذهبهم أنّ القرآن الكريم مخلوق لقوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا [3] ﴾ والجعل بمعنى الخلق ، ولأنّه

---

[1] ـ أنظر ، ابن شامس ، سالم بن حمود : طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي ، ص ١٠٧ ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

[2] ـ المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

[3] ـ سورة الزخرف ، الآية ٣ .

تعالى قال ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ [1] ﴾ وكلّ محدث مخلوق ، وأنّ معنى كلّم الله في قوله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً [2] ﴾ أي أوجد كلاما سمعه، فخرجوا بهذا التأويل من اللغة ، لأنّ تكلّم إليه أتى بالكلام من عنده، وترحّم الله أتى بالرحمة من عنده، كما يقال تخشّع فلان أتى بالخشوع من نفسه، وتحكّم أتى بالحكم من نفسه ، ولو كان المراد أوجد كلاماً لم يجز أن يقال تكلّم ، وكان الواجب أن يقال أكلم كما يقال أقبح الرجل أتى القباحة، وأطلب أتى بالطلب ، وفي أشباه لهذا كثير لا تخفى على أهل اللغة [3] .

ونقل أبو مهدي نصّاً من رسالة أبي اليقظان جاء فيه " إجتمعت الأمّة على أنّ القرآن كلام الله ولا يخلو هذا الكلام من أن يكون شيئاً أو ليس بشيء ، فإن كان ليس بشيء فإنّه اختلف فيه المختلفون وليس ثمّ شيء يختلف فيه المختلفون وينازع فيه متنازع، ولو صحّ أنّه ليس بشيء لبطل أن تكون رسل الله جاءت بشيء ، وأنّ الله عزّ وجلّ أنزل على أنبيائه شيئاً ، ولبطل أن يكون ثمّ توراة أو إنجيل أو فرقان فثبت أنّ كلام الله شيء [4] ".

وإن كنّا لا نجد إشارة إلى خلق القرآن لا عند الصحابة ولا عند التابعين . إلاّ أنّ " الكشف التاريخي يثبت أنّ الحضارة اليونانيّة ، والديانة اليهوديّة والمسيحيّة كلّها خاضت في مثل هذه القضية [5] ".

---

[1] ـ سورة الأنبياء ، الآية ٢ .

[2] ـ سورة النساء ، الآية ١٦٤ .

[3] ـ أنظر ، ابن قتيبة ، الاختلاف في اللفظ والردّ على الجهميّة والمشبّهة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

[4] ـ ابن إسماعيل ، أبو مهدي عيسى : الردّ على البهلوي ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، تونس ، المطبعة العلمية ١٣٢١هـ .

[5] ـ الجعبيري ، فرحات : البعد الحضاري للعقيدة الإباضيّة ، ص ٣٤٩ ، تونس ، مطبعة الألوان الحديثة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

وأوّل من تعرّض لهذه القضيّة في المحيط الإباضي هو ابـن يزيـد الفـزاري دون أن يكون لها أثر كبير في البيئة الإباضيّة [1] .

ويشير أبو مهدي عيسى بن إسماعيل إلى هذ الموضوع ويـرى أنّ القضيـة دخيلـه على إباضيّة عمان ، ومنطلقها من مدينة البصرة ، وذلك أنّ أبا شـاكر الديصـاني [*] ألقـى بين الناس فكرة قدم القرآن ، وما أن وصل صداها إلى عمان حتّى ثارت فتنة بين علمائهـا وكانت تقضـي إلى تصـدّع بينهـم ، ولـولا أنّهـم اصطلحـوا بسرعة على الوقـوف علـى الاجمـال وهـو أنّ ا لله تعالـى خالـق كلّ شـيء ، وما سوى ا لله مخلوق ، وأنّ القرآن كلام ا لله ووحيه وكتابه وتنزيله على محمّد ﷺ [2] .

د ـ نفـي الـرؤيـة :

شدّد المذهب الإباضي في دعوته على نفي الرؤية، واتخذوا من هذه القضية أصـلاً لمذهبهـم، واعتقدوا أنّ الرؤية تهدم التوحيد وأنكروها لتنزيه ا لله سبحانه وتعالى عن مشابهة الخلق .

واعتمد الإباضيّة في نفي الرؤية على النظريات القديمة التي تقول بأنّ الأبصـار يتمثّـل في انطلاق الشعاع من العين، ليتّصل بالمرئي ولينعكس على حدقـة الرائـي "ومعلـوم أنّ النظريّـة اليونانيّة تعزّز موقف الإباضيّة في نفي الرؤية وعدم جوازها عقلا لأنّها تفرض المواجهة بـين الرائي والمرئي والإحاطة به، وهذا مستحيل في حقّ ا لله تبارك وتعالى [3] ".

ونفي الرؤيـة جعلهـم يفسّـرون قولـه تعالـى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ [4] ﴾ بمعنـى استولـى بـالملك

---

[1] ـ أنظر ، الجعبيري ، فرحات : البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، ص ٣٥٠ .

[*] ـ يذكر أبو إسحاق اطفيش أنه يهودي تظاهر بالإسلام لأجل الدسّ وإلقاء الفتنة بين المسلمين .

(أنظر ، السالمي ، عبد ا لله : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمـان ، ج ١ ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ، تحقيـق أبي إسحاق إبراهيم اطفيش ، القاهرة ، طبعة حجرية ١٣٥٠ هـ) .

[2] ـ أنظر ، ابن إسماعيل ، أبو مهدي عيسى : الرد على البهلوي ، ص ١٨٠ .

[3] ـ الجعبيري ، فرحات : البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، ٢٩٩ .

[4] ـ سورة يونس ، الآية ٣..

والقوّة والتصرف كيف يشاء ، ويذهبون في أنّ العرش جسم عظيم، إلاّ أنّهم يذهبون في العرش منذهبهم في موضوع الاستواء " وإذا قيل لهم لِمَ خُصَّ العرش بالاستيلاء قيل لعظمته [١] ".

ـ كلمة لا بدّ منها ،

كان الأولى أن يردّ ولاة بني أميّة وغيرهم في الشمال الإفريقي على الإباضيّة ، الذين شهروا السيف وحاربوهم أن يبعثوا الدعاة والعلماء إلى المناطق الإباضيّة لشرح مفاهيم الإسلام ، ودفعهم إلى شهر سيوفهم في سبيل الله والجهاد داخل إفريقية ، أو نقلهم إلى شمال الأندلس لمتابعة الفتوحات الإسلاميّة .

إنّ خطأ الحكّام في التعامل مع الإباضيّة ، الذين يتّفقون مع " أهل السنّة في الكثير وتختلف في القليل ، فهم يعترفون بالقرآن والحديث كمصدر للعلوم الدينيّة ، ولكنّهم يقولون بالرأي ويأخذون بالإجماع [٢] " . أدّى إلى تجذير الخلاف ، وتبلور المذهب الإباضي الذي انعزل في جنوب الجزائر .

و لم يقم العلماء السنّة برحلاتهم إلى وادي ميزاب ، كما كانوا يفعلون في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، حين كانوا يتوافدون على تاهرت لمناقشة الإباضيّة في معتقداتهم .

وكان باستطاعة الدولة المرينيّة [*] العمل على التوحيد المذاهب الإسلاميّة في الشمال الإفريقي ، لأنّها امتازت بأنّها " أفسحت للمذهب المالكي الافساح الذي أذهب

---

[١] ـ الوهبي، محمد يوسف : تفسير هيمات الذات في ذكر دار المعاد ، ص١٦، زنجبار، المطبعة السلطانيّة ١٣٠٦هـ .

[٢] ـ الشكعة ، مصطفى : إسلام بلا مذاهب ، ص ١٣٦ .

[*] ـ بنومرين (٥٩١ هـ / ٨٧٥ م) (١١٩٥م/ ١٤٧٠م) سكن بنومرين المرتفعات المراكشيّة سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥م ، واستقلّوا عن الموحّدين إلاّ أنّهم بقوا يتربّصون للاستيلاء عليها وتقويض حكم الموحّدين . وفي سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م تمكّنوا من ضمّ المناطق الخاضعة لحكم بني زيان في الجزائر لحكمهم .

(أنظر ، بول ، استانلي لين : طبقات سلاطين الإسلام ، ص ٥٨ ، ترجمه للفارسيّة عباس اقبال ، ترجمه عن الفارسية مكّي طاهر الكعبي ، بغداد ، دار منشورات البصري ١٩٦٨) .

القطيعة التي كانت بين أئمّة المذهب المالكي في الدولة الموحديّة فبعد أن كانت الدولة في نظرهم مصدر المقاومة أصبحت تؤيّدهم وتأخذ بأيديهم [1] ". وبخاصّة لوجود علماء من البربر نالوا شهرة واسعة " كالجاناتي (ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م) الذي اجتمع على دروسه ما يزيد على أربعمائة طالب ، وهو لا حظّ له من العربيّة [2] ".

لقد كان بإمكان الدولة المرينيّة أن توجّه علماء المالكيّة الذين يجيدون اللغة البربريّة إلى الدعوة ومناقشة علماء الإباضيّة وفتح باب الحوار ، ومنع الأقليّات من التقوقع ، فيضيق الخلاف بالحوار والاختلاط ، ويمنع أهل الفرق من نشر آرائهم .

وإذا كان الأجداد لم يأخذوا المبادرة ، فينبغي أن لا نقصّر نحن في هذا المجال ، وبخاصّة أنّ نداء التوحيد الذي أطلقه الشيخ أبو اليقظان في افتتاحيّة مجلة " وادي ميزاب"، بعنوان " نحن وأنتم " حيث يقول " كفى ، كفى ، أيها السادة من نحن وأنتم ، فقد جعل من قوتنا ضعفاً ومن كثرتنا قلّة ، ومن عزّنا ذلّة ، ومن غنانا فقراً ، ومن علمنا جهلاً .

كفى كفى ، من قولكم هذا مالكي ، هذا حنفي ، هذا إباضي هذا تيجاني ، هذا قادري ، هذا عربي ، هذا قبائلي ، هذا شرقي ، هذا غربي ، فقد فتح هذا بين صفوفنا المتراصة للغير ثغرات واسعة ، نفذ منها إلى نفوسنا ، فأجّج نارها على بعضنا، وإلى قلوبنا فأفعمها حقداً على بعضنا ، وإلى ألسنتنا فأنطقها ضدّ بعضنا ، وإلى جموعنا فشتّت شملها ، وإلى أموالنا فبدّدها ، وإلى أخلاقنا فأفسدها ، وإلى قوميّتنا فأهانها ، وإلى بلادنا فجاس خلالها ، وإلى ديننا فهتك حرمته ... أفبعد كلّ هذا نبقى في " نحن وأنتم [3] ".

---

[1] ـ ابن المقنفذ القسنطيني ، أبو العباس أحمد بن الخطيب : الفارسيّة في مبادئ الدولة الحفصيّة ، ص ٣٤ ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ، تونس ، الدار التونسيّة للنشر ١٩٦٨ .

[2] ـ ابن المقنفذ : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

[3] ـ إبراهيم ، الشيخ أبو اليقظان : نحن وأنتم ، ص ١ ، جريدة وادي ميزاب ، عدد ٢٦ ، الأول من نيسان ١٩٢٧ .

٣ ـ إعداد الدعاة :

إكتملت صورة المذهب الإباضي ، وتمّ تحرير أقواله وآرائه في صورتها النهائيّة ، في أواخر آيّام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة [*] في البصرة ، وهي المركز الأساسي للدعوة الإباضيّة حتّى نهاية القرن الثالث الهجري ، ومن البصرة "حمله طلبته الذين وفدوا عليه من المغرب والمشرق إلى بلدانهم التي أضحت، من بعد ، مراكز لدول إباضيّة هامّة لعبت دوراً سياسيّاً خطيراً في جنوب الجزيرة وشرقيها . اليمن وحضرموت ثمّ عمان ، وفي شمال إفريقيا : ليبيا ، تونس ، الجزائر ، وقد عرف هؤلاء التلاميذ باسم خاصّ تطلقه عليهم كتب السير والطبقات الإباضيّة هو اسم "حملة العلم" وبمجهود حملة العلم تأسّست الدولة الإباضيّة في شمال إفريقيا [١] ".

ـ مراكز إعداد الدعاة :

لم يكن في المغرب ما نسميه اليوم معاهد أو مدارس مخصّصة لاعداد الدعاة ، وإنّما كان دعاة المذهب يأخذون مبادئ المذهب وأهدافه في سرداب سرّي أو مغارة أو كهف ، أو ظلّ شجرة ، أو تحت عريش ، وبعد ذلك ينطلقون للدعوة لمذهبهم في الأرجاء .

وكان يختار ، في بداية الدعوة الإباضيّة في المغرب، بعض الشباب من البربر للذهاب إلى مركز المذهب في البصرة "ليتلقّوا أصول المذهب على أيدي أئمته وشيوخه الكبار، ثمّ يعودون إلى بلادهم ويقومون بنشره بين أهليهم، فذلك أجدى وأنفع ، لأنّهم بطبيعة الحال أعلم بلغة [**] الأهالي، وعاداتهم وتقاليدهم [٢] ". ويعملون على إعداد الدعاة وفق الأسس التي تعلّموها .

---

[*] ـ توفّي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة واشتهر بالقفّاف في ولاية أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي . (أنظر ، الشماخي : كتاب السير ، ج ١ ، ص ٧٨) .

[١] ـ ابن خلفون المزاتي : أبو يعقوب يوسف : أجوبة ابن خلفون ، ص ١١ ، تحقيق وتعليق عمرو خليفة النامي ، بيروت ، دار الفتح ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

[**] ـ ممّا لا شكّ فيه أنّ الدعاة وفيهم الفارسي والبربري كانوا يتلقّون أصول المذهب الإباضي باللغة العربيّة في البصرة، ونميل إلى أنّ ضعفهم في علوم اللغة العربيّة جعلهم يتقبلون التعاليم الإباضيّة دون مناقشة أو جدال .

[٢] ـ عبد الحليم ، محمد رجب : الإباضيّة في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضيّة عمان والبصرة ، ص ٨٢ ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ١٩٩٠ .

تلقى دعاة الأمصار العلم وأصول الدعوة على يدي الإمام أبي عبيدة ، الذي أقام مدرسة للدعاة الإباضيّة في سرداب سرّي لا يعرفه إلاّ الدعاة ، وجعل فيه سلسلة بيد حارس يصنع القفاف عند باب السرداب ، فإذا مرّ أحد حرّك الحارس السلسلة الحديديّة، فيتوقّف أبو عبيدة عن إلقاء دروسه ومحاضراته ، ويشتغل وتلاميذه بصنع القفاف التي يضعونها إلى جانبهم ، وعندما يطمئنّ الحارس إلى زوال الخطر يحرّك السلسلة من جديد فيعود أبو عبيدة إلى إلقاء دروسه وتوجيهاته [(١)] .

وانتشر المذهب الإباضي في ولاية إفريقية والمغرب الأدنى بصفة خاصّة ، والمغرب الأوسط بصفة عامّة ، وأخذ الدعاة على عاتقهم حمل الفكر الإباضي إلى أقاصي البلاد بعيداً عن نفوذ الدولة الأمويّة ثمّ الدولة العباسيّة .

وانطلقت الدعوة الإباضيّة في إعداد دعاتها ، الذين امتازوا بالتطبيق العملي للمذهب واتّبعوا " مسلكاً من مسالك الدين عندها ، ألاّ وهو مسلك الكتمان الذي يقوم على إقامة الحلق العلميّة السريّة ، التي ترمي إلى تكوين الدعاة ، الذين سيقيمون أركان الإمامة الإسلاميّة ، إمامة الظهور ، وتبليغ مفهوم الإسلام الحقّ للأمازيغ ـ البربر ـ الذين اضطهدهم ولاة بني أميّة ، ثمّ ولاة بني العباس أيّما اضطهاد [(٢)] ".

وكان يشدّد في إعداد الدعاة على الأمور التالية :

أ ـ مراعاة الدور الذي يقوم به الداعية :

يراعي الداعية الإباضي الواقع الذي يعايشه ، فهو يعرف أنّ عليه نشر المذهب وسط بيئة تحاربه ، لذلك كان العلماء الإباضيّة يتابعون دعاة المذهب ، حتّى لا يدفعهم حماس الدعوة إلى تصرّف غير مدروس ، ينتج عنه الاضرار بالدعوة ودعاتها . فعندما

[(١)] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٢٠ .

٢ ـ الحارثي : العقود الفضيّة ، ص ١٤٧ .

[(٢)] ـ الجعبيري ، فرحات : دور المدرسة الإباضيّة في الفقه والحضارة الإسلاميّة ، ص ٤٩٦ .

يشيع أحد الدعاة ، نتيجة الفوضى السائدة في المغرب بأنّنا " لسنا في دفاع ولا ظهور ، ولا كتمان ، ولا في شراء ولكن زماننا سائب لتضييع الناس القيام بالحق ، ولا يعني السائب وجه في الدين خامس [1] ". يوجّهه شيخه مباشرة عبر الدعاة بقوله " أخبروه أنّ مسالك الدين أربعة ، الكتمان ، وهو الأمر السابق لرسول الله ﷺ بمكّة ، ثمّ الظهور كحالة المدينة ، ثمّ بعده أمر بالجهاد ، ثمّ الدفاع كدفاع أهل النهروان الرافضين لحكم ابن العاص وعبد الله بن قيس ، ثمّ الشراء كأبي بلال [2] ".

وتقتضي مراعاة الواقع الاستماع أكثر من الكلام ، وكان يشدّد على الدعاة الالتزام بالتعليمات التالية :

١ ـ إلتزام الصمت " فعليك يا أخي ، فيه تغلب الشيطان وإيّاك أن تضحك بغير عجب أو تمشي في غير أرب [3] ".

٢ ـ أن يوصل الدعوة إلى كلّ الناس ، لا يصرفه عن الدين منصب ، وأن يؤمن بأنّ العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان ، فإن ردّ عليه شيء من علمه ، أو تهوّن بشيء من حقّه غضب .

٣ ـ أن لا يكون الداعية كالعالم الذي يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ، ولا يرى أهل الحاجة له أهلا .

٤ ـ أن لا ينصّب الداعية نفسه للفتيا ، فيفتي بالخطأ ، والله يبغض المتكلّفين .

٥ ـ أن لا يتّخذ الداعية علمه مروءة ونبلا وذكرا بين الناس .

٦ ـ أن لا يستفزّ الداعية الزهو والغضب ، وإن وُعِظ أنف [4] .

---

(1) ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ .

(2) ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .

(3) ـ الجيطالي، أبو طاهر إسماعيل بن موسى: قناطر الخيرات ، ج ١ ، ص ١٩٧، حقّقه وعلّق عليه عمرو خليفة النامي، القاهرة، مكتبة وهبة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

(4) ـ أنظر الجيطالي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

ب ـ الإهتمام بأحوال القلب :

إنّ واجب الداعية الإباضي هو العمل على قيام الإمامة وفق المفهوم الإباضي ، ولن يفلح داعية انغمس في الدنيا ، لأن علماء الدنيا يتتبّعون ما ييسّر لهم طلب المعاش . وأن يبتعد عن الغرور وعن ما يسميه البطّالون من أبناء الدنيا فاضلا عالما ، وجزاؤه من الله تعالى ألاّ ينتفع في الدنيا بقبول الخلق صافياً من الحوادث .

وأن يعلم أنّه إذا انصرف إلى الدنيا يردّ يوم القيامة متحسّراً على ما يشاهده من ربح العاملين، وفوز المقرّبين، وذلك هو الخسران المبين، ولقد صدق من قال :

الطرق شتّى وطرق الحقّ مفردة
والسالكون طريق الحقّ أفراد
لا يُعرفون ولا تدرى مقاصدهم
فهم على مهل يمشون قصّاد
والناس في غفلة عمّا يُراد بهم
فجلهم عن سبيل الحقّ رقّاد [1].

ج ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ينطلق الداعية الإباضي في دعوته إلى إنكار واقع يراه مخالفاً لمفهوم المذهب الإباضي ، ويريد له أن يعود إلى مساره الصحيح ، فهو في غاية دعوته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ويلتزم الداعية ، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، باللين والمرونة ، ويتّبع الخطوات التالية :

١ ـ إذا رجا الداعية قبول أهل المنكر وأمكنه القول ، كان واجباً عليه أن ينهى عنه، وإن يئس، لم يكن عليه أن ينهى إذا كان نهى مرّة واحدة، لأنّ

---

[1] ـ أنظر ، الجيطالي : قناطر الخيرات ، ص ٢٣٧ .

النهي مع الإياس بعد ذلك يكون نفلاً ، ومع الرجاء وغلبة الظن يكون فرضاً، وهو يدعو إلى المعروف، وينهى عن المنكر لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً [1] ﴾ .

٢ ـ رحابة الصدر في النقاش ، فتغيير المنكر يحتاج إلى فترة زمنيّة ، وعلى الداعية أن لا يملّ ولا ييأس ، ويتذكّر أنّ الله تبارك وتعالى ذمّ قوما تركوا الانكار على أهل السبت، ومدح قوماً أنكروا عليهم ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [2] ﴾ .

٣ ـ يتتبّع المنكر للنهي عنه، وعليه أن يأتي مذاهب أهل الخلاف ليناظرهم مع الرجاء أنّهم يقبلون منه، وإن لم يستطع فعليه أن يظهر الكراهية لما هم عليه [3] .

د ـ مشاركة الناس في حياتهم :

تستجيب الناس لمن يشاركها الهموم والأحزان ، ويكون أمامها في المصائب التي تنزل بها ، وتكون على استعداد لقبول النصح والارشاد .

وحرص الداعية الإباضي على مشاركة الناس أحزانها ومؤاساتها في مصابها ، فكان الداعية الإباضي مثلاً يشارك في تشييع الجنائز حتّى يأنس الناس إليه ، وعند الدفن يذكّر بسنن الجنائز التي جعلها الفقه الإباضي في خمس عشرة خصلة هي :

١ ـ " حمل الجنازة على سرير وهو النعش .

٢ ـ المشي خلفها .

---

[1] ـ سورة فصلت ، الآية ٣٣ .

[2] ـ سورة الاعراف ، الآية ١٦٤ .

[3] ـ أنظر ، البهلوي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة: كتاب الجامع ، ج ١ ، ص ١٨٠ ـ ١٨٢، حقّقه وعلّق عليه عيسى يحيى الباروني، بيروت، مطبعة الوطن، ط٢، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٣ ـ من شيّعها فلا ينفصل عنها حتّى يدفنها .

٤ ـ تلحيد القبر لها .

٥ ـ أن يسل من قبل رأسها .

٦ ـ أن يلي وضعها في القبر أولى الناس بها .

٧ ـ أن يقول إذا وضعها في اللحد بسم الله وعلى ملّة رسول الله ـ ﷺ ـ .

٨ ـ أن يسدّ عليها باللبن قبل التراب .

٩ ـ أن لا يدفن إلاّ بتراب .

١٠ ـ أن يسجر القبر عند وضعها فيه وكذلك النعش .

١١ ـ أن يسنّم القبر .

١٢ ـ أن يرشّ القبر .

١٣ ـ أن لا يقعد حتّى يوضع عن عواتق الرجال .

١٤ ـ ترك الحديث في أمر الدنيا عند تشييعها حتّى يفرغ منها .

١٥ ـ التعزية بها إلى أهلها [١] ".

يبدو ظاهر هذه الأمور بسيطاً ، لكنّه في الواقع أقوى أثراً وأشدّ تأثيرا في مجال الدعوة ، ولو شارك العلماء الناس أحزانها ، لاستجابت الناس لعلمائها .

إنّ الفرق الإسلاميّة التي تسترشد بأقوال علمائها ، هي في الغالب الفرق التي لا يغيب علماؤها عن مشاركتها الهموم والأحزان ، وتكون على استعداد كامل لتقبّل الكثير ممّا يقال لها .

ولا تقتصر مشاركة الداعية الإباضي على الأحزان ، بل يعالج المشاكل على ضؤ الفقه الإباضي ، وتذكر المصادر الإباضيّة أنّ بني ورتيزلن اشتكوا إلى عالمهم من سؤ

---

[١] ـ ابن قيس : مختصر الخصال ، ص ٩٣ .

تصرّف الداعية الإباضي الذي حكم على رجل بصُداق امرأته بغير إقرار ولا شهادة ، واختصم عنده رجلان في أمر الشفعة فأبطلها للشفيع الذي ادعاها ، ومات رجل من بني ورتيزلن فأكل وصيّته .

وبما أنّ الداعية يجب أن يكون فوق الشبهات فقد استدعي ليجيب على شكاوى الأهالي ، فبيّن أنّه حكم بطلاق الزوجة لإقرار الزوج بالنشوز ، وأمّا الشفعة فإنّ نخلة على مجرى العامّة ، فطلبها رجل من تلك العامّة بالشفعة ممّن اشتراها من صاحبها فلم أحكم له، ثمّ قال، أمّا أمر الوصيّة، فإنّ الرجل الذي مات من بني ورتيزلن قد استخلف امرأته على وصيّته، فجاءتني في أمر الوصيّة ، فقالت لي : أرسل معي من يعلّمني كيف أنفذ الوصيّة، فأرسلت معها الصبي ، وهو ابني ، وبلغني أنّها تصدّقت عليه من تلك الوصيّة بربع شاة لحم فلم آكله [1] ، فما كان من الشاكين إلاّ أن اعتذروا له .

هـ ـ الأخوّة في الدين أقوى من الأخوّة في النسب :

شدّد الإباضيّة على روابط العقيدة فيما بينهم ، وطبّقوا ذلك على أرض الواقع ، وتحفل المصادر الإباضيّة بالعديد من المآثر في هذا المجال ، فمن ذلك ما ذكره الدرجيني من " أنّ أبا الحرّ كان في المسجد جالساً في حلقة ، فقدم أخوه الحسن من العراق ، قال فأقبل يريده متى جاء إلى الحلقة ، ظنّ أنّه يقوم إليه ، فلم يقم إليه ، وأخذ أخاه بيده ، وهو جالس ، قال و لم يكن يراه منذ زمان ، قال فبينما هو كذلك ، إذا طلع إليه رجل من أهل عمان ، فلمّا نظر إليه أبو الحرّ قام قائماً ، وخرج إلى الحلقة فتلقّاه فاعتنقه وقبّل صفحتي عنقه ، ورحّب به . قال فسقط في يد أخيه ، فقال له أخوه هذا على غير مودّتك لأنّ المودّة على الدين وأنت على النسب [2] ".

و لم تقتصر الدعوة على الرجال ، بل كان للنساء دور بارز في الدعوة ، وكنّ يجتمعن للتداول في أمر الدعوة ، و لم يقتصر أمرهنّ على الدعوة ونشاطها ، بل كنّ

---

[1] ـ أنظر ، أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٨ .

[2] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

يتمنّين الفناء في خدمة دعوتهنّ . وقد اجتمعت ثلاث نسوة " يوماً بجبل نفوسه وتحدثن فأمضى بهنّ الحديث إلى الأماني حتّى قالت إحداهن : أتمنّى لو أنّ الله ساقني إلى قوم جهال فأعلمهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ، فيرحمني الله بما أعلمهم ، من فضل العلم والتعليم ، وقالت الثانية : أتمنى أن لو آوي إلى نفرٍ من المسلمين ، في ليلة ذات مطر وبرد قد بلّلهم المطر ، وتمكّن منهم الجوع والبرد ، فأنهض فأعالج لهم ما يذهب عنهم البرد والجوع فيرحمني الله بهم لفضل الصدقة وحرمة الصالحين .

وقالت الثالثة : أتمنّى لو تزوّجني رجل ذو غلظة وفظاظة ، فيحملني ما يعجز عنه مثلي ويكلّفني خدمة فوق طاقتي ، ويؤذيني بأنواع من سؤ العشرة ، فأصبر على ذلك وأطيعه ، فأنال بذلك خيراً فيرحمني الله بفضل حسن التبعّل ، والصبر على الأذى ، قيل فقضى الله عز وجل أمنية كلّ واحدة منهن [1] ".

ويظهر هذا الحوار مدى تفاني الإباضيّات ، في الدعوة إلى مذهبهنّ في الشمال الإفريقي .

٤ ـ التشبّث بالأرض :

بدأ انحسار المذهب الإباضي في الشمال الإفريقي ، بعد سقوط الدولة الرستميّة ، (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) ، وبعدما كانوا كثرة أصبحوا ينحسرون في منطقة وادي ميزاب ووارجلان ، ونعتقد أنّ سبب انحسار المذهب الإباضي يعود إلى عدّة أمور منها :

أ ـ الحروب الكثيرة التي خاضها الإباضيّة لقيام دولتهم ، ولإعادة قيامها بعد سقوطها .

ب ـ محاولة الحكّام إعادة الإباضيّة إلى المذهب المالكي والقضاء على القيادات الإباضيّة .

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

ويروي الشماخي في هذا المجال أنّ أحد شيوخ الإباضيّة الأغنياء ، وهو أبو باديس أبخت بن باديس اليكشني ، قد ربّى فرسين فأحسن تربيتهما وتأديبهما ، ثمّ أهداهما إلى المعزّ بن باديس الصنهاجي مداراة ، فقبلهما منه وفرح به وبهما وأكرمه . فكره وزراؤه ذلك فطعنوا فيه وأفسدوا قلب المعزّ عليه ، قالوا : أقتله فإنّه من الإباضيّة وقد أمكنك ورأيت عظم ما أتاك وكيف ما خلّف وراءه لئلا يخالف عليك . فقال لهم كيف الحيلة إلى قتله وقد عرف القاصي والداني قبولنا لهديّته ، قالوا : تأمره أن يلاعب أسد السخط ـ وهو الأسد الصفاري العادي ـ بفرسه فيهلكه ، واستطاع الشيخ أبو باديس قتل الأسد ونجا بنفسه [1] .

لذلك حرص الإباضيّة على التشبّث بالأرض، وبخاصّة في وادي ميزاب وورجلان ، لأنّ ضياع الأرض يؤدّي إلى ضياع المذهب ، وعدم وجود أرضيّة ينطلق منها المذهب ويعيش عليها يؤدّي إلى تآكل المذهب واضمحلاله .

شدّد المذهب الإباضي ، بعد القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، على التشبّث بالأرض ، وليحافظ على حيّز البقعة التي يقيم عليها عمِل على تحقيق الأمور التالية :

أ ـ العمل على زراعة الأرض :

انصرف الإباضيّة في مناطقهم إلى الاهتمام بأرضهم ، فحفروا الآبار وكانوا " يهبطون وسط الصخور على عمق ٧٠ متراً ، ثمّ تتقطّع بهم الحبال ، أو تشتعل فتائل البارود رغماً عنهم فيطفئونها بأجسادهم أو تنهال عليهم الأحجار والرمال ، لقد دفعوا من حياتهم ثمن الحياة لهذا الوادي الشحيح المياه وحفروا بوسائلهم البدائيّة أكثر من ثلاثة آلاف بئر يتجاوز عمق الكثير منها ٨٠ متراً [2] ".

---

[1] ـ أنظر ، الشماخي : السير، ج ٢ ، ص ٦٠ ـ ٦١ .

[2] ـ قنديل، محمد المنسي : وادي ميزاب تراث جزائري حي ، ص ١٣٧، مجلة العربي، العدد٤٤٥، الكويت، كانون الأول ١٩٩٥.

وعمل العلماء بالأرض ، وحثّوا على الزراعة ، وكان أحد العلماء يقول " من حرث زرعاً وحصده ودرسه وطحنه وعجنه ، وأطعمه الجبابرة بمنزلة من أطعمه الأولياء فلكليهما حظّ في الثواب ، وكلاهما يكتب عند الله صدقة [1] ".

وكان الإباضيّة إذا أرادوا أن يهدوا ، كانوا يهدون الأرض ، كالعالم الذي أراد الارتحال عن بني ورتيزلن " فسارعوا إليه بالحمولات وارتحلوا به إلى " أجلو " ، فمنحوه أرضاً عظيمة فعمرها [2] ". ولتبيان ارتباط الإباضي بالأرض ، يقول المثل الميزابي " يقول الرجل للنخلة ، هل تريدين أن أرْويك اليوم ؟ تقول النخلة : لا... يقول لها هل تريدين أن أشذّب سعفك اليوم ؟ تقول النخلة : لا، يقول لها : هل تريدين أن أسوّي أليافك اليوم ؟ تقول النخلة : لا... يقول لها : ماذا تريدين إذاً ؟ تقول النخلة : أن تزورني مرّة في اليوم [3] ".

ويبدو تعلّق الفلاح الميزابي بأرضه أنّه " يقضي كلّ نهاره وجزءاً كبيراً من ليله في حقله وبستانه في كدّ ... ويسقيها من الآبار العميقة بنزح الماء منها بجَمَله أو بغله أو حماره أو بكليهما . وقد يكون فقيراً مدقعا لا يطيق ثمن الدابة ومؤنتها ، فينزح الماء بساعديه يجرّ بهما الدلو الكبيرة [4] ".

ب ـ تربية الأبناء على حبّ الأرض :

نشّأ الإباضيّة أبناءهم على حبّ الأرض ، واتّبعوا في ذلك الخطوات التالية :

١ ـ مصاحبة الأطفال إلى بساتينهم خارج المدينة ، ومكوثهم فيها جلّ النهار يعملون ويلعبون ، وكان المثل السائر الذي يعيه كلّ أب وكلّ أم وكلّ أسرة في تربية أطفالها " من ليست له غابة يجنح أبناؤه " لأنّ الغابة والمراد بها البستان

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

[2] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ .

[3] ـ قنديل ، محمد المنسي : وادي ميزاب تراث جزائري حي ، ص ١٣٦ .

[4] ـ دبوز ، محمد علي : أعلام الاصلاح في الجزائر ، ج ١ ، ص ٤٧ .

والحقل ، هي التي تبني شخصيّة الطفل فيتقوّى عقله وخلقه وجسمه . فلذلك اتّخذت كلّ أسرة في ميزاب بستاناً أو بساتين ، لا للمعاش فحسب ، ولكن لتربية الأبناء وحفظهم أيضاً [1] .

٢ ـ كان الآباء يدرّبون أبناءهم الصغار على تسلّق النخيل ، وقد يسقط الطفل منه فينكسر ويشرف على الموت ، وإذا شفي أسرع إلى النخلة يستأنف تعلّم تسلّقها . وكان الميزابيون يرون أنّ الرجل الذي لا يحسن تسلّق النخلة السحوق عاجزاً ضعيفاً لا شرف له ، فيحتقرونه ولا يبالون به ، لأنّ تسلّق النخلة تربية لا بدّ منها . فلذلك ألزموها كلّ رجل ليكون شجاعاً مغامراً قوي الخلق والجسم [2] .

ج ـ عدم هجرة الأرض :

اضطر الإباضي إلى الاغتراب لضرورة اقتصاديّة ، وحتّى لا ينتقل الإباضي مع أسرته إلى مكان عمله بعيداً عن أرضه، فإنّ الإباضي الذي يهاجر للعمل ، لا يسمح له باصطحاب أسرته معه، لأنّ هجرة الأسرة مع ربّ العائلة يؤدّي إلى :

١ ـ هجرة الأرض نهائيّاً والإقامة في أماكن العمل ، وبذلك تضمحلّ التجمّعات الإباضيّة من جديد .

٢ ـ ينفقون أموالهم في أماكن غير إباضيّة ، بينما مناطقهم بحاجة إلى هذه الأموال ، ويحرمون بلادهم وشعبهم من خيرهم [3] .

واتّخذوا سلسلة من الإجراءات التي تشجّع الرجل على ترك أسرته وسط التجمعات الإباضيّة منها :

---

[1] ـ أنظر ، دبوز ، محمد علي : أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

[2] ـ أنظر ، دبوز ، محمد علي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٩١ .

[3] ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في الجزائر ، ص ٥٤١ .

١ ـ إنشاء المجلس الديني للنساء ، الذي يشرف على تثقيف المرأة الإباضيّة وتربيتها تربية دينيّة صحيحة ، ومراقبة المجتمع النسوي والأعراس والمآتم ، لكي لا يقع فيها إسراف أو مخالفة للمذهب الإباضي . وإذا تمرّدت امرأة ، و لم تجد فيها الموعظة تبرّأ منها المجلس الديني النسوي في مسجد النساء ، فتقع فيما يقع فيه الرجل بالبراءة فتسرع إلى التوبة [1] .

٢ ـ تتولّى المرأة التي يغترب زوجها مهام إجتماعيّة " وألقيت عليها مسؤوليّة الاستقرار في الوطن ، والمحافظة على مثاليات الأسرة التي يوجّهها الدين ويقرّها العرف الحسن ، فتثبت في مكانها كقاعدة تدور حولها شؤون الأسرة جميعاً ، ينشأ تحت رعايتها الأطفال ويساعدها الأجداد ، ويشترك معها الزوج في رسم المسيرة عندما يحضر [2] ".

ـ استنتاجات :

لقد تعامل الفكر الإباضي مع واقع ، واستطاع تحصين نفسه ، ونشر دعوته . ونستنتج من الأهداف التي سعى إليها المذهب الإباضي لتثبيت وجوده ، واستمراره في المغرب العربي أنّ أيّ حركة سياسيّة لا ترتكز على أسس فكريّة تؤمن بها وتدافع عنها ، يكون مصيرها الفشل .

واستطاعوا من خلال مفهوم التشبّث بالأرض إطلاق مفهوم تنموي بجعل مصادرهم الماليّة تنصبّ على مجتمعاتهم ، وتعمل على تطوير مناطقهم ، وتسمح بإيجاد فرص عمل للذين لم يغادروا تجمعاتهم .

إنّ الفكر التنموي عند الإباضيّة نابع من تفكيرهم ، وباعتبارهم أقليّة تودّ الحفاظ على وجودها وخصائصها .

---

[1] ـ أنظر ، مدني ، توفيق : تاريخ الجزائر ، ص ١٠٨، الجزائر، د.ت .

[2] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في الجزائر ، ص ٥٤١ ـ ٥٤٢ .

وتعود أزمة الفكر التنموي الإسلامي إلى أنّ معظم الدارسين لقضايا التنمية والتخلّف في العالم الإسلامي تلقوا تعليمهم في الغرب ، فجاء تفكيرهم معبّراً عن انتماءاتهم العلميّة الماديّة أكثر من تعبيره عن تراث أمّتهم الحضاري وواقعها الاجتماعي .

ومن هذا المنطلق لم يجد بعضهم غضاضة في طرح الأفكار والنماذج التنمويّة الغربيّة لمواجهة مشاكل وتحدّيات التنمية في العالم الإسلامي . فكانت هذه النماذج بعيدة عن الواقع الإسلامي بارهاصاته وتحوّلاته ، و لم تتمكّن من التأثير في هذا الواقع بقصد تغييره وتطويره . .

والمطلوب هو مراجعة الذات ، وإعادة الحسابات ، بقصد وضع الأسس التي تسمح بانطلاق فكر إسلامي يعكس الأمل الإسلامي ويسعى إلى تغيير الواقع الإسلامي نحو الأفضل .

- الوسائل :

سعى الدعاة الإباضيّون إلى نشر مذهبهم عبر الوسائل التالية :

١ - التجارة :

كان ارتباط الدعوة إلى الإسلام بالتجارة من أهمّ العوامل المساعدة على انتشار الإسلام بين البربر ، في شمالي إفريقية ، وبين سكّان الجنوب والغرب منها . إذ إنّ التجارة ميدان عملي تمتحن فيه العقيدة والأخلاق والسلوك اليومي . " والتجارة هي الميدان العملي الذي توضع فيه تلك القِيَم للامتحان مع الآخرين ، وما من شكّ في أنّ أهل تلك البلاد الذين كانوا يتعاملون مع التجّار المسلمين ، كانوا يلحظون ما يمتازون أو يتميّزون به عن غيرهم ، ممّا يجعلهم يتساءلون عن القوى الروحيّة الخصبة التي تقف وراء هذا السلوك ، وذلك ما يدفعهم إلى التعرّف على الدين الإسلامي ، مقارنين بينه وبين ما هم عليه من بدائيّة ووثنيّة [1] ".

---

[1] - ناصر ، محمد : دور الإباضيّة في نشر الإسلام بغرب إفريقيا ، ص ١٢ .

إنتشر المذهب الإباضي على يد تجّاره القادمين من مراكز دعوته ، وقد قامت مصر بدور هامّ في هذا التبادل التجاري الذي قام بين المشرق والمغرب ، وكانت تمثّل حلقة الوصل أو المحطة الرئيسيّة التي كانت تعبر عليها التجارة بين عُمان والبصرة من جهة وبين بلاد المغرب من جهة أخرى [1] "، وانتشر المذهب الإباضي بين البربر وفي مناطق من المغربين الأدنى والأوسط حتّى وصل إلى مدينة زويله التي تعتبر أوّل حدود بلاد السودان ، والتي كان معظم سكّانها من الإباضيّة [2] ، وكانت ملجأ للإباضيّة الذين هربوا من بطش الفاطميّين بعد سقوط الدولة الرستميّة [3] .

وأدّى تدفّق التجّار الإباضيّة إلى انتشار المذهب الإباضي بين قبائل البربر التي تسكن المنطقة الممتدة من طرابلس حتّى تاهرت [4] مثل قبائل نفوسه ومزاته وهرمشة وهوارة، ومغيلة وبني يفرن ومغراوة الزناتيّين وكتامة [5] وبلاد بني دمر وبني بزرال التي تقع على حدود المغرب الأقصى، وواحة الأغواط التي تقع جنوب الجزائر [6] .

وانصرف الإباضيّة إلى التجارة ، لأنّهم يرفضون خدمة الأنظمة التي تخالفهم ، وأدّى ذلك إلى أن أصبحت التجارة والصناعة مهنتي العديد منهم ، وأدّى استقرار الإباضيّة على " أطراف الصحراء في واحات فزان في جبل نفوسه وغدامس وواحات الجزائر وورجلان وسدراته ثمّ وادي ميزاب منذ القرن الثامن الميلادي

---

[1] ـ عبد الحليم ، رجب محمد : الإباضيّة في مصر والمغرب ، ص ٩٣ .

[2] أنظر ، ١ ـ ابن خرداذبّه ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله : المسالك والممالك ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨، بغداد ، مكتبة المثنّى ، د. ت .

٢ ـ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي : صفة المغرب ، مأخوذ عن كتاب البلدان لليعقوبي ، ليدن ١٨٥٠م .

[3] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٢٤ ـ ١٣٠ .

[4] ـ أنظر اليعقوبي : صفة البلدان ، ص ٦ .

[5] ـ أنظر اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٥ .

[6] ـ أنظر ، مؤنس، حسين : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٦، القاهرة، دار ومطابع المستقبل ١٩٨٠ .

إلى ارتباطهم القوي بتجارة الصحراء ، وعزّز ذلك الارتباط اعتناق مجموعات من قبيلتي هـوارة وزناته للمذهب الإباضي، وتخصّص كثير منهم بالتجارة عبر الصحراء [١] ".

أ ـ نشر الإسلام في غرب إفريقية :

يعتقد الإباضيّة أنّهم أوّل من قام بنشر الإسلام في غـرب إفريقيـة ، قبـل وصـول الأعداد الكبيرة من فقهاء المذاهـب الأخـرى ، وأنّـه كـان للدعـاة الإبـاضيّين ، إضافـة إلى نشاط التجّار " برامج مخطّطة لأهل الدعوة ، وأهل الدعوة مجموعة من رجال العلم اتجهت جهودهم لإعلاء كلمة الله ، وبثّ تعاليم دينه ، وتبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم ، وقد تركّز جانب كبير من اهتمام أهل الدعوة على غرب إفريقيا التي كانت تعتبر دار الدعـوة ، فأنشـأوا الربـط منـذ مسـتهل القـرن الثـامن الميـلادي في المنطقـة الصحراويّـة الواقعـة بـين وارجلان وسجلماسة [٢] ".

وكانت المناطق الإباضيّـة مسـالك القوافـل عـبر الصحـراء مـن منـاطق الشـمال الإفريقي إلى بلاد السودان ، وكان التجّار إلى جانب أعمالهم التجاريّة يقومـون " بـالدعوة إلى الإسلام ، وقد ارتبط انتشار الإسلام في القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة في غرب إفريقيا بالتجّار [٣] ".

ومن المعروف أن الإسلام لم ينتشـر بـالفتح وحـده ، بـل أدّى التجّـار ، ومنهـم علماء ، دوراً كبيراً في نشر الإسلام في كثير مـن أقطـار الأرض ، وكـان العلمـاء في ذلـك الزمان يعملون بالتجارة والصناعة والزراعة وغيرها من الحـرف ليكسبوا مـن كـدّ أيديهـم ويؤدّوا دورهم في نشر تعاليم دينهم ، ومبادئه في الوقت نفسه [٤] .

---

[١] ـ دبوز ، محمد علي : المغرب الكبير ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ .

[٢] ـ حسين، أحمد إلياس : دور الفقهاء الإباضيـة في إسـلام مملكـة مـالي ، ص ٩٤ ، بغـداد ، المنظمـة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٥ .

[٣] ـ ناصر ، محمد : دور الإباضيّة في نشر الإسلام بغرب إفريقيا ، ص ١٠ .

[٤] ـ أنظر ، الشرقاوي ، عبد الرحمن : أئمّة الفقه التسعة ، ص ١٠ ، بيروت ، دار إقرأ ١٩٨١ .

وتذكر المصادر الإباضيّة أنّ التجّار والعلماء الإباضيّة توجّهوا إلى بلاد السودان لنشر المذهب الإباضي والتجارة . وهذا يفرض بلا شك وجود مجموعة كبيرة من الإباضيّة في إفريقية " وما وجود الشيخ عبد الحميد الفراني أو العالم الكبير الذي بعثه عمروس بن فتح قاضي نفوسة إلى السودان ، إلاّ دليل على دخول بعض ممالك السودان في الإسلام ، وبالتالي احتاجت إلى من يفقّهها في دينها ويسلك بها المراحل الأولى في هذا السبيل [1] ".

ب ـ أول داعية إباضي :

وتجمع المصادر الإباضيّة أنّ أوّل داعية إباضي لعب دوراً هامّاً في نشر المذهب الإباضي في مملكة كوكو ومالي " أعظم ممالك السودان وأجلها قدراً وأعظمها أمراً [2] ". هو علي بن يخلف المزاتي .

وتتّفق هذه المصادر أنّ علي بن يخلف سافر إلى غانه سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م)، إلى مدينة مالي فأكرمه ملكها غاية الإكرام ، وكان ذلك الملك مشركا ، وتحته مملكة عظيمة كلّ أهلها مشركون ، وتحته اثني عشر معدنا يستخرج منها الذهب والتبر . فكان الملك قلّما جلس مجلساً إلاّ وأجلسه معه اكراماً له ، وكأنّه يتعجّب من خلقه وخُلقه وكثرة عبادته ومحافظته على دينه . ويذكر الشماخي أنّ القحط أصاب بلادهم فاشتكت الرعيّة إلى السلطان وذلك بمدينة مالي، فقرّبوا لأصنامهم المذابح واستغاثوا بها فلم يغاثوا حتّى طلبوا من الشيخ عليّ أن يدعو ربّه ، ففعل . فلمّا أصبح عظم المطر فأسلم الملك وتبعه قومه [3] .

وتدلّل المصادر الإباضيّة على عمق العلاقة التي كانت تربط الإباضيّة بغرب إفريقية بما يذكره أبو يعقوب الوارجلاني " وقد وصلت أنا بنفسي إلى قريب من خطّ الاستواء ، وليس بيني وبينه إلاّ مسيرة شهر ، وكاد أن يستوي الليل والنهار فيه أبدا ، وإنّما وصلت إلى قريب منه [4] ".

---

[1] ـ بحاز ، إبراهيم بكير : الدولة الرستميّة ، ص ٣٨٨ ، الجزائر ١٩٨٥ .

[2] ـ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب : كتاب البلدان ، ص ٣٣ ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٩١م .

[3] ـ أنظر ، الشماخي : السير ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

[4] ـ الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج ٣ ، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ .

ج ـ مناقشة نشر الإسلام في إفريقية :

رغم ما يذكره ابن بطوطة من أنّه وصل إلى قرية زغاي " وهي قرية كبيرة يسكنها تجّار السودان، ويسمّون "ونقراتة" ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الإباضيّة من الخوارج ويسمّون صغنغو، والسنيّون المالكيّون من البيض يسمّون عندهم توري [1] ".

وما تؤكّده المصادر الإباضيّة من دور دعاة المذهب والتجّار الإباضيّين في نشر الإسلام في غرب إفريقية ، بما عثر عليه من قبور في نواكشوط " يرجع تاريخها إلى القرن الثاني للهجرة ، وتضمّ هذه القبور الكثير من العملات والأواني التي هي رستميّة أو أندلسيّة الأصل ، وحيث إنّ من عادة سكان إفريقيا في العصر الوسيط أن يدفنوا الغرباء بما معهم من بضائع لعدم معرفة هويّتهم ، فقد كشف الباحث الأثري أستاذ علم الآثار في جامعة داكار ـ روبير سرج ـ عن بعض النصوص التي كتبت أسماء التجّار الإباضيّة الذين لاقوا حتفهم في أودغست ومالي والنيجر [2] ".

فإنّ دراسة انتشار الإسلام في إفريقية بصفة عامّة ، قد تبدو سهلة غير أنّها في واقع الأمر شائكة ومعقّدة ، وذلك لكثرة الصعاب التي تواجه الدارس نتيجة لتداخل المسائل وتشابكها ، وتعدّد المفاهيم وتضاربها مع غموض شديد ، فالمادة المتاحة قليلة ، وغير متوفرة بصورة متساوية كمّاً وكيفاً عن المناطق المراد دراستها ، وليست متيسّرة بصورة متكافئة من كلّ الفترات الزمنيّة في منطقة واحدة [3] . ولم تمدّنا المصادر العربيّة بمعلومات واقعيّة عن الإسلام في منطقة المالنك ـ مالي ـ قبل القرن الحادي عشر الميلادي[4] لتعطينا صورة واضحة لتاريخ انتشار الإسلام في تلك المناطق .

---

[1] ـ ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة ، ص ٦١٨ ، بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ١٩٦٠ .

[2] ـ بحاز ، إبراهيم بكير : الجماعات الإباضيّة في شمال إفريقية ، ص ١١٦ ، مجلّة الثقافة ، الجزائر ، عدد ٣ ، جمادى الأولى ١٣٩١هـ/ تموز ١٩٧١م .

[3] ـ أنظر ، موسى ، عزّ الدين : إنتشار الإسلام في غرب إفريقية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص ٤٣ ، بغداد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٥ .

[4] ـ أنظر ، حسين ، أحمد إلياس : دور الفقهاء الإباضيّة في إسلام مالي ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .

وإنّ الرواية التي تؤكّدها المصادر الإباضيّة من أن انتشار الإسلام في غرب إفريقية كان بفضل التجّار الإباضيّين ، وتذكر قصة إسلام ملك مالي ، فإنّ المؤرخ العربي البكري ، قد ذكر هذه القصة في كتابه "المسالك والممالك" الذي ألّفه في الأندلس سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٦٧م) . وهذا يرجّح أن يكون إسلام ملك مالي قد تمّ في وقت سابق للبكري بكثير حتّى أصبحت قصة إسلام ملك مالي مشهورة تتداولها الألسن ، وربّما سجلتها بعض الكتب قبل عصر البكري .

ويحاول أحمد الياس حسين التوفيق بين المصادر الإباضيّة التي ذكرت قصة إسلام ملك مالي بعد حوالي قرنين من الزمان من رواية البكري بقوله " لما كانت رواية الدرجيني هي نفس رواية البكري الذي ألّف كتابه عام ١٠٦٧م . أي قبل مائة عام من ذهاب عليّ ابن يخلف إلى مالي ، فإنّ ذلك يوضح أنّ قصة إسلام ملك مالي كانت متداولة معروفة في المجتمع الإباضي ، قبل عصر الدرجيني بأكثر من قرنين ، ولما كان عليّ بن يخلف قد اشتهر هو أيضاً بأسفاره إلى غرب إفريقية ، وبمكانته الكبيرة لدى بعض ملوكها فقد أسند إليه الدرجيني بناء على الروايات السائدة قصة إسلام ملك مالي [1] ".

وتعود العلاقات بين الشمال الإفريقي وغرب إفريقية إلى القرن الثالث الهجري، فالأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي (ت ٢٨٩هـ/٩٠١م) كان معظم جيشه من السودان ، ويذكر ابن عذاري أنّ الأمير إبراهيم " جمع إلى نفسه ثقاته ، وقرّب السودان من قصره ، وقد كان جمع منهم خمسة آلاف أسود [2] ".

وكانت دولة الأغالبة على غرار دولة بغداد " الأمراء لا يثقون في حرسهم المؤلف من مهاجرين عرب ، والذي تعزّز في أثناء حروبهم ضدّ الخوارج ، فاتخذوا حرساً شخصيّاً من العبيد [3] ".

---

[1] ـ حسين ، أحمد إلياس : دور الفقهاء الإباضيّة في إسلام مالي ، ص ٥٧ .

[2] ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

[3] ـ العروي ، عبد الله : تاريخ المغرب محاولة في التركيب ، ص ١١٧ ، ترجمة ذوقان قرقوط ، بيروت ، الموسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٧ .

إنّ ما تذكره المصادر الإباضيّة عن علاقة عليّ بن يخلف مع ملك مالي ، ودوره في إسلامه ، أبعد ما تكون عن الواقع للأسباب التالية :

١ ـ لم تذكر لنا المصادر الإباضيّة سبب تقريب ملك مالي للتاجر الإباضي ، وفي مالي ، كما يذكر ابن بطّوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) تجّار من المذهب المالكي والمذهب الإباضي . ودول الشمال الإفريقي كلّها على المذهب المالكي ، ويفترض أن تكون هناك علاقات سياسيّة واقتصاديّة بين الشمال والجنوب ، وبخاصّة أنّ مدن الشمال، ومنها القيروان اشتهرت بالتعدين ، وقد ازدهرت هذه الصناعة بسبب توفر المعادن من بلاد السودان [١] .

٢ ـ إنّ اشتراط عليّ بن يخلف على ملك مالي أنّه لا يستسقي له حتّى يسلم [٢] أبعد ما يكون عن الواقع ، لأنّ الملك هو الذي يملي أوامره . وعلى الرعيّة ، وبخاصّة الغرباء ، أن يستجيبوا لرغبة الملك في تلك الفترة من الزمن .

٣ ـ إنّ المصادر الإباضيّة تستنتج أنّ التجّار الإباضيّة نشروا الإسلام ، على غرار التجّار المسلمين ، دون أن تعطي مثالاً واحداً على ذلك ، وإذا كانت بعثات التنقيب قد وجدت في القبور عملة رستميّة وأندلسيّة ، فذلك أمر طبعي لأنّ التجّار يبيعون ويشترون . ولنفترض أنّ هذه القبور التي اكتشفت في نواكشوط هي للإباضيّة ، فإنّنا نميل إلى أنّ الإباضيّة كانوا يلتزمون بالتقيّة في تصرفاتهم وسلوكهم ولا يظهرون مذهبهم ، خاصّة بعد سقوط دولتهم واعتمادهم حالة الكتمان . ولقد ساد المذهب المالكي في غرب إفريقية " وارتبطت سيادته بحركة المرابطين في الصحراء الغربية في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي [٣] ".

وهذا يدلّ على أنّ المذهب الإباضي تسلل إلى غرب إفريقية من خلال المذهب المالكي .

---

[١] ـ أنظر الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٣٣ .

[٢] ـ أنظر ، الشماخي : السير ، ج ٢ ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

[٣] ـ حسين ، أحمد إلياس : دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة مالي ، ص ٩٥ .

٢ ـ التقيّـة :

عمد الإباضيّة إلى التقيّة في نشر مذهبهـم ، لمعايشة واقـع مخـالف ــ مـن وجهـة نظرهم ـ لتعاليم الإسلام . ويرون أنّ الحكّام جبابرة اتّخـذوا " عبـاد الله خـولا ، ودينـه دغـلا، ومالـه دولا ، واستحلوا الخمـر بـالنبيذ ، والمكس بالزكـاة ، والسـحت بالهديـة ، يأخذونها في غضب وينفقونها في معصية الله .

واتّخـذوا علـى ذلـك مـن خونـة العلـم أعوانـا ، ومـن الصنّـاع إخوانـا ، ووجدوا على ذلك من المستأكلين أعوانا ، فهؤلاء الأعوان خطبـة أهـل الجـور علـى المنابر ، وبهؤلاء الأعوان أخيف العالم ، فلا ينطق ولا يفطن بذلك الجاهل فيسـأل ، وبهؤلاء الأعوان مشى المؤمن في أطـراف الأرض بالتقيّـة والكتمـان ، فهـو كـاليتيم المفرد يستذلّه من لا يتّقي الله [(١)] ".

حثّ الإباضيّة دعاتهم على التقيّة في نشر المذهـب في بـلاد يـرون أنّ " سـكّانها وعمّارهـا أجابـوا إلى الخطيئـة في مساجدهم فهـي أظهر منها في الريبة ، لأنّ أهل الريبة إذا رأوا مـن لا يريد ما عندهم اختفوا بالخطيئة ، فهؤلاء قد بارزوا بالمحاربـة ، وكذبـوا على الله في العلانيـة ، فواحدنـا يقـول سمعت وما أكذب ، ونطقت وما أكذب ، وذلـك أنّي لـم أدرك مـن الإسـلام إلاّ رسـما عافيا ، وعلمـا منقطعـاً باليـاً ، فصـرت ميتـا بـين الأموات، وحيران بـين المتحيريـن ، فلـو أمـرت بمعروف أو نهيت عـن منكـر ، لم أكـن للظالـمين ظهـيراً ، ولا لمـن يديـن بطاعتهم مواليـاً ، ولا كنت كالمستعطي بكفه حتّى يظهر حكم ربي [(٢)] ".

فقعّـد الإبـاضيّـة تطبيـق مفهوم التقيّـة عنـدمـا لجأوا إلـى كتب المـلاحـن وحقّقـوهـا ، ووضعـوهـا بـين أيـدي دعـاتهـم ليستفيـدوا منهـا فـي مسـار دعوتهـم .

---

(١) ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

(٢) ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

ويعلّق أبو اسحاق إبراهيم اطفيش على سبب تحقيقه لكتاب الملاحن لابن دريد بقوله " فهذه تعليقات مفيدة وتحقيقات جميلة على رسالة الملاحن لإمام البلاغة ابن دريد رأيتها جديرة بالنشر والتحقيق [١] ".

ومن أمثلة الكتاب التي تساعد على التقيّة " تقول وا لله ما قدّمت في هذا الأمر رِجلاً ولا أخرتها ، فالرِجل ، القطعة العظيمة من الجراد . وتقول وا لله ما بسطت في هذا الأمر يدا ولا قبضتها ، واليد من الفضل ، من قولهم له عندي يد .

وتقول وا لله ما ضربت لفلان صبيا ولا مسسته ، فالصبي ملتقى طرفي الفكّين من الذقن ، وتقول ، وا لله ما أعرف من فلان قبيحا ، فالقبيح مغرز العضد في المرفق قال الشاعر حيث تلاقي الإبرة القبيحا [٢] ".

أ ـ التقيّة عند الشيعة والإباضيّة :

إذا كان الشيعة يعتبرون التقيّة من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر ، التي هي " مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهيّة ، وليست هي واجبة على كل حال ، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال . كما إذا كان في إظهار الحقّ والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام وجهاد في سبيله [٣] ".

فإنّ التقيّة في التعامل تعني أنّ " يعفى المؤمن من الالتزام ببعض واجباته الدينيّة ، إذا كان يعيش في ظل التهديد أو الاكراه ، وقد تعرّض هذا المبدأ إلى تفسيرات متعدّدة ، ولكنّه بالتأكيد منسوب إلى الشيعة ، وذلك لأنّهم كانوا في أغلب الأحيان عرضة لخطر القمع والاضطهاد ، ولهذا أكثروا من اللجؤ إلى هذا المبدأ [٤] ".

---

(١) ـ ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : الملاحن ، ص ٤١ ، صحّحه وعلق عليه وذيّله بذيل أبو إسحاق إبراهيم اطفيش ، بيروت ، دار الكتب العلميّة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

(٢) ـ ابن دريد : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٣) ـ للظفر ، محمد رضا : عقائد الإماميّة ، ص٦٤ ، تقديم حامد حفني داوود ، القاهرة ، مكتبة النجاح ، ط ٢ ، ١٣٨١هـ .

(٤) ـ السالمي ، أبو محمد عبد الله بن حميد : مشارق أنوار العقول ، ص ٤٥٢، شرحه وصحّحه أحمد بن حمد الخليلي، سلطنة عُمان، المطابع العالميّة، د.ت .

ب ـ تطبيق التقيّة :

برع الإباضيّة في تطبيق التقيّـة للحفـاظ علـى أنفسـهم ، وأشـهر روايـة يردّدهـا الإباضيّة في هذا المجال ، ما حدث لأبي نوح كاتب أبي خزر عندمـا كتـب كتابـا إلى بـني أميّة في الأندلس يطلب معونتهم ضدّ الفاطميّين ، فوقع الكتاب بين يـدي أبـي تميـم الـذي جمع أصحابه ووزراءه وكتّابه . ويقول أبو نوح عن أبي تميـم بأنّـه " تـأمّل الكتـاب الـذي كنت كتبتـه إلـى بـني أميّة ، وأرادوا الوقـوف علـى خطـي يعرضونـه علـى خـطّ الكتـاب المذكور ، حتّى يعرفوا هل أنا كتبته أم غيري ، وعندهم رجل يهودي ، فقال لهم اليهودي أنا أستخرج لكم خطّه ، فقال أبو نوح بينمـا أنـا فـي أيديهـم إذ أتـاني اليهـودي ببطاقـة ومحبرة ، فقال لي أكتب إلى مولانا أن يعفو عنك ، واعتذر بمـا عنـدك مـن احتجـاج، فـإنّ مولانا كثير العفو ، ووضع البطاقة والمحبرة وأداتها فخرج عنّي .

فتناولت لأكتب ، فكتبـت سـطر التسـمية لا غـير ، ثـمّ أيقظـني ا لله ﷻ ، وذكّرنـي الكتـاب المتقـدم في شـأن أبي تميـم ، ولعـلّ اليهـودي إنّمـا جـاء خديعـة ومكيـدة ، لا نصحـا ، فقصصت السطر المكتوب أوّلا ، ثمّ استأنفت كتابا بخطّ غير خطي المعهود منّي .

فلمّا كان بعد قليـل إذ اليهـودي قـد دخـل وتنـاول الكتـاب جـذلان سـروراً وحسب أنّه نال المقصود ، ودفع الكتاب إلى أبي تميـم ، فـاجتمع عليـه الـوزراء والكتّـاب وجميع الورّاقين ، ودفـع إليهـم الكتـاب الأوّل والكتـاب الثـاني لعـرض الخـطّ ، ووجـدوا الكتابين مختلفي الخطّ غير متّفقي الحروف ، فاتّفقت كلمتهم على أنّ كاتب الكتاب الأوّل غير كاتب الكتاب الثاني إلاّ رجلاً واحداً أحذقهم ، فإنّه قال كاتبهما واحد غير أنّـه بـدّل خطّه فقالوا لو صحّ ما زعمت لوقع الاختـلاف في سـطر أو سـطرين ، أمّـا الكتـاب كلّـه فمحال ، هذا ممّا لا يستطيعه كاتب .

ثمّ إنّ أبا تميم وجّه إلى أبي نوح فجاء في قيوده ، فلمّا دخل عليه وجـده في قبّـة حمراء على سرير قوائمه من عاج أحمر ، وعليه ثياب حمر ، وعلـى رأسـه قلنسـوة حمـراء ، وحوله رجال بأيديهم الرماح ، قال فلمّا صرت بين يديه سلّمت عليه ، فأطرق مليّا ، فلمّا رفع رأسه قال لي : يا سعيد ، أحقّاً أنّكم كاتبتم فينا بني أميّة ؟ .

قال أبو نوح : يا سيدي ، إن كانت معذرتي تقبل وحجّتي ترفع اعتذرت واحتججت . قال قل ما عندك ، فلمّا وجد إلى الكلام سبيلا ، وكان شهم الجنان فصيح اللسان كثير البيان ، قال كيف نكاتب بني أميّة ، وقد علمت ما بيننا وبينهم يوم الدار ويوم الجمل وأيام صفين ، وهم الشجرة الملعونة في القرآن .

فلمّا سمع منه ذلك أبو تميم سرّ وتبسّم وانبسط بعد الانقباض والعبوس ، قال أبو نوح فدفع إليّ الكتاب الذي كنت كتبته إلى بني أميّة فقال : ألست كتبت هذا الكتاب؟ فقلت با لله الذي لا إله إلاّ هو إنّ هذا ما كتبته إلى بني أميّة . قال فاختلفوا في يميني ، فطائفة قالوا إنّه لا يحلف لأنّه جعل " ما زائدة ، وقال بعضهم إنّه من البربر ولا يفطن لهذا ولا يفهمه .

قلت لا شكّ أنّ أبا نوح قصد بلفظ يمينه المعاريض التي فيها مندوحة الكذب ، وسلك مسلك الملاحن ، وعلى هذا تكون " ما " بمعنى الذي ، أو تكون نكرة موصوفة فيكون التقدير أنا هذا الذي كتبته ، أو أنّ هذا شيء كتبته ، وكلاهما حسن فصيح فهذا الذي قصده [1] ".

وأجادوا في استعمال التقيّة لإظهار الولاء لمخالفيهم حتّى يعتقدوا أنّهم على مذهبهم ويؤيّدونهم ، فعندما بايع الإباضيّة أبا حاتم إماماً للظهور " أظهروا على أنفسهم أنّهم يريدون الاجتماع على أمر امرأة مسلمة ، وكان زوجها رجل سؤ ساءت سيرته إليها ، فأظهروا الاجتماع لشأنها وهم يريدون الخروج على جند طرابلس وعامل أبي جعفر ـ المنصور ـ كما فعل أصحاب أبي الخطاب ، أوّل مرّة حين ولّوه ، فسمع باجتماعهم عامل المدينة ، مدينة طرابلس . فأخرج إليهم خمسمائة فارس ، وجعل عليها عاملاً . فلمّا وصلتهم تلك الخيل ، قال لهم عاملها : أجيبوا الطاعة لأمير المؤمنين ، فقالوا أجبنا الطاعة لأمير المؤمنين ، فلم يفقه ذلك منهم ، فلمّا أصبحوا ، خرج إليهم عامل الجند بسيفه ، وبخيل عظيمة ، فلمّا أتاهم قال لهم : أجيبوا الطاعة لأمير المؤمنين . قالوا :

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

أجبنا الطاعة لأمير المؤمنين . قال لهم أجيبوا الطاعة لأمير المؤمنين أبي جعفر ــ وكان أبو جعفر يلقّب بأبي الدوانيق ـ فقالوا له : عليك لعنة الله ، وعلى أبي كافر معك ، يعنون أبا جعفر [١] ".

و لم تقتصر التقيّة على الكلام ، بل تجاوزت ذلك إلى التصرّفات ، فرغم خلاف الإباضيّة العقدي مع الفاطميّين ، إلاّ أنّهم كانوا يتقرّبون منهم تقيّة ليكونوا على اطلاع وعلى قرب من الحكام ؟ ويطّلعوا على تخطيط الحكام وتوجيهاتهم ، ويعلموا أنصارهم كيف يتصرّفون في نشر دعوتهم .

ويبدو أنّ الفاطميّين الذين كانوا يجيزون التقيّة ، كانوا يقربون العلماء الإباضيّة ليكونوا أيضاً على معرفة بالتحرّكات الإباضيّة ، وليكون الزعماء الإباضيّة تحت مراقبتهم .

فعندما أراد المعزّ الانتقال إلى القاهرة بعد فتحها عام (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) . "عزم على استصحاب الشيخين أبي خزر وأبي نوح لئلا يكون منهما في المغرب خروج عن طاعته وقيام عليه ، فكلّمهما في ذلك ليأخذا في أهبة السفر .

فأمّا أبو خزر فقال كيف بالقيام بعدك والقعود عليك ؟ وأمّا أبو نوح فكره ذلك ، وكان عند أبي تميم رجل يهودي يعرف فضل أبي نوح ويتخدّم له ويجدّ في حاجته ، فعلم ما عنده من كراهية المسير ، فنصحه اليهودي ، وقال تمارض وانقع نخاله الشعير واشرب من مائها ، واغسل به وجهك ، فإنّ حالك يتغيّر ويظنّ من يراك أنّك مريض ، فحين عزم أبو تميم على الحركة ، سأل عن أبي نوح ، فأعلم أنّه مريض فاستدعاه فأحضر ، فلمّا رآه مصفرّ الوجه ، متغيّر الحال ، ظنّ أنّه مريض فأذن له في المقام [٢] ".

---

[١] ـ أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

[٢] ـ أبو زكريا : المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

ج ـ مناقشة التقيّة :

يتبيّن لنا من موضوع التقيّة أنّ الأقليّات في المغرب العربي على اختلاف توجهاتها وتنافرها وتصادمها ، كان يجمع بينها العداء للمذهب الغالب في المغرب العربي ، والذي اصطلحوا على تسمية أتباعه بالمخالفين .

وترى هذه الأقليات أنّها مضطرة ـ رغم تنافرها ـ إلى التحالف والتعاون ، حتّى لا تذوب في بحر الأكثريّة ، ورغم تعاونها إلاّ أنّها تقيم فاصلاً في العلاقات مع بعضها البعض، وتردم هذا الفاصل بالتقيّة ، التي تعتمدها وسيلة للحفاظ على وجودها ونشر دعوتها .

ولقد أخطأ الإباضيّة وغيرهم في فهم معنى التقيّة في قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ[1] ﴾ .

فالآية تحذّر من اتخاذ الكفار أولياء ، والكفار كما يقرّر السياق هم الذين لا يقبلون التحاكم إلى كتاب الله ، ومن يفعل ذلك لا علاقة له بالله في شيء ولا صلة بينه وبين الله في شيء ، ويشتدّ التحذير من هذه الولاية التي تذهب بالدين من أساسه [2] .

ولقد شرح المفسّرون التقيّة في قوله تعالى، بأنّه من خاف في بعض البلدان والأوقات من شر الكافرين، فله أن يتّقيهم بظاهره لا بباطنه ونيّته . ويحذّر الله تعالى من نقمته في مخالفته لمن والى أعداءه وعادى أولياءه [3] .

---

[1] ـ سورة آل عمران ، الآية ٢٨ .

[2] ـ أنظر ، قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٥٥٥ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٧ ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

[3] ـ أنظر ، ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ، بيروت ، دار القلم ، د. ت .

وتخالف التقيّة في مفهومها الإباضي المفهوم الإسلامي ، الذي يتخّذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة أساسيّة في دعوته ، ويخالف مفهوم التقيّة أيضاً الأصول العقديّة الإباضيّة التي تلزم أتباعها أن يكونوا واضحين صريحين في فهمهم للإسلام ، وهذا ما التزم به عبد الله بن إباض الذي لم يخفِ وجهة نظر الإباضيّة ، ويبيّن في رسالته إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أنّ ما تعتقده الإباضيّة هو الحقّ والصواب [1] .

ولا يلتقي مفهوم التقيّة مع مفهوم الأمر والنهي " فقد اتّفق الموحّدون على أنّ الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على عباده في كل حين وأوان على قدر الطاقة [2] ".

ومتى سادت التقيّة في المجتمع ساد الانحراف والضلال ، وقد وقع الإباضيّة في ذلك عندما اشتدّ أمر النكّار ، فعمد الإباضيّة إلى التقيّة لعدم قدرتهم على مواجهة هؤلاء في جبل نفوسه " حتّى وصل إلى رئيسهم ومقدمهم " زيري بن كملين " فعاتبه أبو صالح [*] وقال له ما هذا الذي بلغنا عنكم يا زيري من مرور النكّار عليكم وحلقتهم بين أظهركم وأنت بالحياة ؟

فقال له زيري : إنّ عذرنا يا شيخ بيّن أما سمعت المثل القائل في كلام البربر ؟ وخاطبه ببيت بربري ترجمته : المرأة متى لم يزرها بعلها ابتغت السفاح ، وهذا الكلام لـ بالبربرية وزن وطلاوة ومساغ ، غير ما يظهر من تركيبه بالعربيّة [3] ".

ويفهم من كلام الشيخ أنّهم يعمدون إلى التقيّة في عدم معارضة النكّار على أمل عودتهم إلى المذهب الإباضي وهكذا نرى أنّ الإباضيّة ـ وبلا وعي ـ أخذوا يطبّقون التقيّة حتّى على أنفسهم .

---

[1] ـ أنظر ، البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

[2] ـ الجناوي، أبو زكريا يحيى بن أبي الخير: كتاب الوضع مختصر الأصول في الفقه، ص٢٣، نشره وعلّق عليه أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة ١٩٦٢م .

[*] ـ أبو صالح بكر بن قاسم البراسيني ، يجعله الدرجيني في الطبقة الثامنة ٣٥٠هـ/ ٤٠٠ هـ .

[3] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

٣ ـ الحجّ :

كان الحجّ من الوسائل الهامّة في نشر المذهب الإباضي ، واشتهر الإباضيّة بكثرة حجّهم ، وقد كانت مصر بحكم موقعها الجغرافي " محطة للحجّاج الإباضيّة القادمين من شمال إفريقيا وبلاد السودان ، وكان لا بدّ لهؤلاء الحجّاج أن يتركوا أثراً فيها ، ذلك أنّهم كانوا يقيمون فيها عادة عاماً أو بعض عام لمن يريد الحجّ مرّة واحدة ، وعدّة أعوام لمن يفضل أداء هذه الفريضة عدّة مرّات متتالية [١] ".

ويذكر ابن سلام الإباضي أنّ أحد العلماء المغاربة من الإباضيّة حجّ قبل عام (٢٧٣هـ/ ٨٨٦م) . وجاور بمكّة سنة ثمّ حجّ مرّة ثانية ، ثمّ انصرف إلى مصر وأقام بها، ثمّ أعاد الحج من مصر للمرّة الثالثة ، وعاد إلى بلاده والتقى به ابن سلام بعد عام (٢٧٣هـ / ٨٨٦م) في سلجماسة [٢] .

وكان للقاء الحجّاج الإباضيّة من شتّى الأمصار في مكّة المكرّمة بالحجّاج المغاربة أثر كبير في تدعيم المذهب ونشره بين الناس ، وكان علماء المذهب كغيرهم من العلماء يعقدون حلقات العلم والبحث والمناظرة في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة أثناء موسم الحجّ ، وبعده وقبله، حيث كانوا يردّون على الأسئلة ويلقون الفتاوي وينشرون العلم [٣] .

وتأثّر كثير من الحجّاج المغاربة بهذه الأقوال وتحوّلوا إلى المذهب الإباضي . وبعد العودة إلى بلادهم كانوا يلجأون إلى المشايخ الإباضيّة ، يأخذون عنهم علوم المذهب الإباضي وفقهه .

ولم يقلّ الإباضيّة المغاربة حماساً عن علمائهم في أداء فريضة الحجّ ، فكانوا يتظاهرون بالعمل في التجارة ويخرجون في صحبة التجّار وقوافلهم، ولذلك كثر حجّهم .

---

(١) ـ عبد الحليم ، رجب محمد : الإباضيّة في مصر والمغرب ، ص ٨٨ ـ ٨٩ .

(٢) ـ أنظر، ابن سلام الإباضي: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضيّة، ص١٣، تحقيق ر.ف.شفارتز وسالم ابن يعقوب، بيروت، دار إقرأ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٣) ـ أنظر ، ١ ـ الشماخي : السير ، ج ١ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٨ .

٢ ـ ابن سلام الإباضي : الإسلام وتاريخه ، ص ١٣ .

وتذكر المصادر الإباضيّة أنّ إباضيّة جبل نفوسه في عهد الإمام عبد الوهاب كانوا أكثر الناس حجّاً ، وقد بلغ من كثرة عددهم أنّه ولد لهم في ركب واحد ثلاثمائة من الأولاد الذكور فقط [1] .

٤ ـ المناظرة :

إتّخذ الإباضيّة من المناظرة وسيلة لنشر آرائهم والدفاع عن مبادئهم ، ويجد المتتبّع للمناظرات الكلاميّة التي جرت بين الإباضيّة وغيرهم " تدرجاً نحو التعمّق ، وفلسفة العقيدة التي تبدو ساذجة بسيطة في بعض الأحيان ولا تخلو من الطرافة والأسلوب الجدلي والمغالطة اللفظيّة أحياناً [2] ".

وناظر الإباضيّة مخالفيهم ، وتذكر المصادر الإباضيّة أنّهم أفحموا خصومهم ، الذين تفوّقوا عليهم بقوة الحجّة والدليل . ومن هذه المناظرات :

أ ـ مناظرة المعتزلة :

اختلف الإباضيّة عن المعتزلة في مفهوم العقيدة ، وبخاصّة مفهوم لا منزلة بين المنزلتين ، وأرادوا أن يثبتوا صحّة مفهومهم للعقيدة من خلال المناظرة التي جرت في بلاط الملك الصنهاجي المنصور بن بلكين بن زيري ، بين العالم الإباضي أبي نوح [*] وبين المعتزلي ابن حينا حمو [**] .

بدأ أبو نوح المناظرة بالسؤال فقال : ما علاقة الصنعة ؟ فقال ابن حينا حمو : الحدوث والحركة والسكون والزوال والانتقال ، فقال أبو نوح : كلّ محدث مخلوق ،

---

(1) ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .
٢ ـ الشماخي : السير ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(2) ـ باجيّة ، صالح : الإباضيّة في الجريد ، ص ٤٤ .

(*) ـ أبو نوح بن زنغيل إباضي من قسطيلية .

(**) ـ ابن حينا حمو من مشايخ قنطرار اللامعين في عهد المنصور بن بلكين بن زيري الذي توفّي عام ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م .
(أنظر ، بول ، استانلي : طبقات سلاطين الإسلام ، ص ٤٣) .

فقال ابن حينا ، وقد كابر على نفسه ، كلّ مخلوق محدث ، وليس كلّ محدث مخلوق ، فقال له أبو نوح : والحدث إذاً على ضربين : خالق وغير مخلوق .

قال ابن حينا عند ذلك بل القديم كلّه خالق ، فقال له أبو نوح وكذلك المحدث كلّه مخلوق. قال ابن حينا، وهو مضطرب في جوابه، الكفر مخلوق لي .

قال أبو نوح : إذا كان الكفر مخلوقاً فينبغي على هذا العيار والوزن أن يكون مربوبا لك ومألوها لك على هذا القياس إله فعلك وربّه . فقال ابن حينا مضطرباً بل الكفر مخلوق لي وليس يجب أن يكون مخلوقاً لي ، وأن يكون مربوباً لي ، فقال له أبو نوح فيلزمك على هذا أن يكون الله غير مربوب له ، وأن الله خالق لما خلق من الأشياء ، وليس بربّها ولا إلهها ، فلم يسمع منه أبو نوح جواباً بعد هذا ، بل بهت وانقطعت حجّته ، فسأل المنصور من الذي يقول لك هذا ؟

فأجابه أبو نوح : أصلحك الله ، إنّ هذا يزعم أنّ الله خالقاً ، وأنّ له خالقا غير ما خلقه الله تعالى ، فيكون كلّ واحد منفرداً بخلقه ، والله يخلق ، فهذا الشرك بعينه وأنكر ذلك القول عليه [1] .

ويعلّق صالح باجية على هذه المناظرة بأنّها مناظرة معقّدة ملتوية ، حتّى أنّ المنصور احتاج إلى من يعينه على فهم ما دار في النقاش ، وكلام المعتزلي يكاد ينحصر في كون العبد خالقا لأفعاله ، فما وجه تلعثمه ؟ والمنصور على رأي أهل السنّة ، وكان أبو نوح الوهبي يجاريه في ذلك ، ويقارب رأي الأشعري في كون الله خالقا للعبد وأفعاله ، ولكنّ للعبد كسب هو مناط التكليف وهذا ما يمثّل التقارب بين العقيدة السنيّة والعقيدة الإباضيّة في مسألة الكسب في أواخر القرن الرابع الهجري [2] .

---

[1] ـ أنظر ، ١ ـ أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

٢ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

[2] ـ أنظر ، باجية ، صالح : الإباضيّة بالجريد ، ص ٤٦ .

ولا نميل إلى رأي صالح باجية في تعليقه على هذه المناظرة التي كانت بين عالم كبير من علماء الإباضيّة ، وبين معتزلي تمرس في علم الكلام ، ويتّفقان على نفي الصفات وخلق القرآن .

ونعتقد أنّ الاضطراب في الردود والإجابات المبهمة ، يعود إلى أنّ كلاً منهما يحاول إخفاء معتقده الحقيقي ، ويبدي خلاف ذلك تقيّة للتقرب من حاكم سنّي .

ويتضح لنا أنّ المناظرة لم تكن لتوضيح الاعتقاد أمام حاكم سنّي يخالفهما في المفهوم ، بقدر ما كانت تهدف إلى إفحام الخصم وإظهار ضآلة منزلته العلميّة ، وعدم السماح له بالتقرّب من بلاط الحاكم .

وإذا كان أبو نوح من أشهر علماء الإباضيّة في المناظرة ، فإنّ أسلوب مناظرته في بلاط الفاطميّين يختلف كليّاً عن نهجه في بلاد الصنهاجيّين . فقد أرسل إليه أبو تميم ذات مرّة ليناظر معتزليّا ، فطرح أبو نوح السؤال التالي :

ما الدليل على أنّ لهذه الصنعة خالقا ؟ قال فلبث جلساؤه حينا ساكتين ، ثمّ أخذوا في الجواب ، فقالوا أقاويل كثيرة ، فما وافقوا فيها بجواب قاطع ، فقال لهم أبو تميم أجيبوا ابن زنغيل من حيث يفهم ، وذلك لأنّه لم يرضَ بأجوبتهم .

قال أبو نوح فرأيت في وجه أبي تميم إرادة الجواب ، فقلت إنّ رأى مولانا أن يتفضّل على رعيته بالجواب فليفعل ، فرأيت في وجهه تبسّماً وانطلاقاً ، فقال يا سعيد ، يقال لهذا السائل إشرح سؤالك لكي تستحق جواباً ، وفي شرح سؤاله جواب لقوله ، وقوله صنعة دليل على صانع [1] .

---

[1] ـ أنظر ، أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٢٢٦ .

ب ـ مناظرة غير المسلمين :

يظهر من المناظرات التي وردت في المصادر الإباضيّة تفوق المناظر الإباضي ، الذي يظهر وكأنّه أستاذ يطرح أسئلة فوق المستوى العقلي لتلاميذه الذين يتلعثمون ، ولا يستطيعون الجواب ، فيخرج من هذه المناظرات مسجلاً تفوّقه وبراعته في هذا المجال .

وإذا كانت المصادر الإباضيّة قد أظهرت تفوّقاً إباضيّاً في مجال المناظرة ، إلاّ أنّ هذه المناظرات لم تبرز المفاهيم الإباضيّة . وحتّى عندما ناظروا غير المسلمين ، فإنّ المناظرة لم تكن في مجال تصحيح المفهوم العقدي ، كما كان أهل السنّة والجماعة . فعندما ناظر ابن سحنون عالماً يهوديّاً ، لم تنته المناظرة إلاّ عندما " انحصر اليهودي وانقطع عن الحجّة، وظهر ابن سحنون بالدلائل الواضحة والحجّة البالغة ، فلمّا تبيّن اليهوديّ الحقّ البرهان ، وأراد الله ﷻ هدايته قال عند ذلك أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله [1] ".

بينما نرى أنّ مناظرة الإباضيّة لليهود . لا تهدف إلى توضيح المفهوم الإسلامي، بل إظهار المقدرة على المناظرة والإفحام ؛ وذلك عندما ناظر إباضي يهوديّاً يقال له "حلي" فقال له الإباضي أسألك يا يهودي عن ثلاث مسائل ، فإن أجبت عنهن فأنت "حلي" ، وإن لم تجب عنهن ، فأنت "جلي" .

فسأله عن رجل ضرب عنقه حيّا ، فأبانها حتّى قتل نفسه ، في حال حياته ، أو في حال موته ؟

وعن الكائن في السفينة إلى متى يطلب الراحة ، والسكون لا يمكن له على حال ؟

وعن رجل رمى رجلاً بسهم ، فمات الرامي ، قبل أن يموت الرجل ، هل قتله حيّا أو ميتا ؟

---

[1] ـ المالكي : رياض النفوس ،ج ١، ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

قال فبهت اليهودي ، وتغيّر ، فما نطق بجواب ، فقلت له : أمّا الـذي ضـرب عنقـه فأبانها ، إنّما قتل نفسه في حال الموت بما فعل في حال الحياة ، وأمّـا الكـائن في السـفينة فإنّـه لا يخلو من الحركة ، حركة اكتسـبها بنفسـه ، وحركـة السـفينة ، وهـي اضطـرار ، وذلـك إنّمـا يطلب الراحة إذا كانت مجتمعة إلى حركة الاضطراب ، ويكفّ عن حركـة نفسـه حتّـى يتبعـه ذلك ، فيطلب الراحة إلى اجتماع الحركتين ، فيقصد إلى حركة نفسه ، وأمّا الرامي الذي قتـل المرمي ، فإنّما قتله في حال الموت بما فعل في حال الحياة [1] .

نستشفّ من هذه المناظرة أنّه حتّى لو اسـتطاع اليهـودي الإجابـة فـإنّ ذلـك لا يقدّم ولا يؤخّر في المفهوم العقدي .

ج ـ مناظرة أهل السنّة والجماعة :

يخلص المطّلع على مناظرات الإباضيّـة، من مصادرهم، أنّهم كانوا أبـرع مـن نـاقش وناظر وأفحم، وبخاصّة عندما يردّ عالم إباضي على من وجّه إليه سؤالاً بقولـه " إن كنت تزعم أنّ الله ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض فأخبرني عمّن أراد أن يبطل ربّـه كيـف يقـول، فـردّ عليـه الإباضي : يقول مثل قولك، فانقطع الكلام بينهما [2] " .

لكن إذا عدنا إلى مصادر أخرى غير إباضيّة ، إلى ابن الصغير مثلاً ، والذي يعـدّ كتابه " أخبار الأئمّة الرستميّين " من أقـدم المصـادر السـنيّة عـن الإباضيّـة ، وبخاصّـة عـن النشاط الفكري في الدولة الرستميّة ، فإنّه يروي أنّه ناظر الفقيه الإباضي أبا الربيع سليمان الهـواري [*] ، وكـانت المنـاظرة في شـؤون العقيـدة ، وتبيـان خطـأ استدلال الإباضيّـة في

---

[1] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٥٦ .
٢ ـ أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ١٤٨ .

[2] ـ أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٢٠٨ .

[*] ـ أبو الربيـع سليمان الهـواري ، تذكـر المصـادر الإباضيّـة العديـد مـن الأشـخاص بهـذا الاسـم والكنيـة ، وأقربهم إلـى فـترة ابن الصغير سليمان بن زرقون وسليمان بن ماطوس أبو الربيع ، وكلاهما من الطبقـة السابعة ٣٠٠هـ ـ ٣٥٠هـ .
(أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٣٤٩) .

موضوع فقهي ، وأظهرت المناظرة تفوّق ابن الصغير على العالم الإباضي ودحض الحجج الإباضيّة بالمنطق والحجة .

قال أبو الربيع للعالم السنّي : من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيّين والعراقيّين أنّ الرجل إذا زوّج ابنته البكر وهي صغيرة وأدركت أن لا خيار لها في نفسها ، وأنتم تقولون أنّ الرجل إذا زوّج أمته وعتقت أنّ لها الخيار ، ولا فرق بين الأمة وبين الصغيرة ، لأنّ الأمة لم يكن لها حكم في نفسها ، وإنّما كان لسيدها ، فلمّا عتقت وصار الحكم إليها جعلتم لها الخيار ، والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها ، وأن لا حكم لأبيها ، فلمّا أدركت صار الأمر إليها ، فلِمَ منعتموها ما أجزتم للأمة والمعنى واحد ؟

ويردّ العالم السنّي بأنّ صحّة ذلك من القرآن الكريم ، ويبيّن بأنّ الله تعالى يقول ﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا [1] ﴾ .

ويردّ الإباضي : عجباً منك ، أنا أسألك عن عقد النكاح ونسخه وأنت تخبرني عن عدد المويسات [*] ، وعدّة اللائي لم يحضن ؟ فقال العالم السنّي ، فهل يقع طلاق من غير أن يكون عقد نكاح ؟ قال لا ، قلت في المويسات فمنهنّ اللائي قد بلغن من السنين ما لا يحضن مثلهنّ ؟ قال نعم ، قلت واللائي لم يحضن من الصغر ، قال نعم . قلت فأوجب الله عليهنّ عددا ؟ قلت أمن طلاق أم من غير طلاق ؟ قال من طلاق ، قلت فيكون طلاق من غير عقد نكاح ، فسكت و لم يرد جوابا .

ويوضح العالم السنّي حججه من قوله تعالى ﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ المراد التي لم يخلق فيهن الحيض ، وهنّ الكبائر لا الصغار ، قلت هذا غلط في اللغة . لأنّ "لم" لا

---

[1] ـ سورة الطلاق ، الآية ٤ .

[*] ـ المويسات ، لم ترد في المعاجم العربيّة ، ولعلّه يقصد اللائي بلغن سن اليأس أي اليائسات .

توضع للمستقبل ، ولو أراد ما قُلتَ لكان موضع "لم" "لا" فيقال لا تحيض فلانـة إذا نفـوا عنها الحيض ، أي ليست ممّن تحيض ، وإذا قيل لم تحض فلانة معنـاه أنّهـا لم تحـض بعـد ، وأنّها ستحيض في المستقبل [1] .

وتظهر المناظرة أنّ أكثر من عالم إبـاضي تدخّلـوا لمسـاندة أبـي الربيـع ، وتتميّز بمنهجيتها وعدم سرعتها في إحراج الخصم ، لكنّها تسجّل موقفاً شـرعيّاً يسـتند إلى الأدلّـة والحجج الشرعيّة .

د ـ مناظـرة الإباضيّـة :

إذا كانـت المناظـرات مع مخالفي الإباضيّـة في المعتقـد تمتـاز بـالهدوء والرصانـة ، أمـام الملـوك والسلاطـين ، وأمـام الـذيـن كانـوا يفـدون إلـى تاهـرت عاصمـة الدولـة الرستميّـة .

إلاّ أنّ المناظـرة بـين الإبـاضيّـة والفـرق المنشقـة عـن المذهـب كـانت تتسـم بالعنف المؤدّي إلـى :

١ ـ العراك ، كما حدث عندما ناظر إباضي رجلاً نكاريا في مدينة تـوزر ، فجـرت بينهمـا مكالمة أفضت إلى ملاكمة ، فقال أحدهما للآخر : يا حمار ، وقال الآخر يا ثور .

فخرجا من المدينة ، وكـلّ منهمـا ممتلـيء غيظاً ، فشـكا كـلّ واحـد منهمـا إلى أصحابه ما لقي من خصمه من سؤ المعاملة. فغضبت كلّ جماعة لما أصـاب صـاحبهم، فخرجوا . فكان منهم لقاء بخارج توزر فاقتتلوا قتالاً شديداً [2] .

٢ ـ المباهلة ، وذلك عندما يتمسّك كلّ مـن المتنـاظرين بموقفيهمـا فيفضـي الإصـرار على المواقف إلى المباهلة " فقد كان بين الشيخ صالح جنـون بـن يمريـان ، وبـين الشيخ أبي سليمان بن يعقوب بن أفلـح الـذي انتحـل بعـض العلـوم ومدارسـة

---

[1] ـ أنظر ، ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميّين ، ص ١١٨ ـ ١٢٠ .

[2] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٤٩ .

الكتب ، فحذّر أبوه منه جماعة أهل وارجلان ، وقال لهم لا تطمئنوا إليه ، فإنّه درس ديوان أحمد بن الحسين ...

وتناظرا ، وبعد أن تمسّك كلّ منهما برأيه ، اتّفقا أن يبتهلا يوم الجمعة... فلمّا كان يوم الجمعة اقترعا بين "كريمة " و "تيسر سرين". فوقعت قرعة الشيخ على "تيسر سرين" وتوجّه نحوها ، وتوجّه أبو سليمان إلى " كريمة " فعمل الشيخ "بتيسر سرين" مصلى ، وهو اليوم المعروف ، فمكث أبو سليمان بعد ذلك ، ففضحه الله ، وكان من تبعه على أثره أباد الله حملتهم [١] ".

٥ ـ خطب الجمعة :

كانت خطبة الجمعة من أهمّ وسائل نشر الدعوة الإباضيّة إبّان قيام الدولة الرستميّة ، وكان لأئمّة الدولة الرستميّة " دواوين خطب للجمع والأعياد إذ كانوا يخطبون بأنفسهم ولا يعيدون خطبة خطبوا بها قط [٢] ".

وكان الأئمّة الإباضيّون والخطباء يخطبون خطبتين ، الخطبة الأولى يتحدّثون فيها عمّا يريدون من الأمور ، أمّا الخطبة الثانية ، فإنّهم يلتزمون بخطبة واحدة تعرف بخطبة التحكيم ، ولا يعرف من واضع هذه الخطبة [*] إلاّ أنّ هذه الخطبة توجز سيرة

---

[١] ـ أبو زكريا : سير الأئمّة ، ص ١٩٢ .

[٢] ـ الباروني : الأزهار الرياضيّة ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ .

[*] ـ خطبة التحكيم تعود بمضمونها إلى أجواء التحكيم أيام الخليفة الراشد عليّ بن أبي طالب ﷺ ، وتدعو للشراة الذين أنكروا خلافة عليّ ﷺ بعد التحكيم ، وتدعو إلى إمامي الهدى أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب ﷺ وتغفل عليّاً وعثمان ﷺ ، ونميل إلى أنّ الهدف من هذه الخطبة هو الربط الوجداني بين الإباضيّة ونشأتهم التاريخيّة .

وأوّل من خطب بخطبة التحكيم " رجل يقال له أحمد بن منصور ، وسمعته يخطب بخطبة فلقيته وعاينته وقلت له إنّ خطبتك التي سمعت منك اليوم ليست من خطب أسلافك ، فقال لي حملني عليها عثمان بن أحمد بن بحباج . وكان مقدّما عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما استحسن لهم فخطبت بها لأنّه استحسنها لي " .

(أنظر ، الباروني : الأزهار الرياضيّة ، ج ٢ ، ص ٢٨٧) .

الإباضيّة في تاريخ دعوتهم، ونصّ هذه الخطبة التي تعرف بخطبة التحكيم " الحمد لله الذي نستعينه ونستغفره ، ونؤمن به ونستهديه ونستنصره ، ونبرأ من الحول والقوّة إليه ، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد ا لله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده ، لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون . اللّه ربّنا ومحمّد نبيّنا والإسلام ديننا ، والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا ، رضينا بحلاله حلالا، وبحرامه حراما . لا نبتغي به بديلا ، ولا عنه حولا ، ولا نشتري به ثمنا .

لا حكم إلاّ لله اتباعا لكلام ا لله ، وسنّة نبيّه ﷺ ، وخلافا لأهل البدع ، لا حكم إلاّ لله خلعا ونبذاً وفراقا لجميع أعداء ا لله ، لا حكم إلاّ لله ولو كره الجبّارون الحاكمون بغير ما أنزل ا لله ، وأشهد أنّ من لم يحكم بما أنزل ا لله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون .

اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد ، وارحم محمّداً وآل محمّد ، وبارك على محمّد وآل محمّد ، كما صلّيت ورحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد .

اللهمّ صلّ على العصبتين المباركتين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم باحسان .

اللهمّ وارحم الشراة في سبيلك أهل الفضل في الإسلام . اللهمّ أرضَ وصلّ على الخليفتين المباركتين بعد نبيئك، أبي بكر وعمر إمامي الهدى بما عملا به من كتابك وما أثراه من نبيئك .

اللهمّ وأصلح الأمير يوسف بن محمّد ، أصلحه وأصلح على يديه ووفّقه للخير وأعنه عليه ، وافتح له من عندك أعواناً وأنصاراً على طاعتك .

اللهمّ أعزز بـه الإسلام وأهله ، وأذلل به الكفر وأهله وانصره نصراً عزيـزاً ، وافتـح لـه فتحاً يسيرا ، وهب له من لدنك سلطاناً نصيرا ، كفى بك وليّاً وكفى بك نصيرا .

اللهمّ أغفر لنا ولأخواننـا الذيـن سبقونـا بالإيمان ، ربنّـا ولا تجعل في قلوبنا غـلاً للذين آمنوا ، ربّنا إنّك رؤوف رحيم [١] ".

ـ أهميّة خطبة التحكيم في نشر المذهب :

إنّ تكرار الأئمّة والخطباء لخطبة التحكيم في كـلّ صـلاة جمعـة أشبه بما يدعـى نظرية التعليم بالارتباط الشرطي التي دعا إليها العالم الروسي إيفـان بـافلوف ، فقـد وضـع بافلوف أنبوباً مطاطيّاً داخل فم الكلب ، ثمّ قام برنّ جرس كهربائي أعقبه مباشـرة تقديـم طعام شهي للكلب المقيّد فـوق المنضـدة ، فتحـرّك الكلـب الجـائع إلى الأمـام بجسـمه تجـاه الطعام ، ولكنّ القيود منعته ، وعندئذ أخذ لعابه يتجمّع في الأنبـوب المطـاطي ويتسـاقط ، وبتكرار التجربة تعلّم الكلب أنّ رنّ الجرس يتبعه دائمـاً تقديـم الطعـام ، ولهـذا فقـد تعلّـم الكلب أنّ الجرس قد أصبح رمزاً للطعام بدليل أنّ بافلوف عندما كان يرنّ الجرس للكلـب ولا يقدّم له طعاماً ، فإنّ لعاب الكلب كان يسيل من الأنبوب .

وتتلخّص عمليات تطبيق هذه النظرية ، ليس بطبيعة الحال على سـلوك الإنسـان تجاه الطعام ، ولكن على سلوكه السياسي [٢] .

فإذا كان لدى أي إنسان أفكار سلبيّة عن الإباضيّة فإنّه من خلال تكرار سماعـه لخطبة التحكيم قـد يغيّر أفكـاره وينسـجم مـع أفكارهـا . ويستعيد المستمع تاريخـاً مـن الأحـداث ابتـداء مـن قضيـة التحكيـم إلى معوّقـات نشـر المذهـب الإبـاضي في الشـمال الإفريقـي ، فيعيش نضال المذهب ، وتنمو تعاليمه في وجدانه .

---

[١] ـ الباروني : الأزهار الرياضيّة ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

[٢] ـ أنظر ، العفيفي ، عبد الحكيم : غسيل المخ وتحطيم العقائد ، ص ٣٧ ، القاهرة ، مركز الزهـراء للإعـلام العربي ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

ونستفيد من ظاهرة تكرار خطبة التحكيم بأن يفرض على خطباء المساجد الالتزام في الخطبة الثانية بالحديث عن موضوع معيّن ، تعيّنه المراجع الدينيّة ، وبذلك يشعر المسلمون بالوحدة الوجدانيّة التي تجمعهم ، وبمرجعيّة تهتم بأمورهم وتعالج مشاكلهم .

٦ ـ تأليف الكتب :

جهد الإباضيّة في إبراز وجهة نظرهم في منطقة تموج بالاضطرابات ، وأظهروا تفانياً في نشر آرائهم ، وبذلوا في سبيل ذلك كلّ ما أتيح لهم .

ولم يكتفوا بالمناظرات ، بل عملوا على تأليف الكتب التي تشرح مذهبهم ليسهل على الدارسين الاطلاع على الآراء الإباضيّة .

ويذكر البرادي (ت ٨١٠ هـ/ ١٤٠٧م) في كتابه " رسالة في كتب الإباضيّة " المكتبات الإباضيّة التي كانت عامرة بالكتب ، ومنها مكتبات جبل نفوسه ، حيث أمضى أربعة أشهر وهو يطّلع على تصانيف المذهب ؛ ويعبّر عن ذلك بقوله " لم أذق فيها نوماً إلاّ فيما بين أذان الصبح إلى طلوع الفجر ، فنظرت في أثناء ذلك فيما هناك من كتب المذهب التي وصلت من المشرق ، فإذا نحو من ثلاثة وثلاثين ألف جزء [1] ".

ويعدّد عشرات المؤلّفات في المذهب الإباضي ، التي ضاع معظمها بسبب الظروف المضطربة ، التي عانى منها الإباضيّة بعد سقوط دولتهم .

ويذكر أنّ هذه الكتب كانت أقرب إلى الموسوعات منها إلى الكتب العاديّة وأشهر هذه المؤلفات :

---

[1] ـ البرادي ، أبو الفضل أبو القاسم إبراهيم : رسالة في كتب الإباضيّة ، ص ٦٣ ، دراسة وتحقيق محمد زينهم محمد عزب وأحمد عبد التواب عوض ، القاهرة ، دار الفضيلة ١٩٩٤ .

١ ـ كتاب الشيخ أبي عمران موسى بن زكريا المزاتي، وكتابه الكبير الذي ألّفه، هو وأهل الغار المشتمل على اثني عشر جزءاً، لكن هذا الكتاب الذي فقد يدلّ على أنّ التأليف الجماعي كان معروفاً عند الإباضيّة [1].

٢ ـ ديوان الأشياخ " وهو المعتمد عليه اليوم عندنا، يشتمل على أربعة وعشرين جزءاً ومن طريق آخر خمسة وعشرين وهي:

- كتاب الأحكام ثلاثة أجزاء.
- وكتاب الصلوات ثلاثة أجزاء.
- وكتاب الزكاة جزءان.
- وفي كتاب البيوع جزءان.

وأمّا الأجزاء ـ الأخرى ـ فهي: كتاب الطهارات جزء، وكتاب الصيام جزء، وكتاب الرهن جزء، وكتاب الإجارات جزء، وكتاب القراض والطوارئ جزء، وكتاب نفقة الأولياء جزء، وكتاب الضمانات جزء، وكتاب الدِّيَّات والقصاص جزء، وكتاب النكاح جزء، وكتاب الطلاق جزء، وكتاب حقوق الوالدين جزء، وكتاب الحيض والنفاس جزء، هذا هو الموجود الآن في أيدي العزاة ـ الذين يعزون الكتب إلى أصحابها ــ والرابع والعشرون كتاب المواريث والفرائض وهو قليل، والخامس والعشرون على حساب من يثبته، والله أعلم وسمعت أنه مسائل المناسك، ولا رأيته، ولا رأيت من رآه [2] ".

[1] ـ أنظر، البرادي: رسالة في كتب الإباضيّة، ص ٦٧ ـ ٦٨.

[2] ـ البرادي: المصدر السابق، ص ٦٨ ـ ٦٩.

٧ ـ الرسائل :

أدّت الرسائل دور الإعلام في تبليغ الدعوة الإباضيّة، والإعلام في اللغة هو التبليغ ، ويقال "بلغ الشيء يبلغ بلوغا، وصل وانتهى ، وأبلغه هو ابلاغا وبلّغه تبليغا [١] ".

وإذا كان الإعلام في حقيقته "نشاط غرضي مقصود وهادف يسعى لتبديد الفوضى وإبراز النظام ، والإعلام وضع العبارة في شكل مفهوم ولا يمكن أن يكون عبثا مجردا من كلّ غاية ، وإنّما يكون للدلالة على أمر يخصّ ذلك الشيء فيطّلع عليه الناس لمعرفة مضمونه، والوقوف على معناه [٢] ". فقد لعبت الرسائل الإباضيّة في هذا المجال دور وسائل الإعلام .

واستطاع الإباضيّة بهذه الوسيلة أن يكتبوا ما يريدون في رسائل يحملها الدعاة ويقرؤنها على الناس وتنتقل هذه الرسائل إلى أماكن لا يستطيع الدعاة الوصول إليها .

ويمكن القول أن أسلوب الرسائل في نشر المذهب الإباضي هو أشبه بأسلوب الكاسيت في العصر الحديث . حيث يستطيع الإمام الإباضي كتابة الرسائل إلى أتباعه وهو بعيد عن أنظار مطارديه ، وتقرأ هذه الرسائل على الأتباع والمؤيّدين في جلسات سريّة ، وكانت هذه الرسائل متنوعة الأهداف منها :

أ ـ رسائل في توضيح المذهب :

تنوّعت الرسائل التي كتبها الأئمة الإباضيّون ، فمن هذه الرسائل ما كان لتوضيح المذهب كالرسالة التي بعث بها عبد الوهاب بن عبد الرحمن إمام الدولة الرستمية إلى أهل طرابلس ، ويقول فيها " أمّا بعد فإنّ الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما أنزل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ، وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وما ملكت اليمين . وغضّ البصر وحفظ الفرج وستر ما

---

[١] ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب ، ج ٨ ، ص ٤١٩، بيروت، دار صادر، د.ت .

[٢] ـ إمام ، إبراهيم : أصول الإعلام الإسلامي ، ص ١٤ .

أمر الله به أن يستر ، والاستئذان على أهل البيوت، والنكاح بالرضا والفريضة بإذن الولي والشهود ذوي عدل وانقاء الحيض والغسل من الجنابة ، وذكر اسم الله عند الذبيحة وأداء الأمانة إلى جميع الناس، البار منهم والفاجر، والحكم بين الناس بالعدل ، والتعاون على البرّ والتقوى ، والنهي عن الفحشاء والمنكر والإثم والعدوان ، والتوبة من الذنوب والشهادة لأهل الهدى بهداهم وولايتهم عليه، والشهادة على أهل الضلالة بضلالتهم، والبراءة منهم .

فمن أقرّ للمسلمين ـ الإباضيّة ـ بهذا وجبت ولايته ومودته ، والاستغفار له ، ووجب حقّه ما لم يحدث حدثا يخرجه من ولاية المسلمين [1] ".

ب ـ رسائل في الأمور الدينيّة :

تكون هذه الرسائل إجابة على أسئلة يبعث بها الإباضيّة يستفتون في أمور دينهم . فقد ذكر الدرجيني نماذج من هذه الرسائل ، منها الرسالة التي كتبها أحد العلماء " إلى جماعة الشيوخ بوارجلان يسألهم :

ـ سؤال : ما اليقين والقدر وما الفرق بينهما ؟

ـ الجواب : اليقين صحة الاعتقاد ، وهو من أفعال القلب ومن أفضل أفعال العباد ،

قال رسول الله ﷺ (أعبد الله على الرضى واليقين ، وإلاّ ففي الصبر على ما تكره خير كثير [*]) .

لو ازداد يقينا لمشى على الهواء ، والقدر ما قدره الله قبل أن يكون قال عليه السلام في الإيمان (أن تؤمن بالقدر خيره وشرّه وأنه من الله [**]) .

---

[1] ـ الإباضي ، ابن سلام : الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضيّة ، ص ١٠٧ .

[*] ـ وجدنا حديث (أعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس في كتاب المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الاحياء من الأخبار للعلامة زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، الملحق بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، ج ٤ ، ص ٦٩ ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت .

[**] ـ أخرجه مسلم في صحيحه ،ج ١ ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ، في كتاب الإيمان من حديث جبريل عليه السلام الطويل (... قال فأخبرني عن الإيمان ، قال أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه قال صدقت ...) .

ـ سؤال : هل يقال لله تعالى بالبربرية إيراد ؟

ـ الجواب : ما سمعنا أحداً أجازه ، ولعلّ هروبهم من جوازه اشتراك اللفظة في لغة البربر ، فإنّهم يسمون الداجن من الطير والوحش إيرادان ، ولمن أخلف الوعد "يردى" وهذا على حسب اللغات ، والهروب من المشكل إلى الواضح أولى .

ـ سؤال : ما الحكم فيمن قال إن الله ليس بييكش ؟

ـ الجواب : إن كان بربريا أو ممّن يعرف اللسان البربري فهو كمن قال : إن الله ليس بإله ، ومن قال ذلك فهو مشرك .

ـ سؤال : ما أعلام الساعة ؟

ـ الجواب : إنها خمس ، اثنتان منصوصتان ، واثنتان مستخرجتان من النص ، وواحدة من الحديث ، فالمنصوصتان قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ [1] ﴾ وقوله في عيسى عليه السلام ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ [2] ﴾ .

والمستخرجتان من النص طلوع الشمس من مغربها ، قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا [3] ﴾ والدابة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ [4] ﴾ .

---

[1] ـ سورة الأنبياء ، الآية ٩٦ .

[2] ـ سورة الزخرف ، الآية ٦١ .

[3] ـ سورة الأنعام ، الآية ١٥٨ .

[4] ـ سورة النمل ، الآية ٨٢ .

والحديث ، قوله ﷺ (نار تخرج من عدن تطرد الناس إلى محشرهم (*) وحبشي يعلو على الكعبة بفأسه يهدمها ، وخسف بجزيرة العرب) [1] " .

ج ـ رسائل في الردّ على المخالفين :

كثرت الرسائل بين الإباضيّة منذ وقع الإنشقاق الأول بينهم وأخذت كلّ فئة ترسل الرسائل إلى علماء الإباضيّة في المشرق طالبة رأي علماء المذهب .

وكان العلماء الذين لا يتمكّنون من الحضور إلى المغرب ، يتمثّلون برأيهم الذي يبعثونه مكتوباً مع رسل ، ومن هذه الرسائل رسالة الشيخ أبي عيسى بن إبراهيم الخراساني الذي يبدأ رسالته بقوله :

من أبي إبراهيم بن إسماعيل الخراساني وجماعة المسلمين إلى من بلغه كتابي هذا إلى إخواننا من أهل المغرب وأهل ديننا من أهل الحقّ والرشد .

سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم ا لله الذي لا إله إلاّ هو ، وأسأله أن يصلّي على محمّد عبده ورسوله ﷺ البار الرحيم .

وبعد أن يدعو الإباضيّة إلى التمسك بتعاليم الإسلام ، والتحذير من لوقوع في الفتنة يذكر سبب كتابة هذه الرسالة بقوله : جاءنا بعض أصحابكم فذكروا لنا أمراً بلغ إلينا وساءنا هلاك من هلك قبلكم من أهل دين المسلمين وخلافهم أئمة الهدى عند المسلمين بالمشايخ الذين أدركنا عندنا ، فا لله المستعان على ذلك وعلى ا لله التكلان .

(*) ـ أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب أشراط الساعة ، ج ٤ ، ص ٢٢٢٦ ، رقم الحديث ٢٩٠١ (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات ، خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف من جزيرة العرب ، والدخان ، والدجال ، ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس) .

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩ .

ويمضي في عرض الخلاف الذي حدث في عهد الإمام عبد الوهاب ، حين ولي خلف بن السمح ولاية طرابلس دون علم ورضى الإمام عبد الوهاب فيقول : لست أرضى بما صنعتم ، وكان ينبغي لهم أن يسمعوا ويطيعوا لقول عبد الوهاب ، ويخلعوا ماسواه ، وينتهوا إلى قوله ورأيه لما أبان لهم من سيرته فيهم وولايته وطاعته واجبة عليهم ، فمن شاقّه وبغى عليه فهو عندنا ضال كافر حتى يرجع ويتوب .

ويحذّر الإباضيّة من عصيان أمر الإمام ، لأن قوله مطاع ، ورأيه متبع ، ومشاورة الفقهاء والمسلمين جائزة ، يعمل برأي المسلمين ، ويترك ما خالفه . ويختم رسالته بقوله :

فمتّعه الله بحياته لنا ولكم ، ونسأله العون على الحقّ والصبر ، فبلغنا أنه أنكر على من دخل في رأي خلف كما أنكره أبوه ، ومن قبله من المسلمين . وأبوا ذلك عليهم ، فخالف خلف وأصحابه وأبوا إلاّ رأيهم ، فالله المستعان ، وقد فسّرنا لهم وإيّاكم معالم ديننا ووضّحنا رأي المسلمين عليهم [1] .

د ـ رسائل وعظ وإرشاد :

وشملت الرسائل نصائح ومواعظ جامعة يعود إليها أتباع المذهب في مسار حياتهم ، وتكون وسيلة تواصل بين الإباضيّة ودعاتهم ، ومن هذه الرسائل ما كتبه الإمام أفلح إلى أحد دعاته يقول :

" أمّا بعد عافانا الله وإياك عافية المتّقين الذين أنعم الله عليهم بطاعته ، وهداهم إلى ما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب . كتبت إليك ، ومن قبلي في عافية الله لا شريك له أحببت أن أعلمك ذلك بالكتابة به إليك لتحمد الله على ذلك وتشكره كما هو أهله .

---

[1] ـ أنظر ، الإباضي ابن سلام : الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية ، ص ١٦١ ـ ١٦٦ .

وأوصي نفسي وإياك بتقوى الله ولزوم طاعته والتوفي على دينه والتوكّل عليه وحده ، لا شريك له ، فإنه ﷻ يقول ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا [1] ﴾ .

فألزم التقوى نفسك وأشعرها قلبك واصبر على ما أصابك ، إنّ ذلك لمن عزم الأمور . والتقوى من الله بمكان عظيم ، والمتّقون هم الفائزون ، خلصوا من هموم الدنيا وأشغالها ، ونجوا من عذاب الآخرة ونكالها . فمهّدوا لأنفسكم وقدّموا لمعادكم واعملوا عملاً يسرّكم غدا مكانه ، فكأني بكم وقد فارقتم الدنيا ولحقتم بالموتى . وعليكم بالتمسّك بما مضى عليه سلفكم الصالح أهل الفقه واليقين والبصيرة في الدين ، نظروا إلى الآخرة بقلوبهم ، فهان عليهم فراق الدنيا وما فيها .

فلا تغرّنكم فإنّها فانية زائلة ، فكأنّنا وإيّاكم قد فارقناها فوقعنا بين يدي الله تعالى ، فيجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

عصمنا الله وإياكم بالتقوى ورزقنا العمل بطاعته ، فإنّه ولي ذلك ومنتهى الرغائب ، لا شريك له ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلم [2] ".

لقد عمد الإباضية إلى أسلوب الرسائل في مرحلة الكتمان بعد سقوط الدولة الرستمية (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) لنشر دعوتهم وجعلوه وسيلة اتصال بالتجمعات الإباضيّة .

---

[1] ـ سورة الطلاق ، الآية ٢ ـ ٣ .

[2] ـ الباروني : الأزهار الرياضية ، ج ٢ ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

واستبدلوا في العصر الحديث بالصحافة أسلوب الرسائل، وأهم الصحف الإباضيّة :

- وادي ميزاب ١٩٢٦ ، الأمـــة ١٩٣٣ .
- الـفـرقـــان ١٩٣٨ ، البستان ١٩٣٣ .
- الـنـبـــراس ١٩٣٣ ، الـنـــور ١٩٣١ ، المغرب ١٩٣٠ [١] .

وتخاطب الصحافـة الإباضيّـة أتبـاع المذهـب الإبـاضي في الجزائـر باسـم الأمـة المزابيـة نسبـة إلى وادي ميزاب وجاء فـي افتتاحيـة العـدد الأول من جريـدة وادي مـيزاب " وأشنع من ذلك وأنكى أنّ أمّة كالأمّة الميزابية ، ولها مركزهـا في الوجـود ، ومقامهـا في الحياة ومكانتها في التاريخ ، ومنزلتها في الاجتماع ، ودرجتها في تحريك دواليـب التجـارة في القطـر الجزائري ، وهي بكمـاء خرساء لا بيـان يعبّر عـن مقاصدهـا فـي وقت هي فيـه أشدّ الأمم اضطـراراً إلـى رفع صوتها ، وإبلاغ أنّاتها إلى المراجع الإيجابيّـة ، وإلفـات نظـر الأحرار إلى حالتهـا البائسـة [٢] ".

- استنتـاجـات :

إنّ الخطاب فن عريق من فنون الاعلام ، اهتدى إليه الإنسان منذ فجر التـاريخ، ووظّفته الدعوات والحركات الدينيّة والسياسيّة في العصـور كلّهـا . وكـان الإسـلام أكـثر هذه الحركات توظيفاً لهذا الفن الخطير .

واستنبطت الدعوة الإباضيّة وسائل دعوتها من أسلوب الدعوة الإسلاميّة ، ولقد اعتمد الرسول ﷺ أسلوب الرسائل في تبليغ الدعوة .

وإذا كان المذهب الإباضي قد استغلّ الخطابة لتوضيح ما يدعو إليه فإنّ الخطابة هـي أسلوب من أساليب الدعوة الإسلاميّة ، وكان للمسجد دور رائد في هذا المجال .

---

[١] ـ أنظر ، ناصر ، محمد : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ص ١٩٩ ـ ٣٠٠ ، الجزائـر ، الشـركة الوطنيـة للنشـر والتوزيع ١٩٨٠ .

[٢] ـ إبراهيم ، أبو اليقظان : الإفتتاحية ، ص ١، جريدة وادي ميزاب ، العدد الأول ، الجمعة ١ تشرين الأوّل ١٩٢٦ .

الفصل الثالث

التعليم في مرحلتي الكتمان والظهور

◆ **سيطرة المالكيّة على نظم التعليم في الشمال الإفريقي .**

◆ **التعليم الإباضي في مرحلة الكتمان الأولى :**

أ ـ الكتاتيب العامّـة .

ب ـ دور القرآن الكريم .

ج ـ المدارس .

د ـ الدراسات العليا :

١ ـ تحت الأشجار .

٢ ـ تحت العريش .

٣ ـ في الغـار .

◆ **التعليم الإباضي في مرحلة الظهور :**

أ ـ الكتّـاب .

ب ـ المنـاظـرة .

◆ **استنتاجـات .**

◆ **التعليم الإباضي في مرحلة الكتمان الأخير .**

◆ **نظام العزابـة :**

أ ـ اشتقاق لفظ العزابة :

١ ـ الردّ على من قال أنّ لفظ العزابة بربري .

٢ ـ الردّ على من قال أنّ مفهوم العزابة من المسيحية .

ب ـ هيئة العزابة .

ج ـ مهام العزابة :

١ ـ المهام الدينيّة .

٢ ـ المهام الاجتماعيّة .

٣ ـ المهام الاقتصاديّة .

٤ ـ المهام التربويّة .

د ـ شروط الانتساب إلى العزابة .

هـ ـ نظام التعليم في مجالس العزابة :

١ ـ الهيئة التعليميّة والإداريّة :

أ ـ الشيخ .

ب ـ العرفاء .

٢ ـ مهام الهيئة التعليميّة :

أ ـ عريف الختمات وأوقات النوم .

ب ـ عريف الطعام .

ج ـ عريف تحفيظ القرآن الكريم .

د ـ عريف أوقات الدراسة .

و ـ سير العمل الدراسي اليومي .

◆ استنتاجات .

ـ سيطرة المالكيّة على نظم التعليم في الشمال الإفريقي :

يختلف التعليم عند الإباضيّة عن غيرهم من سكان الشمال الإفريقي الذين يتّبعون ، في معظمهم ، المذهب المالكي . فقد كان التعليم الإباضي يصطبغ بصبغة مذهبيّة ، ويهدف إلى تحقيق هدفين هما :

أ ـ هدف علمي : يرمي إلى حفظ طلبة العلم للقرآن الكريم ، وما يتّبع ذلك من تعليم القراءة والكتابة والخطّ والحساب والنحو واللغة والشعر .

ب ـ هدف ديني : يرمي إلى تزويد الطلبة بالعلوم الشرعيّة من وجهة نظر المذهب الإباضي ، ويقتضي ذلك تلقين الطلبة مفاهيم معيّنة وتوجيههم فكريّاً ، ليكونوا من أنصار المذهب ودعاته في المستقبل .

وإذا كان الفكر التربوي الإباضي قد حدّد طرق العلم على النحو التالي ، " أحدها العقل المحض كادراكنا أنّ الواحد نصف الاثنين ، وثانيهما الوجدان وهو ما يجده الإنسان في نفسه ، وعبّر عنه بعضهم بالحس الباطن وذلك كإدراكنا الجوع والشبع والألم والراحة والحبّ والبغض وإنّما كان هذا قسما برأسه لأنّه لا يتوقّف على غيره من الطرق فالعاقل وغيره فيه سواء، وثالثها الحسّ الظاهر وهو خمسة أشياء أحدها السمع وهو يدرك الأصوات ، وثانيها البصر وهو يدرك الألوان ، وثالثها الشمّ وهو يدرك الروائح الطيّبة والنتن ، ورابعها الذوق وهو يدرك الحلاوة والمرارة والحموضة ونحوها ، وخامسها اللمس وهو يدرك الخشونة واللين واليبوسة والرطوبة واللزوجة [1] ".

غير أنّه لم يسمح بقيام المدارس الإباضيّة إلى جانب مدارس أهل السنّة الذين انتهى إليهم في الشمال الإفريقي تعليم الدين [2] . ولأنّ المنهاج التعليمي في

---

[1] ـ السالمي : مشارق أنوار العقول ، ص ٤٠ .

[2] ـ أنظر، الأهواني، أحمد فؤاد : التربية في الإسلام ، ص ٨١ ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٧٥ .

الكتاتيب حُـدّد على النحو التـالي " يـأمرهم بـالصلاة لسبع السـنين ، ويضربهـم عليهـا لعشـر، ويعلّمهم مبادئ عقائد الإيمان ، وفروع الشريعة ، ويستخبرهم كيف وضؤوهم وصلاتهـم، فمـن وفى بذلك أقرّه عليه وإلاّ علّمه ما بقي عليه ، وممّا جرت به العادة تعليمهم أسمـاء الشـهور العربيّـة والعجميّة ، وتلقينهم القنوت والتشهد ، وإقراؤهم تلقينا من (سبح اسم ربك) إلى آخر القـرآن (من الجنّة والناس) لينتفع به من كتب الله عليه الخروج إلى صنعه في صلاتـه، كمـا أنّ شـأن أهـل البادية تلقينهم الشهادتين والأسماء الحسنى [1] ".

وحظّر علماء المالكيّة من تعليـم الخـوارج وأولادهـم القـرآن الكريـم والكتابـة ، وأصدروا في ذلـك فتـوى شرعيّة عنـدما سئلوا هل يجوز تعليم الخوارج وأولادهــم القـرآن الكريم والكتب أم لا ؟ فكان جوابهم للسائل " أمّـا أولاد مـن ذكـرت ، فـلا تعلّمهـم إلاّ القرآن وحده ، ولا تمكّن صبيانك من تعليمهم الكتابة ، وإن ظننت أنّهم يتعلّمون الكتـب عند غيرك فيكون تعليمك لهم القرآن عونا علـى تعليـم الكتـب فـلا تعلّمهـم أصـلاً ، وإن علمتهم فأدّوا عنكم المظالم فلا بأس [2] ".

- التعليم الإباضي في مرحلة الكتمان الأولى :

يعتبر التعليم جزءاً من النظـام الاجتمـاعي ، ويسـعى إلى تحقيـق أهـداف المجتمـع ضمن أطـر تشـكّل مجتمعـة " النسـج الكلّـي المعقّـد ، مـن الأفكـار والمعتقـدات والعـادات والتقاليد والاتجاهات والقِيَم وأساليب التفكير والعمـل ، وأنمـاط السـلوك ... ممّـا ينشـأ في ظلّه ، كلّ عضو من أعضاء الجماعة ، وممّا ينحدر إلينا من الماضي ، فنأخذ بـه كمـا هـو ، أو نطوّره ، في ضوء ظروف حياتنا وخبراتنا [3] ".

---

[1] ـ المغراوي ، أحمد بن أبي جمعة : جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعـرض للمعلمـين وآبـاء الصبيـان ، ص ٤٧ ، تحقيق أحمد جلولي البلوي ورابح بونار ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د. ت .

[2] ـ الونشريسي، أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عـن فتـاوي علمـاء إفريقيـة والأندلـس والمغـرب، ج٨، ص٢٣٨، خرجّه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجّي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م .

[3] ـ سرحان ، الدمرداش . كامل ، منير : المناهج ، ص ٤٨ ـ ٤٩ ، القاهرة ، دار العلوم للطباعة ، ط ٣ ، ١٩٧٢ .

وبما أنّ النظام الاجتماعي الإباضي له تصوّراته وتطلّعاته ، لذلك كان لا بدّ من قيام المؤسسات التربويّة الإباضيّة بعيداً عن السلطة المناوئة بعد أن يتلقى أطفال الإباضيّة مبادئ القراءة في الكتاتيب .

وكان التعليم الإباضي في مرحلة الكتمان الأولى يتمثل في :

أ ـ الكتاتيب العامّة :

كان أطفال الإباضيّة الأوائل ، في مرحلة الكتمان " يتلقّون تعليمهم الابتدائي في الكتاتيب العامّة ، إذ كانوا يتعلّمون مبادئ القراءة والكتابة والحساب وتلاوة القرآن الكريم ، وحفظ بعض الآيات والسور القصيرة [1] ".

ب ـ دور القرآن الكريم :

تمكّن الإباضيّة ، مع مرور الزمن ، من إنشاء كتاتيب خاصة بهم عرفت باسم ' دور القرآن " كان أطفال الإباضيّة يتلقون فيها تعليمهم الابتدائي على أيدي معلمين باضيّين . وقد نشطت هذه الدور ، بعد أن تولّى أبو عبيدة في البصرة تعليم المبادئ لإباضيّة في سرداب [*] وكان هو نفسه يشرف عليه ويعلّم الطلبة ويدرّبهم على القيام نشر الدعوة ، ثمّ يبعث بما يسمّى " حملة العلم إلى مختلف البلدان ، وكانت التعليمات التي يزوّد بها هؤلاء تقضي بأن يقوموا بعمل سياسي وبنشر الدعوة في السر حتّى يخلقوا الظروف الملائمة ويجتمع لديهم عدد كافٍ من الأنصار والمؤيّدين ، ثمّ يعلنوا حالة الظهور [2] ".

---

[1] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٥٧ ، عمان ، مؤسسة آل البيت ١٩٩٢ .

[*] ـ كان أبو عبيدة مستخفياً تخوّفاً من الحجّاج بن يوسف أمير الأمويّين على العراق ، فأدخل الطلاّب في سرداب وجعل فيه سلسلة وطفق يعمل القفاف بباب السرداب فمتى رأى شخصاً مقبلاً حرّك السلسلة فسكتوا فإذا انصرف حرّكها فيأخذون في دراستهم .

(أنظر الدرجيني ، طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٢٠) .

[2] ـ أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ١٣ .

ووجدت بعثة العلماء المؤلّفة من أبي الخطّاب المعافري ، وعبد الرحمن بن رستم ، وعاصم السدراتي ، وإسماعيل بن درار الغدامسي ، وأبي داوود القبلي النفزاوي تربة خصبة في المغرب [1] .

و لم تكن دور القرآن الكريم هي الأماكن الوحيدة لتعليم أطفال الإباضيّة ، بل أدّت المساجد ، في أماكن تواجدهم " دوراً بارزاً في هذا الشأن حيث ابتنى الإباضيّة لأنفسهم مساجد خاصّة يقيمون فيها شعائر الصلاة ، ويدعون لمذهبهم ، ويستمعون من كبار مشايخهم للوعظ والإرشاد ، وفي بعض المناسبات كان الخطباء يذكرون استبداد الحكام الأمويّين واستئثارهم بالسلطة دون بقيّة المسلمين ، ممّا جذب لحركتهم كثيراً من الناس من معارضي الحكم الأموي [2] ".

وكانت دور القرآن الكريم مخصّصة للأطفال " بين السادسة والحادية عشرة أو الثانية عشرة من العمر ، وفيها يتلقّى الصبيان دروساً في القراءة والكتابة والحساب ، وبعض الشعر ، كما يتعلّمون فيها الوضوء والصلاة والصيام والواجبات الدينيّة التي لا يجوز لمسلم أن يجهلها [3] ".

وكان بعض الصبيان في هذه الدور يحفظ القرآن الكريم " وإن لم يكن إلزامياً . ويشرف على دور القرآن معلّمون من اتباع المذهب الإباضي ممّن عرفوا بالتقوى والورع والأخلاق الحميدة ، ليكونوا قدوة حسنة للأطفال الذين سيصبحون ، فيما بعد ، رجال الدعوة وحماتها [4] ".

---

[1] ـ أنظر ، الشماخي : السير ، ج ١ ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .

[2] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٥٨ .

[3] ـ السالمي ، نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم : رسالة تلقين الصبيان لمدارس عمان ، ص ٦ ـ ٧ ، بإشراف عزّ الدين التنوخي ، دمشق ، المطبعة العمومية ، د. ت .

[4] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٥٨ .

ج ـ المدارس :

عرف الإباضيّة المدارس في أماكن تجمعاتهم ، بمجالس تعليم سريّة على غرار المجالس الموجودة في البصرة ، ويطلق علي يحيى معمر على هذه المجالس اسم المدارس ، ويبيّن أنّه لا يقصد " بكلمة مدرسة المعنى الواسع الذي يشتقّ من كلمة الدراسة والتدريس ، وهذا المعنى يمكن أن يشتمل على ثلاث مدلولات :

- **الأوّل** : الدور التي أنشئت لتعليم الناشئة وتربيتهم وتتدّرج بهم من المبادئ الأوّلية لأنواع العلوم المعروفة في تلك الأزمنة ، حتّى تنتهي بهم أو ببعضهم في مرحلة يُشهد لهم فيها بأنهم بلغوا درجات معيّنة من العلم ، يستحقّون بعدها أن يسمّوا علماء ، وأن يقوموا بالأعمال التي يقوم بها العلماء ، وهذه المدارس تكون ذات مناهج وأنظمة معيّنة .

- **الثاني** : دروس الوعظ والإرشاد والتوجيه التي يقوم بها بعض كبار العلماء في المساجد والمناسبات ، ويقصد بهذه الدروس تثقيف العامّة وأشباه العامّة، وتنمية معلومات أولئك الطلاّب الذين درسوا بعض الدراسة ، لكنّ ظروف الحياة حالت دون إتمامهم لدراستهم .

- **الثالث** : الأثر الفكري أو الاجتماعي الذي يتركه أحد أولئك الكبار فيستجيب له الناس ، حتّى أولئك الذين لم يجلسوا إلى حلقته ، ولم يستمعوا إلى دروسه ، وإنّما وصلتهم عن طريق الكتب أو الرواية ، أو سريان الأفكار والآراء ، وهذا النوع شبيه إلى حدّ ما بما نسميه اليوم بالمدارس الأدبيّة أو المدارس الفلسفيّة أو المدارس الفكريّة [1] .

كانت هذه المدارس مخصّصة للكبار ، وكانت في مرحلة الكتمان تتمتّع بشيء من الحريّة، لأنّها قامت في مناطق قبائل البربر المناوئين للسلطة السياسيّة في القيروان .

---

[1] ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في ليبيا ، ج ٢ ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

وهذه المجالس ، التي قلّد بها الإباضيّة مجالس التعليم في البصرة ، أقامها حملة العلم في مختلف الأقطار الإسلاميّة " التي استقرّوا فيها ، وتخرّج منها عدد كبير من العلماء والدعاة ، عرفوا باسم تلاميذ حملة العلم ، وأصبح هؤلاء ، بعد موت أساتذتهم المراجع الدينيّة والعلميّة لمواطنيهم [1] ".

ولعلّ من أنجح هذه المدارس هي التي أنشأها بعض حملة العلم ، مدرسة ابن درار الغدامسي وعاصم السدراتي ، وأبي داوود القبلي .

وكانت مدرسة " أفاطمان " في ليبيا ، التي أسّسها عمرو بمكتن ، وطوّرها ابن مغطير عندما رجع إلى ليبيا من البصرة . " وتكوّنت فيها مجموعات من الطلبة ، الذين يحفظون كتاب الله أو بعضه ، ويعرفون الكتابة والقراءة العربيّة ، ويستظهرون كثيراً من الأحاديث النبويّة الشريفة ، وهؤلاء الطلبة يصلحون أن يكونوا نواة لتأسيس مدارس تهتمّ بدراسة فنون العلم المعروفة في ذلك الحين في الأوساط الإسلاميّة [2] ".

د ـ *الدراسات العليا :*

يتّفق علماء التربية المسلمون على المواد التي ينبغي للصبي دراستها في الكتّاب ، أو في المرحلة الإبتدائيّة ، لكنّ الخلاف " وقع بين المربين بين غايتي التأديب والتربية [3] ". وبما أنّ الإباضيّة يسعون إلى إقامة خلافة إسلاميّة إباضيّة ، لذلك كانت الغاية من التأديب والتربية الإباضيين إعداد الدعاة الذين على أكتافهم ستقوم الدولة الإباضيّة .

وكان التعليم المذهبي ، أو ما يصحّ أن يطلق عليه الدراسات العليا أو المعمّقة في المذهب الإباضي ، يتمّ بعيداً عن أنظار المخالفين الذين كانوا يعتبرون الإباضيّة معادين

---

[1] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٠ .

[2] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في ليبيا ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

[3] ـ رضا ، محمد جواد : العرب والتربية والحضارة ، الاختيار الصعب ، ص ١١٨ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٣ ، ١٩٩٣ .

للدولة ، ويجب القضاء عليهم ، ولذلك كانت أماكن تلقي الدراسات العليا في الأماكن الظليلة التي تقييهم حرّ الشمس في الصحراء والبعيدة عن أعين الأعداء ، وكانت هذه الأماكن :

١ ـ تحت الأشجار :

يذكر الدرجيني أنّه " بالموقع المعروف " يأتيجان " من الجزيرة ، هناك شجرتان من الخروب عظيمتان ، فكان جلوس طلبة الفقه عند الشجرة القبليّة منهما ، وطلبة الأصول عند الجوفيّة [١] ".

٢ ـ تحت العريش :

كان إذا كثر عدد التلاميذ ، و لم يعد ظل الأشجار يستوعبهم ، فإنّهم كانوا ينتقلون إلى " عريش عملوه عند عيون "تمولسة" ، فكثروا واجتهدوا وحسنت أحوالهم ... فكانوا في أبر حال إلاّ أنّهم لحقهم خوف من العرب ، فإن الموضع الذي هم به هو ممرّ لأعراب إذا رحلوا من طرابلس إلى إفريقية ، أو متى رجعوا ، والطلبة بهذا في حذر [٢] ".

٣ ـ في الغار :

وإذا ازداد عدد التلاميذ ، وخوفا من أعين الجنود ، كان الطلبة ينقلون " اجتماعاتهم للدرس في غار هناك، ثمّ إذا كثر الطلبة فضاق عليهم الغار ، فانتقلت منهم جماعة إلى غار آخر ، فكان الشيخ ليلة عند هؤلاء ، وليلة عند هؤلاء [٣] ".

نستخلص ممّا تقدم أنّ التعليم الإباضي في الشمال الإفريقي ، كان يتمّ في مرحلة الكتمان الأولى على النحو التالي :

---

[١] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

[٢] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

[٣] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

١ - " للأطفال في دور القرآن .

٢ - لليافعين تحت شجرة أو عريش .

٣ - للشباب في الغار ليلاً [١] ".

وكان الطلاّب الذين يدرسون في البريّة ، وفي الكهوف ، بعيداً عن أعين الناس، يتلقّون " التدريب على الرمي ، والفروسيّة [٢] ". فالهدف النهائي إقامة دولة تحت قيادتهم، ولا بدّ من وجود جيش قوي منظم يحقّق هذا الهدف .

- التعليم الإباضي في مرحلة الظهور :

أعلنت مرحلة الظهور ، بعد إعلان الإمامة الإباضيّة في تاهرت [*] ، وتحولت المؤسسات التعليميّة إلى حلقات دروس وتحصيل على غرار ما كان معروفاً في الأقطار الإسلاميّة ، حيث كانت حلقات العلم تعقد في المساجد والجوامع الكبيرة " ويتولّى التدريس فيها علماء إباضيّون ، مشهود لهم بعمق المعرفة وغزارة التحصيل [٣] ".

ولم تختلف مؤسسات التعليم الإباضي في مرحلة الظهور . عن غيرها من مؤسسات التعليم الأخرى في الشمال الإفريقي سوى في دراسة العقيدة الإسلاميّة وفق المفهوم الإباضي ، ويتولّى معلمون إباضيون التعليم في هذه المؤسسات ، التي كانت تشمل :

---

(١) - حجازي ، عبد الرحمن : التربية الإسلاميّة ، ص ٣٨٥ .

(٢) - خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٥٨ .

(*) - بويع عبد الرحمن بن رستم (ت ١٧١هـ / ٧٨٧م) عام ١٦٠هـ / ٧٧٦م ، وجاء في تاريخ ابن الصغير في معرض الحديث عن توليته : " ثمّ نهضوا إليه بأجمعهم وقالوا يا عبد الرحمن رضِيَك الإمام - أبو الخطّاب - في ابتدائنا ونحن الآن نرضى بك ونقدّمك على أنفسنا . فقد علمت أنّه لا يصلح أمرنا إلاّ إمام نلجأ إليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا " .
(ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميّين ، ص ٣٠ - ٣١) .

(٣) - خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٥٨ .

أ ـ الكتّاب :

كان الكتّاب الإباضي ، الذي أطلق عليه اسم دار القرآن ، كغيره من الكتاتيب بناء بسيطا في الغالب " على هيئة البيت المربع أو المستطيل ، لم تزخرف جدرانه أو قاعته بأدنى تنميق من زخرف البناء ، و لم يكن تأثيثه بأكثر عناية من ذلك ، فإنّه كان مفروشاً بحصر بلديّة عاديّة ، يجلس عليها الصبيان متربعين حول المعلّم الذي يختصّ بسرير أو كرسي مرتفع ، وربّما عوّض الكرسي بمصطبة مبنيّة ليس عليها من الرياش سوى بساط بسيط [1] ".

و لم تتجاوز أدوات الدراسة " المصحف الشريف وعدّة من الألواح يكتب عليها الصبيان ، وكذلك عدد من الدوى والأقلام [2] ".

ولقد كان بناء الكتّاب الإباضي ملاصقاً للمسجد ، و لم يكن في المسجد خشية أن يسوّد الصبيان حيطانه ، أو ينجّسوا أرضه . وكبقيّة الكتاتيب الأخرى ، فإنّ الكتّاب الإباضي كان في مواضع شرحه ، و لم يسمح بأن يتمّ التعليم في بيوت المعلمين [3] .

وثار خلاف بين الفقهاء حول جواز أخذ الأجرة على تعليم الأطفال القرآن الكريم وغيره من العلوم أو عدم جواز ذلك ، إلاّ أنّ مبدأ التعليم بأجر فرض نفسه في النهاية ، وذلك لظهور التقاعس في تعليم القرآن ، ولو منع الأجر " لضاع كثير من الصبيان ، ولما تعلّم القرآن كثير من الناس [4] ".

وانتقل هذا الخلاف إلى العلماء الإباضيّة ، لكنّه حسم لصالح أخذ الأجر ، حين سأل جماعة من أهل الدعوة أحد العلماء : هل تؤخذ الأجرة على تعليم القرآن أم لا ، فأجاب " نعم ،

---

[1] ـ ابن سحنون ، محمد : كتاب آداب المعلمين والمتعلمين ، ص ٢٥ ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، تعليق محمد العروسي المطوي ، تونس ، دار الكتب التونسية ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

[2] ـ عطيه ، خطاب علي : التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول ، ص ٧٢ ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٤٧ .

[3] ـ أنظر ، ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي : معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص ٢٦٠ ، تحقيق الدكتور محمد محمود شعبان ، وصديق أحمد عيسى المطيعي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ .

[4] ـ القابسي ، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، ص٣٣ ، ملحقة بكتاب التربية في الإسلام للدكتور أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٥ .

تؤخذ الأجرة على تعليم القرآن ، فإن لم تؤخذ عليه ، فعلى ماذا تؤخذ ؟ أعلى رعي البقر ؟ فسكت الفقهاء توقيرا له ، مع أنّه لم يحسن العبارة ، تأدّبا منهم وفضيلة [١] ".

ويعلّق الدرجيني على هذه الفتوى بقوله " كان ينبغي أن يقول بما في المذهب من جواز الأجرة على تعليم الأدب والخط وصناعة الكتابة وأدواتها دون أن يكون للقرآن ثمن ، والعذر أنّه كره أن يقول لا تجوز فيكون ذلك ذريعة إلى ترك التعليم فيفضي ذلك بالناس إلى أن يكونوا أميّين لا يعلمون الكتاب ، يقول : فإذا جاز لراعي البقر الأجرة وهو يأخذها على إصلاح الدنيا ، فالذي يأخذها بسبب إصلاح الآخرة أولى [٢] ".

ب ـ المناظرة :

أدرك المربون الإباضيّون أنّ التربية هي انعكاس لما في المجتمع من قِيَم ومثل وعادات وتقاليد ، وأنماط سلوكيّة ، وأنّ المنهج هو أداة التربية في تحقيق أهدافها ، وهو الوسيلة التي عن طريقها يحقّق المجتمع أهدافه ، وبما أنّ الدولة الإباضيّة قد قامت ، حرص الإباضيّة على جعل المؤسسات التعليميّة نموذجاً للعلاقات الاجتماعيّة الأوسع في الأسرة أو العائلة أو المجتمع .

عمد الإباضيّة إلى أسلوب الجدل والمناظرة في التعليم ، حتّى يعتاد الإباضيّة على مناظرة مخالفيهم واقناعهم باعتناق المذهب الإباضي ، وجعلوا الهدف من الجدل " هو الذي يقصد لدفع ما يردّ عليه من فاسد وصحيح ، وأمّا إذا قصد بالجدال مناظرة مبتدع لينقض دعوته ، ويطهّر قلوب العوام من تشويش ضلالته ، فذلك عادة المسلمين ـ الإباضيّة ـ وذلك فرض كفاية على علماء الدين ينفون عنه تأويل الجاهلين ، وتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين [٣] ".

وحدّدوا للمناظرة شروطاً حتّى يعتادها الطلبة ، ولا يخرجوا عنها إلى المجادلة . وهذه الشروط يعرضها الجيطالي على النحو التالي :

---

[١] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

[٢] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

[٣] ـ الجيطالي : قناطر الخيرات ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

ـ **الأوّل** : أن يكون المناظر مجتهداً ، يفتي برأيه ، لا بمذهب أحد ممّن تقدمه ، حتى إذا ظهر له الحقّ ترك رأيه وأفتى بما ظهر له كما تفعله الصحابة والأئمّة ، وأمّا من ليست له رتبة الاجتهاد ، إنّما يفتي فيه ناقلاً عن مذهب صاحبه ، ولو ظهر له ضعف مذهبه ، لم يجز له أن يتركه ، فأي فائدة له في المذاكرة ومذهبه معلوم ؟

ـ **الثاني** : أن تكون مناظرته في المسائل الواقعة أو ما يقرب وقوعها غالباً كالفراض وأشباهها ، حتّى لا يضيّع أوقاته في المنازعات ، ويتعرّض للمخاصمات والآفات .

ـ **الثالث** : أن تكون المناظرة في الخلوة أحبّ إليهم وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر، فإنّ الخلوة أجمع للفهم وأدرك للحقّ ، وحضور الجمع يحرّك دواعي الرياء ، ويهيج الحرص على نصرة كلّ واحد منهما لنفسه محقّاً كان أو مبطلاً .

ـ **الرابع** : أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يديه، أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ، ويشكره إذا عرّفه الخطأ ، وأظهر له الحقّ .

ـ **الخامس** : أن لا يمنع معينه عن استخراج الحقّ بالنظر من الانتقال من دليل إلى دليل .

ـ **السادس** : أن يناظر من يرجو منه ممّن هو مستقل بالعلم .

ـ **السابع** : أن يسلم من آفات المناظرة ، وما يتولّد منها من مهلكات الأخلاق : من الكبر، والعجب ، والحسد ، والمناقشة، وتزكية النفس، وحبّ الجاه ، والحقد على المناظر، والغيبة والطعن عليه، والكذب والبهتان والتجسّس، وتتبّع عورات الناس، والفرح بمسألتهم ، والاستكبار على الحقّ إذا ظهر، والرياء ، وملاحظة الخلق، والجهد في استمالة قلوبهم، والمكر والخديعة لدفع قول مناظره ، وأشباه ذلك من رذائل الأخلاق [1] .

---

[1] ـ أنظر الجيطالي : قناطر الخيرات ، ج ١ ، ص ١٨٩ ـ ١٩١ .

- استنتاجـات :

إذا أخضعنا المدرسة الإباضيّة في مرحلـتي الكتمـان والظهـور للتعـاريف الحديثـة القائلة بأنّ " المدرسة ضرورة اجتماعيّــة لجـأت إليهـا المجتمعـات لإشبـاع حاجـات نفسـيّة وتربويّة عجزت الأسرة عن تأديتهـا لتعقّـد الحيـاة وتطوّرهـا [١] ". أو التعريـف القـائل أنّ المدرسة " هي مؤسّسة اجتماعيّة تعاون المجتمع على تكوين المواطنين الصالحين [٢] ". نـرى أن المدرسة الإباضيّة كانت مؤسسـة تربويّـة أسّسـها علمـاء المذهـب لتربيـة أبنـائهم تربيـة مقصودة ومخطّطاً لها ، ولتنتقل بواسطتها المفاهيم الإباضيّة إلى الأجيـال الناشئة ، لتحـافظ بذلك على تراثها وتتابع مسيرة دعوتها .

- التعليم الإباضي في مرحلة الكتمان الأخير :

حـرص الإباضيّـة بعـد انقـراض دولتهـم سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) علـى أيـدي الفاطميّين ، على وضع نظام تربوي يحفظ جامعتهم من التمزّق ، ومذهبهم من الاندثـار ، ويبقى صامداً أمام محاولات التذويب والاغارة [٣] .

وانصرف الإباضيّة عن الاهتمام بأمور الدولة إلى الاهتمام بأمور المجتمع ومحاولـة " السـير بـه علـى منهـج المذهـب الإبـاضي في شـؤون الفـرد ، وشـؤون الجماعـة دون أن يتعرّضوا لقضية الدولة ، ومــن يتولّـى الحكـم ، حتّـى جـاء الإمـام أبـو عبـد ا لله بـن بكـر الفرسطائي الذي أعرض عن التفكير في قضية الحكم وتكوين الدولة وفرز نظاماً بديلاً عـن قيام دولة عادلة [٤] ". فوضع نظام العزابة ، واتّخـذ لـه قواعـد وأسسـاً ، ودعـا النـاس إلى السير عليه .

---

[١] ـ منرو ، بول : المرجع في تاريخ التربية ، ص ١٨ ، ترجمة صالح عبد العزيز ، مراجعة حامد عبـد القـادر ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٢ .

[٢] ـ ناصر، إبراهيم . ومحسن ، دلال : علم الاجتماع التربوي ، ص ٤٧ ، عمان ، المطابع التعاونية ١٩٨٤ .

[٣] ـ أنظر ، الباروني : الأزهار الرياضيّة ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧ .

[٤] ـ ناصر ، محمد : حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي ، ص ٨ ، سلطنة عمان ، مكتبة الضـامري ١٤١٠هـ /١٩٩١م .

أمّا الأسباب التي دعت الإمام محمد بن بكر إلى تنظيم العزابة ووضع شروطها فهي الحالة التي وصل إليها المذهب الإباضي في القرن الرابع الهجري ، حين أخذ الإباضيّة يتركون مذهبهم . وخاف العلماء من انقراض المذهب الإباضي في الشمال الإفريقي . فكانوا يطلبون من أولادهم الالتحاق بالعلماء والأخذ عنهم ، بعيداً عن الأعين ، ويقولون لهم " هذا دينكم وهؤلاء أهل دينكم ، كلّ ذلك ليتمسّكوا ببعض دينهم ، ويكونوا ثقة في مذهبهم [1] ".

ويصوّر الدرجيني الحال التي آل إليها المذهب الإباضي بأنّ جبال تمولسة التي كانت معقلاً للمذهب الإباضي "لم يعد فيها أحد من أهل الدعوة ، فإنّهم تغيّروا وبدّلوا إلاّ " يصليتين " عمّ الفقيه أبي الربيع سليمان بن يخلف [*] [2] ".

وخاف الفقهاء الإباضيّة أن يرتد أبناؤهم عن المذهب ، فطلبوا منهم أن يتوجهوا إلى الإمام محمد بن أبي بكر ويأخذوا عنه " ورغبوا إليه في أن يجلس لهم ويرتّب لهم الحلقة ، فامتنع كلّ الامتناع ، ومكثوا أياماً يراودونه على ذلك ، ويلحّون عليه في الطلب ، ولم تكن منه الإجابة .

فلمّا كان يوماً من الأيام ، وهو بمسجد المنية والطلبة يكرّرون الرغبة إليه ، إذ خرج رجل من "تقيوس" متوجّها إلى "الهامة" ، وخرج معه صاحب له فشيّعه ، فلمّا افترقا نادى أحدهما الآخر : أن يا فلان ، فأصغوا أسماعهم إلى صوته ، فقال له الآخر لبّيك ، فقال له اجعلها لله لا تخب ، أو قال : إفعل فعلتك لله فلا تضيع . قيل فلمّا سمعوا هذه المقالة ، تفاءلوا بها وأقاموا بها الحجّة على أبي عبد الله ، فأوجب حينئذ على نفسه ، وأجاب وعطف عليهم على ما سمع ، إلاّ أنّ إجابته كانت على شرط أن لا يسألوه عن مسألة ، ولا يجيبهم حتّى تمضي أربعة أشهر [3] ".

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

[*] ـ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) .

[2] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

[3] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

توجّه أبو عبد الله مع تلاميذه ، بعد إنقضاء المهلة التي اشترطها، إلى "أريغ" سنة (٤٠٩هـ / ١٠١٨م). وكتب إلى أبي القاسم يونس بن ويزلن الويليلي يعلمه بما عزم عليه هو وتلامذته في التوجّه والعمل ودراسة العلوم، وأكّد عليه في أن يهيّيء غاراً يجتمع فيه التلامذة، يأوون إليه، ويحلّقون فيه، وتكون فيه دراستهم ، وانفرادهم ليتسنّى عزمهم واجتهادهم ، ويسمّى الغار الأوّل للعزابة باسم التسعي نسبة إلى السنة التاسعة من عام ٤٠٩هـ [١] .

وتجمع المصادر الإباضيّة على تردّد الإمام محمد بن بكر في بداية الأمر ، لكنّها تبرّر هذا التردّد إلى المسؤوليّة العظمى التي ستلقى عليه ، والتي لن تتوقّف عند حدود حلقة العلم للطلبة والتلاميذ ، ولأنّه كان يرى من ورائها مسؤوليّة إجتماعيّة ودينيّة وإداريّة عظيمة هي ما يمكن أن نسميه تكوين إمامة صغرى تخلف الإمامة المنقرضة مع انقراض الدولة الرستميّة [٢] .

وإذا كان الإمام محمد بن أبي بكر قد وضع نظام العزابة ، إلاّ أنّنا نعتقد أنّ ابن بكر عمل على إبراز نظام تربوي كوّنته الظروف التالية :

- **الأوّل** : معركة مانو [*] التي جرت بين إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وبين أهل جبل نفوسه عام (٢٨٣هـ / ٨٩٦م) . وقتل في هذه المعركة ، طبقً لرواية المؤرخين الإباضيّين اثنا عشر ألفا ، منهم أربعمائة من العلماء . وحمل إبراهيم معه ثمانين عالماً أسرى، وبعد هذه المعركة سار إبراهيم إلى طرابلس ، ثم كرَّ على الإباضيّين في أطراف جبل نفوسه عام (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) . فقتل من وجده فيها [٣] ، فانصرف الإباضيّة ، بعد ذلك ، إلى تنظيم أوضاعهم الاجتماعيّة .

---

[١] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

[٢] ـ أنظر ، ناصر ، محمد : نظم العزابة ، ص ٦ .

[*] ـ مانو : قصر قديم بين قابس وطرابلس ، (الباروني : الأزهار الرياضية ، ج ٢ ، ص ٢٨١) .

[٣] ـ أنظر ، أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ١٥٤ .

- **الثاني** : قضاء الدولة الفاطميّة على الدولة الرستميّة في الجزائر ، وكان الإباضيّة يرون أنّ الدولتين الأغلبيّة والفاطميّة " لا تتّبعان أحكام الإسلام ، ولا تعملان بها ، فقد فكّر علماء الإباضيّة في جعل نظام يسيرون عليه ، يحفظون به أحكام ا لله في مواطنهم ، ويسيّرون به الأمّة في الوجهة الصالحة ، دون أن يلتجئوا إلى إعلان دولة جديدة ، أو يتعلّقوا بدولة ظالمة مستبدة [١] ".

- **الثالث** : كانت الحلقة " عبارة عن مجلس علم يجتمع التلاميذ حول عالم إباضي يعلمهم شؤون دينهم ، ويحفظون القرآن ، وأبرز علماء هذه المرحلة الذين عملوا على تأسيس الحلقة أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر يغلا بن زلتاف في النصف الأوّل من القرن الرابع الهجري [٢] ". اللذان عاشا ما بين ٣٠٠هـ و ٣٥٠هـ . حيث كان أبو القاسم يطعم تلاميذه وينفق عليهم من ماله الخاص [٣] .

وكان نظام الحلقة علميّا ودينيّاً بحتا ، ثمّ تطور " ولا سيّما في المجتمع الميزابي ليصبح نظاماً متكاملاً يهتمّ بكل نواحي الحياة الفرديّة والجماعية دينياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً [٤] ".

- **الرابع** : وضع أبو القاسم نظاماً خاصاً للطلبة ألزمهم فيه الحضور إلى الدرس في أوقات محددة معيّنة ، وتناول الطعام بشكل جماعي في وقت محدّد أيضاً، وابتدع نوم الهاجرة ، أي اجبار أهل الحلقة على النوم وقت الضحى ، وكان ينصح تلاميذه بالصلاة فرادى حتّى لا يفاجأوا بعدوّ يقتلهم جميعاً [٥] .

---

[١] - معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٠٧ .

[٢] - اسماوي ، صالح بن عمر : نظام العزابة ، ص ١٧٠ ، الجزائر ، جامعة الجزائر ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

[٣] - أنظر ، أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

[٤] - ناصر ، محمد : نظام العزابة ، ص ٨ .

[٥] - أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٢١ .

ويبدو أنّ الإباضيّة بقوا طيلة القرن الرابع الهجري " يقيمون المجالس وحلقات الدرس ويجتهد مشايخهم في وضع قواعد ونظم خاصّة للحلقة الإباضيّة ، ولكنّهم لم يتوصّلوا إلى وضع نظام متكامل يأخذ به الجميع من مختلف مناطق تجمّعهم في الشمال الإفريقي [1] ". وسمّي هذا النظام التعليمي بنظام الحلقة لأنّ " الشيخ وزملاءه وتلاميذه يجلسون في مقرّهم السرّي على شكل دائرة أو حلقة [2] ".

ومن أوائل الذين اهتموا بإقامة المجالس وحلقات الدروس بعد سقوط الدولة الرستميّة هو أبو الربيع سليمان بن زرقون [*] [3] .

وإذا كانت التربية حقّاً من حقوق الطفل في الإسلام ، يلتزم به الوالدان والمجتمع بأسره، وهذا الحقّ يستشف من قوله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [4] ﴾ والمقصود بالتربية " هو عمليّة الإعداد والرعاية في مرحلة النشأة الأولى للإنسان ، أو كما نقول اليوم في مرحلة الطفولة المبكرة ... والتربية في هذه المرحلة مسؤوليّة الأسرة حيث يقوم كلّ من الأب والأمّ برعاية الطفل والعطف عليه وهو صغير محتاج ، ويتعبان في سبيل غذائه وكسوته وراحته ويعلّمانه أساسيّات السلوك ويقومان بإرساء الأساس في بناء شخصيّته ، فاستحقّا منه أن يحسن معاملتهما عندما يكبران ، وأن يدعو لهما بالرحمة ،

---

[1] ـ خليفات : النظم التربوية والاجتماعية ، ص ٢٤ .

[2] ـ عبد الكافي ، أبو عمار : رسالة العزابة ، ص ٢ ـ ٣ .

[*] ـ أبو الربيع سليمان بن زرقون : أحد علماء عصره ، وهو من نفوسه ، من " تابديوت " قرية بجبل تيرشوين وبها مولده ومسكنه ، قرأ العلوم وتفقّه بسلجماسة ، وكان شيخه الذي قرأ عليه يعرف بابن الجمعي ، وكان ابن الجمعي رجلاً من أهل الدعوة أقبل من بلاد المشرق تاجراً ، وكان مطّلعاً على علوم الحيل والنظر ، ولمّا عزم ابن الجمعي على السفر إلى سلجماسة عرض على أبي الربيع أن يصحبه إن أحبّ تكميل ما يحاول من طلب العلم ، فأجابه ، ولما حضرت ابن الجمعي الوفاة آثر أبا الربيع بديوانه ، فأوصى له به . وكان يفتي بأنّ الخارجين عن المذهب الإباضي كفار .
(أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٠٩ ـ ١١٣) .

[3] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١١٢ ـ ١١٩ .

[4] ـ سورة الإسراء ، الآية ٢٤ .

جزاء ما قدّما [1] ". فإنّ نظام العزابة تولّى دور الأهل والمجتمع في العملية التربويّة ، وإرساء الأسس في بناء الشخصيّة الإباضيّة .

ـ نظام العزابة :

نظام العزابة هو النظام البديل عن قيام الدولة الإباضيّة ، ولمّا كان الشيخ وتلاميذه يجتمعون في مكان سرّي بعيد عن المدن والتجمّعات السكنيّة ، فقد أطلق عليهم اسم هيئة العزابة . " و لم تلبث أن أطلقت العبارة على عدد محدود من المشايخ لهم السلطة الكاملة على تلاميذهم وعلى بقيّة أفراد الإباضيّة في مناطقهم [2] ".

أ ـ اشتقاق كلمة العزابة :

استعملت لفظة العزابي " لقباً لكلّ من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير ، وحافظ عليها وعمل بها ، فإن جمع هذه الصفات سمّي عزابيّاً ، وإن حافظ على السير والعمل بها والمحافظة عليها ، لم يُسمّ بهذا الاسم ، واعلم أنّ لهذا الاسم سِيَما انفردوا بها ، وأحوالاً عرفوا بها ، ولا يتفضّل عليهم فيها سواهم ... وهذا الاسم مشتقّ من العزوب عن الشيء والبعد عنه ، فاستعير لمن بعُد عن الأمور الدنيويّة الشاغلة عن الآخرة [3] ".

وأوّل ما يبتعد عنه العزابي هو " حلق الشعر ، ولا يتركه يطول ، والعزابة من شعارهم عدم الشعور ، ومنها ألاّ يلبس ثوباً مصبوغاً إلاّ البياض [4] ".

ويرى البعض أنّ لفظة " العزابة كلمة معرّبة عن لفظ " اعز ابن " البربريّة ، وتعني العزلة والانفراد [5] ".

---

[1] ـ جلال، عبد الفتاح : من الأصول التربويّة في الإسلام ، ص ١٧ ، مصر ، المنوفية ، سرس الليان ١٩٧٧ .

[2] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦ .

[3] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٤ .

[4] ـ البرادي : الجواهر المنتقاه ، ص ٢٠٧ .

[5] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦ .

١ ـ الردّ على من قال أنّ لفظ العزابة بربري :

يحاول العديد من الباحثين بلورة نظام تربوي بربري بعيد عن الإسلام ، وإيجاد تواصل فكر بين البربر والإباضيّة ، وانقطاع فكر بين العرب والبربر . ويردّ على ذلك بأمرين :

ـ **الأوّل** : نستدلّ على عروبة البربر من أنّ لفظة "بربر" التي أطلقت على هذا العنصر من السكان المغاربة لا يقصد بها العرق ، وإنّما أطلقت لوصف تطوّر مفهومه مع الأحداث ، ذلك أنّ بربر في الأصل كلمة يونانيّة ، حسب كثير من المصادر ، تعني كلّ من كان يتكلّم بغير لغة اليونان ، ثمّ أصبحت تعني عند الرومان جميع الشعوب البدائيّة التي لاحظ لها من الحضارة .

أمّا العرب فقد استعملوا كلمة "بربر" بمعنى اختلاط الأصوات واضطراب الألفاظ أو غموض مفهومها أو الالتباس فيه ، وعدم مطابقته لكلام العرب .

وهكذا يتّضح أنّ المسألة في "بربر" مسألة لغويّة لا صلة لها بالعرق أو الجنس ، ذلك أنّ "البربر" هم عناصر من السكّان يتحدّثون بلهجة خاصّة تختلف في كثير أو قليل عن لغة العرب .

وهناك ظاهرة أخرى ، ألاّ وهي دخول العرب من اليمن إلى المغرب ، ثمّ دخول الكنعانيّين بعدهم ، يوم فتحوا المغرب ، قبل الإسلام ، بل قبل الميلاد . وقد كان للفينيقيّين في المغرب أثر كبير في سكّانه ، كما أكّده كثير من المؤرخين العرب وغير العرب ، بينما لم يترك الرومان في هذا البلد أثراً يذكر [١] .

---

[١] ـ أنظر ، السوسي ، المختار : تأثير العربيّة في اللغة الشلحيّة، ص ٣٢ ، مجلة اللسان العربي، الدار البيضاء ، العدد ٢ ، ١٩٩٥ .

- **الثاني** : أنّ لفظ العزابة هو لفظ عربي مشتق من عزب ، ورجل عزب ومعزابه لا أهل له ، وقالوا رجل عزب للذي يعزب في الأرض ، وفي حديث أبي ذرّ : كنت أعزب من الماء أي أبعد ، وعزبت الإبل أبعدت في المرعى لا تروح ، وأعزبها صاحبها ، وأعزب القوم فهم معزبون ، أي عزبت إبلهم، وعزب الرجل بإبله إذا رعاها بعيداً عن الدار التي حلّ بها الحي ، لا يأوي إليهم ، وهو معزاب ومعزابه، وكلّ منفرد عزب [1] .

٢ ـ الردّ على من قال أنّ مفهوم العزابة من المسيحيّة :

يذهب روبانيكس ، وهو أب مسيحي إيطالي ، إلى أنّ كلمة عزابة جاءت من العزوب أي ترك الزواج في محاولة لإيجاد روابط بين المسيحيّة والمذهب الإباضي [2] وحاول أن ينبش في التاريخ الإباضي ليستخرج ما يؤيّد رأيه مستدلا بأخبار أبي القاسم يزيد بن مخلد . أحد أئمّة الإباضيّة في النصف الأوّل من القرن الرابع الهجري ، حين " سأل عن رجل من تلاميذه ، فقيل له تزوّج . فقال ليبلغني موت واحد من التلامذة أحبّ إليّ من تزوّجه . فقالت له زوجته الغاية فلِمَ تزوجت أنت إذن ؟ فقال لها لو علمت أين كانت مسألة ليست عندي لشددت رحلي إلى سلجماسة وما أخاف أن يعذّبني ا لله إلاّ على الجهل [3] ".

لقد كان أبو القاسم يفضّل أن يكون كلّ تلميذ من تلاميذه في تلك الفترة أعزب غير متزوج حتّى يستطيع طلب العلم ، لأنّ الزواج لا يسمح للعزابي الانصراف إلى الدرس ، وبخاصّة إذا كان الدرس في الجبال وفي المغاور والكهوف بعيداً عن الناس ، والانتقال المستمر من مكان إلى آخر ، وكتب الفقه الإباضي لا تقول بالتبتّل .

---

[1] ـ أنظر ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٥٩٥ ـ ٥٩٧ .

[2] ـ أنظر ، ناصر ، محمد : حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي ، ص ١١ .

[3] ـ أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٢٠٦ .

نخلص إلى أنّ كلمة العزابة لفظة عربيّة ، اشتقت من العزوب أو العزابة " وهي تعني العزلة، والعزبة ، والتصوّف ، والتهجّد ، والانقطاع في رؤوس الجبال ، ويقصد بها في هذا الاستعمال الانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة والاعراض عن حظوظ النفس ، والبعد عن مشاغل الحياة ، من أهل ومال وولد ، فإنّ العزابي لا يعطي لهؤلاء من جهده ووقته إلاّ القليل ، أمّا أعظم طاقاته فيجب أن يصرفها لله في خدمة المسلمين ـ الإباضيّة ـ دون مقابل يتقاضاه على عمله ، أو أجر يرجوه لأنّ أجره وحسابه على الله [1] ".

ب ـ هيئة العزابة :

إنّ هيئة العزابة هي الهيئة العليا في المجتمع الإباضي ، فهي الهيئة الشرعيّة الحاكمة، القائمة مقام الإمامة ، وهي أشبه بحكومة سرّيّة تنتظر سنوح الفرصة لتتولّى الحكم ، وتمثّل في " زمن الظهور والدفاع بمجلس الشورى للإمام أو عامله ، ومن ينوب عنه ، وهي في زمن الشراء أو الكتمان تمثّل الإمام وتقوم بعمله [2] ".

وتتألّف هيئة العزابة من أعضاء ، يتراوح عددهم بين عشرة أعضاء وستة عشر عضوا ، حسب حجم المدينة أو البلدة أو القرية، ويتصرّفون جميعهم وفق مجلس واحد يضمّهم " ولهم جلسة أسبوعيّة معيّنة يلتقون فيها للتدارس والتشاور واتخاذ القرارات والتوصيات [3] ".

وتتوزّع مهام هيئة العزابة على النحو التالي :

١ ـ شيخ العزابة ، ويكون أعلم أهل المدينة أو البلدة أو القرية ، ويمتاز بقوّة الشخصيّة ، والقدرة على حلّ المشاكل ، " ويتولّى الوعظ والإرشاد ، وتبليغ إعلانات العزابة إلى العامّة [4] ".

---

[1] ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ٩٧ .

[2] ـ معمر ، علي يحيى : المرجع السابق ، ص ٩٧ .

[3] ـ ناصر ، محمد : حلقة العزابة ، ص ١٢ .

[4] ـ عدون ، جهلان : الفكر السياسي عند الإباضيّة ، ١٧٠ .

ويمثّل شيخ العزابة سلطة الإمام العادل في المجتمع الإباضي ، " ويبقى في منصبه مدى الحياة [1] ". وهو في تصرفاته " مقيّد بمجلس الشورى الذي لا يحقّ له أن يصدر رأياً قبل موافقته ، ويستعين بشخص يقوم مقام المفتي [2] ".

٢ ـ المستشارون ، وعددهم أربعة أشخاص لا يزيدون ولا ينقصون ، ورأيهم ملزم للشيخ ، ولا يقطع أمراً دون موافقتهم .

٣ ـ الإمام ، وهو المكلّف بصلاة الجماعة، ويجوز أن يكون أحد الأربعة المستشارين .

٤ ـ المؤذّن ، وهو المسؤول عن تحرّي أوقات الصلاة والقيام بمهمة الأذان ، ويصحّ أن يكون أحد الأربعة المستشارين .

٥ ـ وكلاء الأوقاف ، ويخصّص عضوان للإشراف على :

أ ـ اصلاح وتنمية الأوقاف .

ب ـ ضبط الواردات والصادرات .

ج ـ ميزانيّة الحلقة .

ويشترط أن يكون هذان العضوان من متوسّطي الحال ، أي ليسا من الأغنياء المكثرين ، ولا من الفقراء المعوزين .

٦ ـ المعلّمون ، ويخصّص ثلاثة أعضاء أو أكثر أو أقلّ حسب الحاجة للإشراف على :

أ ـ وضع برامج التربية والتعليم .

ب ـ تنظيم الدراسة .

ج ـ مراقبة التلاميذ في دور التعليم ، أو في الأقسام الداخليّة .

---

(1) ـ عدّون ، جهلان : الفكر السياسي عند الإباضيّة ، ص ١٦٩ .

(2) ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٠٣ .

٧ ـ حقوق الموتى ، ويخصّص أربعة أعضاء أو خمسة للإشراف على حقوق الموتى ، فيتولّون الإشراف على كافّة الإجراءات الواجبة دينيّاً لدفنهم ، ومراقبة تنفيذ وصيّتهم ، وتقسيم إرثهم حسب الشريعة الإسلاميّة [١] .

ج ـ مهام العزابة :

كانت تربية النشء المهمة الرئيسيّة التي أنشئت العزابة من أجلها ، ولكن مهام العزابة تطوّرت مع تطور العصر ومتطلباته ، حيث طوّر أبو عمار عبد الكافي في القرن السادس الهجري هذه المهام [٢] . " وبلغ هذا النظام أوجه مع الشيخين أبي القاسم بن يحيى الدادي ، والشيخ أبي القاسم بن يحيى في القرن التاسع الهجري [٣] ".

وأصبحت مهام العزابة تشمل مختلف مناحي الحياة ، وهذه المهام هي :

١ ـ المهام الدينيّة :

يمثّل مجلس العزابة مهام الإمام ، ويقوم بجميع مهامه ما عدا إقامة الحدود التي تعطّلها الإباضيّة في الكتمان " حتّى لا يستعدوا السلطات الحاكمة أو مخالفيهم ضدّهم ، ويقتفي مجلس العزابة في هذا الصدد السنّة التي ابتدعها رواد الحركة الإباضيّة الأوائل في البصرة إبّان المرحلة السريّة خلال القرنين الأوّل والثاني [٤] ".

ويتوزّع أعضاء مجلس العزابة المهام الدينيّة في المجتمع الإباضي ، وهذه المهام هي :

---

[١] ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

[٢] ـ أنظر ، ناصر ، محمد : حلقة العزابة ، ص ٣١ .

[٣] ـ اسماوي ، صالح بن عمر : نظام العزابة ، ص ١٧٠ .

[٤] ـ خليفات ، محمد عوض : النظم الاجتماعيّة والتربويّة ، ص ٤٣ .

١ ـ الوظائف الدينيّة ويقوم بها :

أ ـ القاضي ، ويشترط به خمس خصال فإن نقصت واحدة منهنّ كانت نقيصة فيه :

١ ـ أن يكون عالماً بما مضى من الكتاب والسنّة .

٢ ـ ألاّ يرتشي .

٣ ـ حليماً على الخصم يعني يتحلّم على الخصمين وإن تصاخبا وتشاجرا بين يديه .

٤ ـ أن لا تأخذه في الحقّ لومة لائم .

٥ ـ مشاوراً لذوي الرأي والعقل والعلم [١] .

ب ـ الإمام ، ويشترط فيه التقوى والصلاح والحزم والتفقّه في الدين والصوت الجهوري الحسن ، والسلامة من العيوب الخلقيّة كفقدان البصر وغيرها ممّا يعوقه عن أداء عمله بالكيفيّة المطلوبة ، ويعيّن المجلس له خليفة يخلفه حين تقتضي الضرورة [٢] .

٢ ـ ناظر الأوقاف .

٣ ـ غسلة الأموات .

ولا تقتصر مهمّة الوعظ والإرشاد على المسجد ، بل يقوم المكلّفون بالمهام الدينيّة بجولات للوعظ والإرشاد في القرى " ومن هنا يتبيّن أنّ الإمام والمؤذّن وشيخ المسجد هم رؤساء العزابة وعمدتهم ، يواظبون على أعمالهم ولا يتخلّف أحدهم إلاّ نادراً ، وإن تخلّف أعلم نائبه ليقوم مقامه [٣] ".

---

[١] ـ أنظر ، ابن سلام : الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضيّة ، ص ١١٤ .

[٢] ـ أنظر ، ١ ـ دبوز ، محمد علي : أعلام الاصلاح في الجزائر ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

٢ ـ خليفات ، محمد عوض : النظم الاجتماعيّة والتربويّة ، ص ٤٣ .

[٣] ـ دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

٢ ـ المهام الاجتماعيّة :

يحرص مجلس العزابة على تنظيم العلاقات الاجتماعيّة التي تربط بين أفراد المجتمع ولا يمكن ذلك إلاّ بمواكبة تطوّره ومشاكله وتطلعاته .

تغلغل مجلس العزابة في نسيج المجتمع الإباضي ، وغدا العامود الفقري لكلّ المظاهر الاجتماعيّة ، وتجلّت المشاركة الاجتماعيّة لمجلس العزابة في :

أ ـ يتصدّرون الحفلات والمناسبات ، ويخصّص لهم مكان خاص لا يمكن أن يجلس فيه غيرهم مهما كانت مكانته ومنزلته .

ب ـ يرأسون حفلات الأعراس .

ج ـ يشيّعون الميّت ، ويحضرون دفنه .

د ـ يختلطون بالعامّة في أتراحها ، فيستغلّون تلك الأحوال التي يكون فيها الوجدان أقوى شيء في الإنسان، والناس مستعدّون للتأثّر والامتثال .

هـ ـ يحدّدون المهر والصداق مهما تكن أسرة الفتاة وجمالها ، أو غنى الزوج أو فقره • وليس أمام الأهل شيء يتّفقون عليه سوى تحديد يوم الزفاف .

و ـ يجهّزون الأموات غسلاً وصلاة ودفناً .

ز ـ يشرفون على تنفيذ وصايا الأموات وتقسيم تركاتهم بين مستحقّيها .

م ـ يقومون على شؤون الأيتام والأرامل وضمان كفالتهم وتسهيل سبل الحياة .

ح ـ يستعين مجلس العزابة بمجالس العشائر على جمع الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على مستحقّيها [1] .

---

[1] ـ أنظر ، ١ ـ مدني ، توفيق : كتاب الجزائر ، ص ١٠٩ ، وما بعدها .
٢ ـ دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر ، ص ١٩٩ وما بعدها .
٣ ـ خليفات ، محمد عوض : النظم التربويّة والاجتماعيّة ، ص ٤٥ .
٤ ـ ناصر ، محمد : حلقة العزابة ، ص ٢٣ ـ ٢٨ .

٣ ـ المهام الاقتصاديّـة :

يتـدخّـل مجلــس العزابــة فــي تنظيـم شـؤون المجتمـع ذات الطـابع الاقتصـادي المتمثّلة فـي :

أ ـ مراقبة البيع والشراء في الأسواق .

ب ـ محـاربـة الانحراف فـي التعـامل التجـاري مثـل الغـش والتطفيـف والاستغلال والاحتكار .

ج ـ الإشراف يوميّاً على عمليات الذبح والسلخ ليضمنـوا سـلامة الشياه صحيّـاً ، وأنّ الذبح تمّ وفق الطريقة الشرعيّة الإسلاميّة .

هذه المهام الاقتصاديّة هي من صلـب مهـام المحتسـب في الإسـلام ، والـتي يطلـق عليهـا فــي المـذهــب الإبـاضــي نظـام الطلبـة أو حلقـات العزابـة [1] .

٤ ـ المهام التربـويّـة :

أدرك مجلس العزابة أنّ التربية هي أهـم الوسـائل " الـتي تنشـىء الأجيـال عقيـدة وعملا ، وهـي مـن الطـرق التبليغيـة الـتي تضمـن الاستمرارية للمجتمـع المحمّـدي مذهبـاً وسلوكاً [2] ". فتولّى المجلس الإشراف على التعليم وتهيئة الوسـائل " وتيسـير السـبل أمـام جميع الأطفال لينالوا قسطاً من الدراسة ، ويتعلّموا جزءاً من القرآن الكريم . ومـا يعرفـون من أمور دينهم ، وهذا أقلّ ما يمكن أن يتاح للطفل ، فإذا كانت أسرة الطفل فقيرة بحيـث لا تستغني عن مجهوده الضعيف ، أو ليس لها مـا تموّنـه بـه للدراسـة ، وجـب علـى مجلـس العزابة أن يقدم له المساعدة ، وذلك بالانفاق عليه [3] ".

---

[1] ـ أنظر ، لقبال ، موسى : الحسبة المذهبيّـة في بـلاد المغـرب ، ص ٨٦ ــ ٨٨ ، الجزائـر ، الشـركة الوطنيـة للنشر والتوزيع ١٩٧١ .

[2] ـ ناصر ، محمد : حلقة العزابة ، ص ٣١ .

[3] ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٠١ .

د ـ شروط الانتساب إلى العزابة :

تميّز عضو العزابة في السلوك ، وتفرّده في لباسه وخدمته المجتمعيّة يعود إلى الشروط الصعبة التي وضعت لاختيار عضو العزابة ، فمجلس العزابة يمثّل نخبة المجتمع الإباضي ، ويظهر ذلك من خلال الشروط التي يجب أن تتوفّر في أعضاء العزابة ، وهذه الشروط يوردها علي يحيى معمر على النحو التالي :

١ ـ أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى .

٢ ـ أن يشهد له أساتذته بأنّه حسن السلوك أثناء الدراسة ، محافظاً على الزي (*) الرسمي للعزابة عندما يدخل الحلقة .

٣ ـ أن يكون عالماً استوفى جميع مراحل الدراسة .

٤ ـ أن يكون أديباً لبقاً ماهراً في تصريف الأمور .

٥ ـ أن يكون محبّاً للقراءة ، ومواصلاً للتعلّم والتعليم .

٦ ـ الانصراف عن الدنيا ومشاغلها والاختلاط بالعامّة بالعذر الذي لا يزري بمقامه ويذهب بهيبته .

٧ ـ أن يغسل جسده بماء ، ويغسل قلبه بماء وسدر ، وهذه عبارة اصطلاحيّة ، يقصد منها النظافة المعنويّة ، أن يكون نظيف القلب من جميع أمراض القلوب ، أي أن يكون طاهر الباطن والظاهر (١) .

(*) ـ الزي الرسمي للعزابة هو البياض " ولا بأس بعلم الطرفين والطراز ما لم يتفاحشا ، ثمّ ان اقتصر على عباءة أو ملحفة لم تشنه ، كان أليق ، وإن كان ذلك على قميص كان أكمل ، ولا سبيل إلى اقتصاره على قميص ، أو قميص دون اشتماله والتحافه وارتدائه . وإن اعتّم فالتحى على ما جاء في الأثر ، وليس لبس العمامة يضرّ به . لا بأس باستغنائه عنها ، وإن اقتصر على العباءة أو اللحاف غطّى رأسه وألقى الطرف الأعلى على هدب الحاشية من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر ، لا يلقي الهدب كلّه من الجانب ، فإنّ ذلك مودّ إلى انكشاف العورة " .

(الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٩٦) .

(١) ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٠٠ .

تعود هذه الشدّة في الشروط إلى أنّ العزابي يجب أن يكون قدوة ، ومثلا للاستقامة ، والأخطاء الصغيرة التي تصدر عن غيره تعتبر منه أخطاء كبيرة ، لأنّه القدوة التي تحتذى في مجتمعه " وسيرته يجب أن تكون مطابقة لمثلهم القائل : إنّ متولي الناس مثل اللبن يغيّره أي شيء يقع عليه . فهو مرآة مجتمعه ، وعليه أن يبدأ بتأديب نفسه ، وتطبيق تعاليم الإسلام قبل تأديب وتعليم غيره [1] ".

ويراعي في اختيار أعضاء العزابة أن يكونوا ممثّلين للقبائل أو الجهات التي يشتمل عليها البلد . ويعيّن العضو الجديد عندما يشغر مركز في العزابة ، فيدعى إلى مركز العزابة ، وتلقى عليه المهام والمسؤوليّات التي تطلب منه ، وعليه أن يعلن عن قبوله أو رفضه، فإن وافق أسندت إليه المهام المطلوبة [2] .

هـ ـ *نظام التعليم في مجالس العزابة :*

أوجدت مجالس العزابة في المناطق الإباضيّة نظاماً تعليميّاً إباضيّاً خاصّاً بمدارسهم يتسّم بالصرامة والتنظيم، ويتجلّى هذا التنظيم في الهيئات التالية :

١ ـ الهيئة الإداريّة والتعليميّة :

تتألّف الهيئة الإداريّة والتعليميّة في المدارس ، التي أنشأتها مجالس العزابة من :

أ ـ الشيخ : وهو شيخ العزابة أو مستنابه ويعتبر الشيخ رئيس مجلس العزابة ، والمسؤول الإداري عن التعليم في مدارس العزابة ، وعن قضيّة التعليم وتتحدّد مهامّه التربويّة والإداريّة بما يلي :

---

[1] ـ حجازي ، عبد الرحمن : التربية الإسلاميّة ، ص ٣٩٤ .

[2] ـ للتوسع في هذا المجال ، يراجع كتاب نشأة المذهب الإباضي لعلي يحيى معمر ، ص ١٠١ ـ ١٠٥ .

١ ـ يتولّى تعيين العرفاء وفصلهم وتحديد مهامّهم .

٢ ـ تقرير المناهج الدراسيّة للطبقات العليا من التلاميذ .

٣ ـ قبول التلاميذ والطلاّب في الفصول الدراسيّة أو رفضهم . فإذا ورد على المدرسة طالب جديد وكان " يريد الدخول في الحلقة ، استأذن الشيخ في شأنه فيكشف الشيخ عن أحواله، وما كان عليه في الموضع الذي قدم منه ، فإن اطّلع على صلاح أحواله أذن له في الدخول لا غير ، فيكون من أهل الحلقة ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، وان اطّلع على نقيضه ، وأحوال ذميمة طرده لا غير، وإن تعذّر لبعد داره الاطلاع على الأحوال ، أو اختلفت في صلاحه وفساده الأقوال توقّف حتّى يستبرىء ويستعلم حميدها من ذميمها، وصحيح الأقول من سقيمها ، فإن اطّلع على الخير ألحقه بأهله ، وإن اطّلع على شرّ أفضاه إلى نوعه وشكله، وحكمه في مدّة الاستبراء حكم المسافر عابر السبيل في نوعه ، لا حظّ له في المقتسم من الفتوحات والمدّخرات والمعيّن [1] ".

٤ ـ يعقد الندوات الثقافيّة لطلبة الصفوف الدراسيّة العليا في وقت معلوم ، حيث يقوم بطرح الموضوعات الصعبة والمتعمّقة التي يعجز غيره عن القيام بها ، وله أن يكلّف غيره بإدارة هذه الندوات .

٥ ـ الجلوس مع الطلبة بعد انتهاء أوقات الدروس اليوميّة في الصباح ، أو ما يسمّى الختمات ، حيث يقوم بالإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم ويذاكرهم فيما حصّلوه من العلوم فيستفيدون ويستفيد مَن حضر .

٦ ـ يجتمع بتلاميذ المدرسة مرّتين في الأسبوع ، يوم الاثنين والخميس ، حيث يلقي على التلاميذ دروساً تنحصر موضوعاتها ، في معظم الأحيان ، ضمن الأمور التالية :

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

أ ـ التحذير من عواقب الأعمال السيّئة .

ب ـ الحثّ على الجدّ والاجتهاد والاستزادة من المعرفة .

ج ـ إطاعة معلميهم واحترامهم .

د ـ التشبّث بالفضيلة والابتعاد عن الرذيلة .

هـ ـ التمسّك بالأخلاق الحميدة .

٧ ـ يفصل في المنازعات والمشاكل التي تقع في المدرسة وقراراته غير قابلة للطعن أو المناقشة .

٨ ـ يتصرّف بأموال العزابة والأوقاف للإنفاق على المدرسة .

٩ ـ لا يُشترى شيء أو يباع إلاّ بإذنه .

١٠ ـ يقسّم الأرزاق بين أعضاء العزابة من العرفاء والتلاميذ [١] .

ب ـ العرفاء :

يصنّف العرفاء في العزابة إلى نوعين هما :

١ ـ عريف منفرد ، وهو عريف أوقات الختمات والنوم ، وعريف الطعام .

٢ ـ عريف غير منفرد ، وهم العرفاء حملة القرآن ، منهم من يكتب عليه طلبة القرآن ألواحهم ويصحّحونها عليه ويحفظونها ، وعريف على أوقات الدراسة ، يكون واحداً ، ويكون أكثر ، إنّما هو على قدر الاحتياج إليه [٢] .

---

[١] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٢ .
٢ ـ خليفات ، محمد عوض : التربيّة عند الإباضيّة ، ص ٩٦١ ـ ٩٦٢ .
٣ ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

[٢] ـ أنظر ، ١ ـ البرادي : الجواهر المنتقاه ، ص ٢٠٨ .
٢ ـ باجية صالح : الإباضية بالجريد ، ص ٢٢٣ .

٢ ـ مهام الهيئة التعليمية :

حدّد مجلس العزابة مهامّ العرفاء في مدارس العزابة بما يلي :

أ ـ عريف الختمات وأوقات النوم :

يجمع عريف الختمات وأوقات النوم مهامّ الناظر الأوّل في المدرسة ، أثناء الدراسة النهاريّة ، ومهامّ الناظر الليلي . ويتّبع نظاماً أشبه ما يكون بالنظام العسكري في تأمين سير العمل التربوي في المدرسة ، فكلّ مخالفة يقوم بها الطلاّب ، أو عدم الالتزام بنظام المدرسة يعرّضهم للعقوبة .

وعمل عريف الختمات وأوقات النوم محدّد وواضح ومفصّل بطريقة تجعل العمل ينتظم دون لبس أو إشكال . وهو " أقوى شخصيّة بعد الشيخ وأهم عنصر في التربية [1] ".

ويشرف عريف الختمات وأوقات النوم على الأمور التالية :

١ ـ إعلان بدء الدراسة الصباحيّة حيث " يتعلّق به ارتصاد حزب الغد ، وفي المجلس الذي تكون فيه المذاكرة [2] ".

٢ ـ مراقبة الطلبة وقت الاستفتاح ، " أي عند القيام في الثلث أو الربع الأخير من الليل لتلاوة القرآن والدعاء ، ومعاقبة من ينام منهم ، أو يشتغل بغير التلاوة والدرس والمذاكرة [3] ".

٣ ـ إعلان انتهاء الدراسة الصباحيّة ، فمتى " كمل الحزب ـ من القرآن الكريم ـ أو كاد دعا جميع من في المجلس إلى الختمة ويؤمّنون على دعائهم ، فيدعو أسنّهم ويدور الدعاء [4] " ، ويتمّ الدعاء على النحو التالي :

---

(١) ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٤٠ .

(٢) ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

(٣) ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٣ .

(٤) ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

أ ـ يتلو " أكبر التلاميذ دعاء الختام ، ويردّ بقية الطلبة [1] ".

ب ـ ينبغي تواجد الجميع عند الدعاء الصباحي ، لأنّ " حضور هذا الدعاء الختامي [*] حتمي [2] ".

ج ـ يتعرّض كلّ من يتخلّف عن الدعاء الصباحي للعقاب ، لأنّه " إن انقضى الدعاء وتخلّف ـ أحد الطلاب ـ فالخطّة [3] ". أي العقاب .

د ـ يسمح للطالب المتأخّر بعض الوقت بعذر مقبول ، ويتعرّض للعقاب إذا انقضى الدعاء و لم يحضر [4] .

٤ ـ بعد الانتهاء من الدعاء الصباحي وتناول الطلاّب لطعام الغداء يدعو الطلاب إلى " نوم الهاجرة [5] " ويشترط في نوم الهاجرة أو الظهيرة أن يتقيّد الطلاّب بما يلي :

أ ـ نوم الهاجرة إجباري " ولا يحقّ لأي واحد منهم ـ الطلاّب ـ أن يتخلّف عن نوم القيلولة [6] ".

ب ـ يتعرّض للعقوبة أثناء فترة نوم الظهيرة كلّ طالب :

١ ـ " تكلّم أو تحرّك بحيث يؤذي النائمين [7] ".

٢ ـ " ترك النوم ذريعة إلى امتناع القيام بالليل [8] ".

---

(1) ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٣ .

(*) ـ الختمة اجتماعهم لذكر الله والدعاء عند طلوع الشمس وعند غروبها بشيخ أو بغير شيخ ، وكأنّهم يختمون به عمل الليل وعمل النهار .

(2) ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٤٠ .

(3) ـ معمر ، علي يحيى : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(4) ـ أنظر الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٥ .

(5) ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

(6) ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

(7) ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

(8) ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

٥ ـ يدعو الطلاّب بعد صلاة المغرب إلى الختمة ، فيجتمعون في حلقات ، وأقلّ هذه الحلقات " ثلاثة ـ طلاب ـ وإن كثروا فعشرة لا يجاوزونها ، والوسط بين التحديدين أعدل [1] ". ويعاقب كلّ تلميذ يتخلّف عن ذلك ، ويكون انتظام الحلقة كالتالي :

أ ـ يبدأ الطلاّب الجلوس في الحلقة " مبتدئين الجلوس عن يمين أكبر الطلاّب سناً [2] ".

ب ـ بعد الانتهاء من الجلوس " ذكروا الله [3] ".

ج ـ يتناوب قارئان على تلاوة " ما يتيسّر من القرآن الكريم حتّى صلاة العشاء [4] ". وينصت بقيّة الطلاّب إلى التلاوة .

د ـ يدعو الطلاّب إلى دعاء الختام ، بعد الانتهاء من التلاوة ، ويكون الدعاء بأن يتوجّهوا إلى القبلة ، ويدعو الطالبان اللذان تلَوا القرآن و" يؤمّن من خلفهم [5] ". ثمّ يقومون إلى صلاة العشاء .

٦ ـ يترك الطلاّب بعد صلاة العشاء في مذاكرة حرّة مدّة ليست طويلة .

٧ ـ يدعو الطلاّب بعد الاستراحة إلى الختمة ، فيجلس الطلاّب ويقرأون من القرآن الكريم ما يسّر الله ، والقراءة في ختمة العشاء هي أن يقرأ أحدهم في كتاب الله وبعد القراءة يدعو القارئ بدعاء خفيف ، ثمّ يلقي أفصح الطلاّب كلمة مناسبة في التوجيه ، كتوجيه بعد كفاح يوم كامل ، ويستحسن أن تستوحى تلك الكلمة من الآيات التي سبق أن قرئت [6] .

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

[2] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٣ .

[3] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

[4] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٣ .

[5] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

[6] ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٤٠ .

يتوجّه الطلّبة بعد الدعاء إلى النوم ، ويشترط اتباع القواعد التالية عند النوم :

أ ـ " لا يحقّ لأحد من الطلبة المبتدئين التأخّر عن الذهاب إلى النوم في الوقت المحدّد [1] ".

ب ـ يعاقب كلّ تلميذ " تكلّم أو تحرّك [2] " لأنّ كلامه يؤثّر على راحة الآخرين، وحركته تحدث الضوضاء ، فتمنع الآخرين من النوم .

ج ـ يسمح العريف لبعض الطلاّب في المرحلة النهائيّة من الدراسة " بالاستمرار في الدرس والمذاكرة ، في مطالعة كتاب بعيداً عن النائمين [3] ". شريطة أن لا تؤثّر دراستهم على راحة الطلبة النائمين ، وأن لا تعيقهم الدراسة عن " القيام في آخر الليل للاشتراك في القرآن وقت الاستفتاح [4] ".

ب ـ عريف الطعام :

هو الناظر المشرف على " أوقات الطعام ، له حدود يقف عندها وأشياء متسع فيها [5] " وتتلخّص مهام عريف الطعام بالأمور التالية :

١ ـ يتولّى تنظيم جلوس الطلاّب عند الأكل داخل أماكن الدراسة وخارجها ، ويقصد بخارج أماكن الدراسة " إذا كانوا في رحلة مدرسيّة أو استضافهم أحد الناس [6] ".

---

(1) ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٤ .

(2) ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

(3) ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(4) ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٤ .

(5) ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(6) ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٤١ .

٢ ـ يتفقّد ، بعد جلوس الطلاّب ، الغائبين منهم ، ويسأل عنهم " فإن غاب أحدهم لعذر ذكّرهم بأن يستوصوا به، وإن كان في غير عذر فالخطّة [١] ".

٣ ـ يتأكّد من حضور الطلاّب " إلى الأكل باللباس الكامل وهو الزيّ الخاصّ بهم [٢] ".

٤ ـ يبدأ الطلاّب تناول الطعام ملتزمين بالقواعد السلوكيّة التالية :

أ ـ آداب الطعام قبل الأكل وهي سبعة :

١ ـ معرفة الطعام أنّه طيّب ، وذلك فريضة لقوله تعالى ﴿ كُلُواْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّباً [٣] ﴾ لأنّه قيل إذا كان حراماً شاركه الشيطان في أكله ، لقوله تعالى ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ [٤] ﴾ .

٢ ـ غسل اليدين للنظافة لقوله ﷺ (الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ، وبعده ينفي اللمم [*]) .

---

[١] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

[٢] ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٤١ .

[٣] ـ سورة البقرة ، الآية ١٦٨ .

[٤] ـ سورة الإسراء ، الآية ٦٤ .

[*] ـ أخرجه الطبراني في الأوسط ، ج ٢ ، ص ١٥٠ (الوضوء قبل الطعام وبعده ينفي الفقر ، وهو من سنن المرسلين) ، وأورده الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير ، وقال موضوع .

(أنظر، ١ ـ الهيثمي ، الحافظ نور الدين : كتاب مجمع البحرين في زوائد المعجمين ، المعجم الأوسط والمعجم الصغير للطبراني ، ج ٧ ، ٦٧ ، تحقيق ودراسة عبد القدوس بن محمد ، الرياض ، مكتبة الرشد ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

٢ ـ الألباني ، محمد ناصر الدين : ضعيف الجامع الصغير ، بيروت ، المكتب الإسلامي ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .

٣ ـ الجلوس على الأيسر، ونصب الرجل اليمنى اقتداء برسول ا لله ﷺ ، وكان يقول (لا آكل متّكئاً أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد [*]) .

٤ ـ إنتظار الحارّ حتّى يبرد لقوله ﷺ (دعوا الحارّ حتّى يبرد فإنّه غير ذي بركه[**]) .

٥ ـ عقد النيّة للأكل ، وهو أن ينوي بها التقوّي على طاعة ا لله تعالى ، ولا يقصد به التلذّذ والتنعّم .

٦ ـ أن لا يحقّر الطعام، ولكن يرضى به، ولا ينتظر الأدام لأنّ ذلك من كرامة الخبز .

٧ ـ أن يجتهد على تكثير الأيدي على الطعام ، كما روي أنّ النبي ﷺ قال (اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه [***]) [1] .

ب ـ آداب الأكل وهي عشرة :

١ ـ التسمية في أوّله والحمد له في آخره لقوله ﷺ (اذكروا اسم ا لله على الطعام [****]) .

---

[*] ـ أخرجه البخاري (لا آكل وأنا متكيء) رقم الحديث ٥٣٩٩ و (إنّي لا آكل متكئاً) رقم الحديث ٥٣٩٨ .
(أنظر ، صحيح البخاري ، ج ٣ ، ص ٤٣٥) .

[**] ـ أخرجه الطبراني في الأوسط ، ج ٢ ، ص ٨٤ (ابردوا الطعام ، فإنّ الطعام الحارّ غير ذي بركه) . وقد ضعّفه أبو حاتم .
(أنظر ، الهيثمي : كتاب مجمع البحرين في زوائد المجمعين ، ج ٧ ، ص ٥٦ ـ ٥٧) .

[***] ـ أخرجه أبو داوود ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، على النحو التالي :
(اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم ا لله تعالى عليه يبارك لكم فيه) من طريق الوليد بن مسلم .
(أنظر ، الألباني، محمد ناصر : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، ج ٢، ص ٢٧٢) .

[1] ـ أنظر، الجيطالي، أبو طاهر إسماعيل بن موسى: قواعد الإسلام، ج٢، ص٢٥٤، صحّحه وعلّق عليه بكلي عبد الرحمن بن عمر، غرداية (الجزائر)، المطبعة العربيّة ١٩٧٦م .

[****] ـ أخرجه الطبراني في الأوسط ، ج ١، ص ١٦ (اذكروا اسم ا لله وليأكل كل امرئ ممّا يليه) وقال الهيثمي في المجمع ،ج ٥، ص ٢٦ ـ ٢٧، وفيه ابن لهيعه وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح .
(أنظر ، الهيثمي : كتاب مجمع البحرين في زوائد المجمعين ج ٧ ، ص ٦٢ ـ ٦٣) .

٢ ـ الأكل باليمين لنهي النبي ﷺ عن الأكـل والاعطـاء والأخـذ بالشـمال وقال (إنّ الشيطان يأكل ويأخذ ويعطي بشماله [*]) .

٣ ـ الأكـل بثلاثـة أصابـع ، وربمـا استعـان بـالـرابعـة ، ولا يـأكـل باصبعـين .

٤ ـ تصغير اللقمة وتجويد مضغها ، وما لم يبتلعها لا يمدّ اليد إلى الأخرى ، فـإنّ ذلـك مـن العجلـة في الأكل ، ولا يذمّ مأكولا كائناً ما كان ، لما روي أنّ النبي ﷺ (ما ذمّ طعاما قطّ ، إن أعجبـه أكلـه ، وإن كرهـه تركـه [**]) .

٥ ـ الأكـل ممّا يليـه ، إلاّ في الفاكهة ، فإنّ له أن يجيـل يـده ، قـال رسـول الله ﷺ (كل ممّا يليك [***]) .

٦ ـ أن لا يـأكل مـن ذروة القصعـة ، ولا مـن وسـطها لأنّـه موضـع البـركـة ، وإذا فـرغ الطعـام ، ولـم يبـق إلاّ ذروة القصعـة فليأكلهـا .

---

[*] ـ أخرج الطبراني في الأوسط ، ج ١ ، ص ١٩ .
(من أكل بشماله أكل معه شيطان ، ومن شرب بشماله شرب معه شيطان) وأخرجـه أحمـد ، ج ٦ ، ص ٧٧ ، عن يحيى بن غيلان ، وقال الهيثمي في المجمع ، ج ٥ ، ص ٢٥ ، وفي اسناده أحمد بن رشـدين ابن سعد وهو ضعيف .
(أنظر ، الهيثمي : كتاب مجمع البحرين في زوائد المجمعين ، ج ٧ ، ص ٦٣) .

[**] ـ أخرجه البخاري (ما عاب النبي طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه) .
(البخاري : صحيح البخاري ، ج ٣ ، ص ٤٣٧ ، رقم الحديث ٥٤٠٩) .

[***] ـ أخرجه البخاري والترمذي (يا غلام ، سمّ الله ، وكل بيمنك ، وكُل ممّا يليك) .
(أنظر ١ ـ البخاري : صحيح البخاري ، ج ٣ ، ص ٤٣١ ، رقم الحديث ٥٣٧٧ .
٢ ـ الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سُورة : الجامع الصحيح وهـو سنن الترمذي ، ج ٤ ، ص ٥٩٠ ، رقم الحديث ٢٣٨٠ ، تحقيق إبراهيم عطـوة عـوض ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د. ت) .

٧ ـ أن لا يقشّر وجه الطعام ، ولا يحفر فيه ليجمع إليه الأدام دون القوم لنهي النبي ﷺ عن الحفار والقشار والدوار وهو الذي يأكل يميناً وشمالاً (*) .

٨ ـ أن يرفع الطعام إذا وقع من يده ، وليأكله لقول النبي ﷺ (إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان عليها من أذى وليأكلها ، ولا يذرها للشيطان (**)) .

٩ ـ أن لا يمسح يده بالمنديل حتّى يلعقها لعقا جيّداً كما رُوي أنّه عليه السلام يلعق أصابعه (إذا أكل أحدكم فلا يمسح يده حتّى يَلْعقها أو يُلْعقها (***)) .

١٠ ـ أن يبدأ بالملح ويختم به لقول النبي ﷺ (اجعلوا الملح أوّل طعامكم فإن منه شفاء من اثنين وسبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس والحلق والبطن (****)) [١] .

ج ـ آداب آخر الطعام وهي ستّة :

١ ـ أن يمسك قبل الشبع إلاّ أن يريد التقوّي على الصوم فلا بأس وفي الحديث (ما ملأ ابن آدم شرّا من بطن ، حسب ابن آدم لقيمات

(*) ـ حديث نهى رسول الله ﷺ عن الحفار والقشار والدوار وهو الذي يأكل يميناً وشمالاً . لم أجد له أثراً صحيحاً قطّ .

(**) ـ أخرجه مسلم في صحيحه ، ج ٣ ، ص ١٦٠٦ ، في كتاب الاشربه (إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها ، فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان) .

(***) ـ أخرجه البخاري في صحيحه، ج ٤، ص ١٧٥٢، حديث ٥٤٥٦ .

(****) ـ حديث اجعلوا الملح أول طعامكم فإن منه شفاء من اثنين وسبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس والحلق والبطن ،حديث موضوع .

(أنظر ، الذهبي : ترتيب الموضوعات لابن الجوزي ، ص ٢١٠ ، حديث رقم ٧١٠) .

[١] ـ أنظر ، الجيطالي : قواعد الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨ .

يقمن صلبه ، وإن لم يكن يفعل فثلث للطعام ، وثلث للشراب ، وثلث للنفس [*]) .

٢ ـ أن يلعق القصعة ببعض أصابعه ويغسلها بالماء ثمّ يشرب .

٣ ـ أن يلتقط فتات الطعام .

٤ ـ أن يخلل أضراسه ، ولا يبتلع ما يخرج من بين أسنانه بالخلال ولكن يرميه ، وأمّا ما يجتمع في أصول أسنانه فأخرجه اللسان فلا يرميه ، وليمضمض بعد الخلال .

٥ ـ أن يشكر الله تعالى على ما أطعمه قال تعالى ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ [1] ﴾ .

٦ ـ الدعاء بالبركة لقوله ﷺ (ادعوا في طعامكم بالبركة يبارك لكم [**]) ويقال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين يا كافي كلّ شيء ولا يكفي منه شيء ، أطعمت من جوع ، وآمنت من خوف ، فلك الحمد ، آويت من يُتْم وهديت من ضلالة ، واغنيت من عيلة ، فلك الحمد حمدا كثيرا طيّباً مباركاً فيه ، كما أنت أهله ، اللهمّ كما أطعمتنا طيّباً فاستعملنا صالحا ، واجعله عوناً لنا على طاعتك ، ونعوذ بك أن نستعين به على معاصيك [2] .

---

[*] ـ أخرجه الترمذي في سننه ، ج ٤ ، ص ٥٩٠ ، رقم الحديث ٢٣٨٠ .
(ما ملأ ابن آدم وعاء شرّاً من بطن : يحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه) .

[1] ـ سورة البقرة ، الآية ١٧٢ .

[**] ـ الحديث الذي ورد في هذا الخصوص هو (اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى عليه يبارك لكم فيه)
أخرجه أبو داوود ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، وابن ماجه ، ج ٢ ، ص ٣٧ ، والحاكم ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .
(أنظر ، الألباني ، محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج ٢ ، ص ٢٧٢) .

[2] ـ أنظر ، الجيطالي : قواعد الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

٥ ـ يراقب سلوك الطلاّب ومدى تطبيقهم لآداب الطعام " فمن أكل بنهم أو أكل ذي كبر ، عيّب عليه ، في غير ذلك الموضع ونهى وقبّح وحذّر أن يعود فإن عاد فالخطّة [١] ". ويلفت نظر التلاميذ إلى ضرورة التقيّد بآداب الطعام بعيداً عن أعين الطلاّب ، ويجعل الطالب يتقبّل النصيحة ، ويبعده عن سخرية التلاميذ ، وخاصّة إذا كانت ملاحظة العريف هي الملاحظة الأولى .

٦ ـ لا يتشدّد العريف مع الطلاّب ، أثناء الطعام ، فلا يتحفّظ الطلاّب أثناء الطعام ، بل " يميلون إلى ضرب من الدلال ، وينبسطون بعض الانبساط ويحسنون الظنون ، ولا يحتشون في اقتراح طيّب الطعام أو زيادة الأدام أو نحو ذلك [٢] " .

وتكون هذه الحرّيّة ، أثناء الطعام ، في مكان الدراسة ، أمّا إذا كان الطعام خارج مكان الدراسة ، كأن يكونوا في نزهة ، أو دعوا إلى مأدبة خارج مكان الدراسة، فإنّهم يتقيّدون تقيّداً تامّاً بآداب الطعام ، ويوجّه إليهم العريف الملاحظات مباشرة أثناء الطعام ، ولكن في أسلوب مبتكر متعارف عليه ، بأن يتلفّظ بألفاظ يفهم منها التلاميذ أن يحسنوا آدابهم وأخلاقهم مثل أن يقول " حسّان وربما قال حسّان بن ثابت أي أحسنوا آدابكم، وهي كلمة يقولونها مهما دخل فيهم من غير الصنف تحذيرا أن يطّلع على ما ينتقد منهم [٣] ".

٧ ـ يعلن العريف انتهاء الطعام ، بعد أن يتأكّد أنّهم انتهوا من تناول طعامهم ، وإن " وجد منهم من يده في الطعام انتظره حتّى يقضوا

---

[١] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

[٢] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

[٣] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

حاجتهم [1] " ، ولا يحقّ للطالب الذي أنهى طعامه ، أن يقوم من مكانه أو الانصراف " إلاّ إذا أعلن العريف ذلك [2] ".

٨ ـ يشرف على " توزيع الهدايا التي يتصدّق بها الأغنياء المحسنون [3] ". وعلى تنظيم وجبتي الطعام الرئيسيّتين وهما وجبة الظهر ووجبة المساء ، والوجبتين الإضافيّتين :

أ ـ وجبة الضحى : وميعادها " وقت الضحى بعد استكمال اكتتاب الألواح [4] ".

ب ـ وجبة العصر : وميعادها " بعد الصلاة بقدر ما يقرأ فيه قارئ اللوح مرّة أو مرّتين [5] ".

والطعام الذي يقدم يوميّاً في هاتين الوجبتين هو " التمر والفاكهة في أوقاتها فترتيب ذلك أيضاً إلى العريف [6] ". ويقدم الطعام في الوجبات الإضافية بطريقة مبتكرة مفيدة، تقوم على ما يلي :

١ ـ يقف طلاّب الحلقة بشكل دائري، وينظّم حلقتهم " عريف يكون أسنّهم أو أنبههم ، لا تعلو عرافته تلك الحال [7] ".

٢ ـ يطرح العريف قبل تقديم الفاكهة ثلاث مسائل ، في أيّ فن كان ، ثمّ كذلك ميامنة حتّى يتمّ الدور ، "فمن أجاب على

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

[2] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٤ .

[3] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

[4] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٤ .

[5] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

[6] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

[7] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

الأسئلة أكل ، ومن تأخّر فلا إثـم عليـه ، فإنّمـا ذلـك علـى الاختيار [1] ".

٣ـ لا يأكل الطالب فاكهته، إلاّ بعد أن ينال جميع طلاب الحلقـة حصّتهم " تأديباً وردعاً وتحريضاً على تحصيـل الفوائد [2] ".
ولتلاميذ الكتاتيب ودار التلاميذ "وقف مـن التمـر يأخذونـه مـرّة في اليوم كغذاء يزوّد به التلاميذ [3] ".

واللافـت في وجبـات الطعـام أنّ وجبـة الصبـاح مفقـودة ، وذلــك أنّ الطلاّب ينهضون من النوم لتحصيل الدرس ، ويتلقّـون طعامـاً خفيفـاً وقـت الضحى ، ثمّ الوجبـة الأساسيّة عنـد الظهـر، وبعدهـا اسـتراحة الظهـر، ثـمّ الوجبة الإضافية الثانية فالعشاء ، وتقدّم وجبة نافلة إلى الطلاّب لمن يكـون " به شوق إلى تلك النافلـة [4] ".

وتراعي هذه الوجبات ، من حيث تقديمها ، الناحية الصحيّـة ، فـالمعدة لا تكون في خـواء كـامل ، وإن لم تذكـر لنـا المصـادر أنـواع الأطعمـة الـتي كانت تقدمّ ، إلاّ أنّنا نستشفّ مـن الوجبـات الإضافيّـة القائمـة علـى التمـر والفاكهة ، أنّها تراعي الناحية الصحيّة الغذائيّة للطلاّب .

ج ـ عريف تحفيظ القرآن الكريم :

هو المعلّم المكلّف بتحفيظ القرآن الكريم للطلاّب ، وما دامت هذه هــي مهامّـه فيشـترط فيـه أن " يكـون حافظـاً لكتـاب الله حفظـاً جيـداً عارفـاً برسـم المصحـف [5] "

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

[2] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

[3] ـ دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

[4] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ .

[5] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

ويقتضي الحفظ أن يكون محكماً لتلاوة القرآن الكريم ، عالماً بتفسير معانيه ، ضليعاً في اللغة العربيّة وفنونها ، وتكون مهمّته في الأمور التالية :

١ ـ الاشراف على عدد من التلاميذ " أكثرهم عشرة ، وأقلّهم اثنين ، وهذا بحسب الاختيار [١] ". وقد يزيد عدد الطلاّب أو يقلّ للضرورة " فلا حدّ لكثرتهم ولا لقلّتهم [٢] ".

٢ ـ يتّبع في تدريس القرآن الكريم لتلاميذه الخطوات التالية :

أ ـ يملي على تلاميذه الآيات التي يكتبونها في ألواحهم .

ب ـ يصحّح للتلاميذ الألواح ، بعد أن يخبره النقيب ـ العريف على التلاميذ ـ أنّ الألواح قد جفّت .

ج ـ يطلب منهم حفظ ما كتبوه غيباً لليوم التالي [٣] .

د ـ يحثّ النقيب زملاءه الطلبة على الحفظ ويجمعهم في اليوم التالي . ويشترط في النقيب أن يكون " ممّن يتوسّم منهم الفطنة والذكاء والاجتهاد ويقوم النقيب بجمع الطلبة في الأماكن المخصّصة للتدريس في الأوقات المحدّدة ، وعندما يتكامل عدد التلاميذ يستدعي العريف ليبدأ دروس اليوميّة [٤] .

هـ ـ يفتتح العريف الدرس على النحو التالي :

١ ـ يستأذنه النقيب في حفظ ما كتب أمس .

٢ ـ يسمّع كلّ تلميذ ميامنه ما كتبه بالأمس .

---

[١] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

[٢] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

[٣] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

٢ ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٤٤ .

[٤] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

٣ ـ لا يبدأ العريف التسميع للطلبة إلاّ بعد أن يخبره النقيب أنّ كلّ التلاميذ قد حفظوا واجباتهم ، وتأكّد من ذلك .

٤ ـ يستأذن التلاميذ العريف ، بعد تسميع ما كتبوه فيملي عليهم .

٥ ـ يضع تقريراً مفصلاً عن كلّ تلميذ ، وعن الحالات المستعصية التي لا يمكنه حلّها إلاّ الشيخ عند الاجتماع به أسبوعيّاً [1] .

٦ ـ يعاقب العريف التلاميذ المقصّرين في دروسهم ، والذين لا يحفظون دروسهم جيّداً ، وتتدرّج العقوبات على النحو التالي :

أ ـ يتجاوز العريف عن التلميذ الصغير المبتدئ إذا أخطأ خمسة أخطاء ، وإذا كان كبيرا فيسمح له بثلاثة أخطاء ، وإن كان التلميذ معيداً ، فلا يسمح له إلاّ بخطأة واحدة . ومن زادت أخطاؤه عن المسموح به فإنّه يتعرّض للعقوبات التالية :

١ ـ إذا كان التلميذ صغيراً يعاقب بالوقوف في الزاوية والجلد (*) .

٢ ـ إذا كان كبيراً فإنّه يعاقب بالطرد .

ب ـ لا يطبّق العقاب الجسدي إلاّ بعد التوبيخ ، وتنبيهه إلى ضرورة الحفظ .

---

(1) ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٤٤ .

(*) ـ شرعت التربية الإسلاميّة التأديب الجسدي . لكنها جعلت الرفق هو الأساس ، وحدّدت أماكن الضرب باللوايا والأفخاذ وأسافل القدمين لأنّ هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة ولا يجوز ضرب رأس الصبي ولا وجهه . ولم يرد عن رسول الله ﷺ حديث يأمر بالجلد ، ولم يأمر به أحد من علماء التربية المسلمين .

(أنظر ، ١ ـ ابن سحنون : آداب المعلمين ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

٢ ـ ابن نصر ، عبد الرحمن : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشر الباز العريني ، إشراف محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦) .

ج ـ إن كان التلميذ لا يحفظ جيّداً لحب البطالة وترك المدرسة ، يعزّر إذا كان ذكيّاً فهماً، وإن كان ضعف حفظه لعِلّة في فهمه وضيق باعه .

وإن كان ذلك الأمر سماوياً عذره وأمره بالإعادة [1] .

د ـ عريف أوقات الدراسة :

يمثّل عريف أوقات الدراسة ، في المفهوم الحديث ، الناظر الذي يراقب التلاميذ أثناء حفظهم ، حتّى لا يضيّعوا الوقت سدى ، أو ينصرفوا إلى اللعب واللهو أثناء الوقت المخصّص لحفظ واجباتهم الدراسيّة ، " وعريف أوقات الدراسة يكون واحداً ويكون أكثر، إنّما هو على قدر الاحتياج إليه [2] ". وتتلخّص مهامّه في :

١ ـ يتفقّد أصحاب الألواح بين الظهر والعصر ، ويعاقب الطلبة الذين لا يحملون ألواحهم للدرس إلاّ بعذر .

٢ ـ يشرف على انتظام الطلبة في الحلقات الدراسيّة، ويسجّل أسماء الطلبة الغائبين أو المتأخّرين .

٣ ـ يتولّى عقاب كلّ تلميذ إذا :

أ ـ تأخّر في الحضور إلى حلقة الدرس دون عذر شرعي .

ب ـ اشتغل بما يلهيه عن الدرس .

ج ـ تأخّر في النهوض من النوم وقت الاستفتاح لغير عذر .

د ـ غاب عن صلاة الجمعة والعصر عن الحضور لاستماع قراءة كتاب الوعظ .

هـ ـ تناول الطعام اختياراً في غير الأوقات المحدّدة للأكل [3] .

---

[1] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٢ و ١٧٨ .
٢ ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٣ .

[2] ـ البرادي : الجواهر المنتقاه ، ص ٢٠٨ .

[3] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٢ و ١٧٨ .
٢ ـ البرادي : الجواهر المنتقاه ، ص ٢٠٨ .
٣ ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٣و ٩٦٦ .
٤ ـ معمر ، علي يحيى : نشأة المذهب الإباضي ، ص ١٤٤ .

و ـ سير العمل الدراسي اليومي :

يبدو من سير العمل اليومي في مدارس العزابة التنظيم الدقيق في عمل العرفاء ، فلا تداخل في مهمّاتهم ، ولكلّ واحد منهم مهامّ مخصوصة يقوم بها .

وإذا أردنا تنظيم الجدول الدراسي اليومي في مدارس العزابة ، فإنّ هذا الجدول يكون على النحو التالي :

١ ـ الاستيقاظ في الثلث الأخير من الليل أو الربع الأخير أو في الوقت الذي يحدّده شيخ العزابة لتأدية دعاء الاستفتاح (*) ، ثمّ يتوضأون ، ويأخذون في تلاوة

(*) ـ يذكر محمد علي دبوز أنّ دعاء الاستفتاح هو على النحو التالي :

سلام على ملائكة الله ، وعلى أنبيائه ، وعلى رسله ، وعلى أوليائه ، وعلينا معهم السلام أجمعين ، السلام على الملائكة الكرام الحافظين البررة الكاتبين ، الذين يكتبون أعمالنا ويحصون آجالنا . استفتحنا بذكر الله وآياته ، وهو خير الفاتحين .

اللهمّ إنّي أشهدك، وأشهد ملائكتك، وحملة عرشك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنّ لا إله إلاّ أنت وحدك، لا شريك لك، وأنّ محمّداً ﷺ عبدك ورسولك ، وأنّ ما جاء به حقّ من عندك .

ربّي ارحمني بترك المعاصي كلّها ، وارحمني ما أبقيتني وارحمني إذ توفّيتني ، وارحمني بترك ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عنّي ، وارزق قلبي حفظ كتابك كما علّمتني ، واجعلني أتلوه على النحو الذي تحبّه ويرضيك عنّي ، نوّر به بصري ، وأطلق به لساني ، واستعمل به بدني في طاعتك ، فإنّه لا حول ولا قوّة إلاّ بك يا أرحم الراحمين .

أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك ربي أن يحضروني ، أصبحت مرتهناً بكسبي ، ولا فقير أفقرني ، لا حول عن معاصي الله إلاّ بعصمة من الله ، ولا قوّة على طاعة الله إلاّ بعون من الله ، أصبحنا بالله وأمسينا بالله ، وبالله نحيا ونموت وإليه النشور .

اللهمّ اجعلنا من أفضل عبادك نصيباً في كلّ خير تقسمه ، ونور تهدي به ، ورزق تبسطه ، ودفع بلاء تدفعه ، وصرف شرّ تصرفه .

اللهمّ أنزل علينا رحمتك ، وانشر فينا بركاتك ، وأتمّ علينا نعمتك ، وألبسنا عافيتك ، وأعذنا من النار ومن الشيطان الرجيم ، واهدنا إلى الحقّ ، وإلى طريقك المستقيم ، ونجّنا من النار ، ومن عذاب الجحيم ، وأدخلنا برحمتك جنّة النعيم يا أرحم الراحمين .

(دبوز ، محمد علي : اعلام الاصلاح في الجزائر ، ج ٣ ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨) . ←

القرآن الكريم ، مع الشيخ أو فرادى حتّى أذان الفجر ، ويختمون تلاوتهم بالاستغفار والدعاء .

٢ ـ يؤدّي الجميع صلاة الفجر جماعة في المسجد .

٣ ـ يبدأون دروسهم اليوميّة والمعتادة ، حيث يجتمع الطلبة في صفوفهم المختلفة ، ويتفقّدهم النقباء ، ويكون كلّ نقيب مسؤول عن مجموعة (*) .

٤ ـ يجلس الطلبة في صفوفهم على هيئة حلقة غير مستندين إلى شيء ، ولا مكثرين من الحركة والالتفات، أو ما شابه ذلك بل يبقون محدّقين بالألواح المسندة إلى الأساطين، وعليهم أن يكونوا محتشمي اللباس بحيث لا يظهر من أجسادهم شيء .

٥ ـ عندما يتكامل عددهم يقوم النقيب باستدعاء العريف الذي يأتي إلى الصفّ ، ويبدأ بإلقاء دروسه أو محاضراته .

ويذكر محمد بن يوسف اطفيش أنّ دعاء الاستفتاح هو :

أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّ ما جاء به حقّ من عند ربّه ، أشهد أنّ الدين كما شرع ، وأنّ الإسلام كما وصف ، وأنّ القرآن كما نزل ، وأنّ القول كما حدث ، وأنّ الله هو الحقّ المبين، ذكر الله محمّداً ﷺ بالخير ، وحيّاه بالسلام ، استفتحنا بذكر الله وآياته ، وهو خير الفاتحين .

ربّنا أنزلنا منزلا مباركاً وأنت خير المنزلين في ديننا ودنيانا وآخرتنا يا أرحم الراحمين ، سبحان ربك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين ، والحمد لله ربّ العالمين .

(اطفيش ، محمد بن يوسف : أساس الطاعات في جميع العبادات ، ص ٥١ ــ ٥٢ ، ليبيا ، نالوت ١٣٨٧هـ ، بيروت ، دار لبنان ١٩٦٨م) .

بينما يذكر الدرجيني أنّ دعاء الاستفتاح هو أن :

يستعيذ ويبسمل ويقرأ فاتحة الكتاب .

(الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٢) .

(*) ـ يشير محمد عوض خليفات إلى وجبة الصباح ، لكنّنا لم نجد لها ذكرا في المصادر التي وقعت بين أيدينا ، وإنّما ورد ذكر لوجبة نافلة لمن هو بحاجة إلى طعام إضافي ، وربّما فسّر محمد عوض خليفات هذه الوجبة الإضافيّة بأنّها وجبة الصباح .

٦ ـ يبدأ العريف دروسه باختبار الطلبة فيما حفظوه ممّا أخذوه أو كتبوه في اليوم السابق ، ويملي عليهم بعد ذلك ما يجب حفظه لليوم التالي ، ويعاقب كلّ من يقصّر في واجبه .

٧ ـ بعد انتهاء الدروس الصباحيّة، يقوم عريف الختمات فيجمع الطلبة لتلاوة دعاء الختمة الصباحيّة، معلناً بذلك انتهاء الدروس الصباحيّة، التي يقوم بها العرفاء .

٨ ـ يجتمع الطلبة إلى شيخ العزابة حيث يلقون عليه بعض الاستفسارات ليجيب عليها، ولا تقتصر هذه الاستفسارات على موضوع معيّن، بل تكون شاملة للنواحي العلميّة والفقهيّة والاجتماعيّة وغيرها من المسائل التي تلفت انتباه الطلبة ، وتثير فضولهم .

يبدأ الطلبة أسئلتهم الاستفساريّة إمّا ميامنة ، أي ابتداء من الشخص الجالس إلى يمين الشيخ ، أو أن يقصر السؤال على من لديه مشكلة تحتاج إلى حلّ أو استفسار حولها . وللشيخ أن يجيب بنفسه ، أو أن يحيلها إلى أحد المشايخ الآخرين ممّن له معرفة واسعة في الموضوع الذي يدور حوله النقاش . وللسائل أو أحد الحاضرين حقّ طلب الاستزادة في التوضيح .

ومن أراد القيام ، فلا يقوم حتّى يستأذن ممّن يليه ، فإن أذن له قام ، وإن لم يأذن له أقام .

٩ ـ إذا همّ الشيخ بالقيام ، و لم يستثقل تشييع من يختصّ به من طلبته ركع ، وركع أصحابه ركعات الضحى ، ويشيّعوه تكرّماً له وتأنيساً به ، وإن ثقل عليه ذلك، ركع وركعوا وودعوه و لم يشيّعوه .

١٠ ـ يدعى الطلبة لتناول وجبة خفيفة من الفواكه والبلح ، ولكنّ هذه الوجبة مشروطة بالإجابة على ثلاثة أسئلة يطرحها العريف على كلّ واحد منهم ، فمن أجاب إجابة صحيحة سمح له بأخذ نصيبه ، ومن لم يفعل حرم منها ، ويحقّ لمن قصّر في الإجابة أن يحاول استحضار الأجوبة الصحيحة، فإذا نجح في ذلك قبل انتهاء مدّة الوجبة نال نصيبه، وإن لم ينجح نال نصيبه في الأخير .

١١ ـ يأمر عريف الختمات الطلبة بالذهاب إلى مضاجعهم ليناموا نوم الهاجرة أي القيلولة .

١٢ ـ يستيقظ الطلبة لأداء صلاة الظهر .

١٣ ـ يتناول الطلبة بعد أداء الصلاة ، طعام الغداء .

١٤ ـ تبدأ دورة الدراسة المسائيّة وتستمرّ حتّى موعد صلاة العصر .

١٥ ـ يؤدّي الطلبة صلاة العصر .

١٦ ـ يدعى الطلبة لتناول وجبة خفيفة كوجبة الضحى وبالطريقة نفسها .

١٧ ـ العودة إلى المذاكرة لوقت قصير .

١٨ ـ استراحة حرّة حتّى صلاة المغرب .

١٩ ـ أداء صلاة المغرب .

٢٠ ـ ينادي عريف الختمات الطلاّب إلى الختمة المسائيّة إيذانا بانتهاء الأعمال اليوميّة الإلزاميّة .

٢١ ـ أداء صلاة العشاء .

٢٢ ـ تناول طعام العشاء .

٢٣ ـ استراحة لمدّة قصيرة .

٢٤ ـ يدعوهم عريف الختمات إلى حضور الختمة النهائيّة، حيث يقوم أحدهم بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، ودعاء الختمة ويلقي أحد الطلبة كلمة توجيهيّة إرشاديّة .

٢٥ ـ الذهاب إلى النوم [1] .

---

(١) ـ أنظر ، ١ ـ البرادي : الجواهر المنتقاه ، ص ٢٠٨ ـ ٢١٠ .
٢ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .
٣ ـ خليفات ، محمد عوض : النظم التربويّة والاجتماعيّة ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

ـ استنتاجات :

١ ـ هل أبو عبد الله محمّد بن بكر هو المؤسّس للعزابة ؟ لا نعتقد أنّ أبا عبد الله بن بكر هو المؤسّس للعزابة، وإنّما هو واحد من الذين تابعوا عمل العزابة في القرن الخامس الهجري، وما أضافه محمّد بن بكر هو الانتقال بالطلبة من الدراسة في الكهوف إلى بناء خاصّ حيث " شيّد من كريم البنيان ما يتشبّه بها العزابة ويتشبّهون به الآن [1] ".

ونتّكيء في ذلك على الأدلّة التالية :

أ ـ إنّ لفظ العزابة كان معروفاً قبل محمّد بن بكر قبل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، فقد ذكر الدرجيني أنّه كان " لرجل نكاري على رجل وهبي دينار واحد دينا ، فمات الذي عليه الدين ، فخلف ابنا عزابيّاً، و لم يترك مالاً يورث عنه سوى شاة واحدة ، فطلب النكاري دينه من ولد الميت ، فقال : إنّ غريمك لم يخلف إلاّ شاة فبعها وخذ منها دينك ، فقال النكاري : بع أنت، وادفع لي ! فقال بيني وبينك أبو صالح [*] فتراجعا إليه ، فلما قربا من مجلسه قال النكاري للعزابي : سر إليه أنت، وحدك، واستفته، فما أفتى به أمضيته على نفسي ، ورضيته ، فجاء العزابي ، وعرّفه ما بينه وبين صاحبه، فقال أبو صالح صدق صاحبك ، بع وادفع إليه الثمن ، فقال بعض من حضره من العوام هذه إعانة للنكاري على الوهبي ، فقال لهم إنّ الحكم لا يختلف [2] ".

ب ـ إنّ لفظ العزابي كان يطلق على من ابتعد عن الناس ، وكان العديد من العلماء الإباضيّة ينصرف إلى الجبال ، ويقضي أياماً تعبديّة في الغار ، فقد ذكر عن أبي المنيب [**] " أنه إذا مضى إلى الغار يتعبّد فيه أخذ زاداً قليلاً،

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

[*] ـ أبو صالح بكر بن قاسم البراسيني من الطبقة السابعة ، (٣٥٠هـ / ٤٠٠هـ) .

[2] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

[**] ـ أبو المنيب محمد بن يانس من الطبقة الخامسة (٢٠٠هـ / ٢٥٠هـ) .

فيلبث في الغار المذكور المدّة الطويلة التي يفنى في بعضها أضعاف ذلك الزاد . فكانت هذه حالته حتّى ساء ظنّ امرأته ، وحسبت أنّه تزوّج غيرها ، وأنّ التي تزوّج هي التي تقوم لطعامه ، المدّة التي يفنى فيها زاده ، فتوجّهت امرأته إلى الغار فدخلته خفية على حين غفلة ، وكمنت بحيث لا يشعر بها بعلها ، وراقبت إلى وقت إفطاره ، فلمّا صلّى ما شاء الله كما كان يصلّي قبل تلك الليلة تحوّل إلى شجرة رتم أورتام (*) وأخذ منها فأفطر عليه ، وأكل منه ما اقتات به [1] ".

ج ـ كان العلماء قبل أبي عبد الله محمّد بن بكر ينفقون على طلاّبهم ، فقد كان أبو زكريا (**) يصرف الدنانير بالدراهم ، ويجعل الدراهم في القراطيس والصرر ثمّ يعلّقها في ألواح التلامذة ، وربّما يجعلها في أوعية دفاترهم ، وربما جعلها بين التلميذ وبين ثيابه ، وهم لا يشعرون وكلّ ذلك منه رغبة في كتمان الصدقة [2] .

د ـ لا تحدّد المصادر التاريخيّة الإباضيّة تاريخاً محدّداً لنشوء العزابة، ولكنّ فرحات الجعبيري يذكر أنّ أوّل وثيقة عن مجلس العزابة يرجع تاريخها إلى أوّل شعبان من عام (٧٠٨هـ / ١٣٠٨م) [3]. وهذا التاريخ تؤيّده الشواهد التالية :

١ ـ إنّ المدن الإباضيّة في وادي ميزاب اكتمل بناؤها في أواخر القرن الثامن الهجري ، " وينتهي في أواخر القرن الثامن ، بعد الانتهاء من بناء مدينتي مليكة وبني يزقن والتفكير في الانبعاث [4] ".

(*) ـ رتم أورتام نوع من الشجر بذره كالعدس .

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

(**) ـ أبو زكريا فصيل بن أبي ميسور من علماء الطبقة الثامنة ، (٣٥٠هـ / ٤٠٠هـ) .

[2] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

[3] ـ أنظر ، الجعبيري، فرحات : نظام العزابة عند الإباضيّة في جربة ، ص ٩٠، تونس ، المطبعة العصرية ١٩٧٥ .

[4] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في الجزائر ، ص ٤٣٨ .

٢ ـ إنّ بناء المدن في وادي ميزاب أشبه بالثكنات العسكريّة ، وإنّ الذين " يزورون وادي ميزاب يعجبون بعمارتها الهرميّة المميّزة، ففي كلّ مدينة من مدن الوادي السبع تنبهر العين بالمئذنة الشامخة التي تكون في القمّة العليا من القرية تتربّع كالحارس الأمين فوق رأس الربوة ، ثمّ تنداح هذه الدوائر الرائعة من الأبنية متماسكة تحت سمع وبصر مئذنة المسجد .

إنّ بعض الدارسين يعطون تفسيراً عسكريّاً فيقولون إنّ طبيعة المنطقة وما عرفته من فتن داخليّة وخارجيّة اقتضت أن يكون تصميم بناء المدن على هذا الشكل [1] ".

إنّ المذهب الإباضي الذي دعا إلى قيام إمامة تتماشى مع كلّ زمن من الأزمان ، وبناء المدن الشبيهة بالثكن العسكريّة انعكس على النظام التربوي ، الذي جاء تزاوجاً بين الفكر العسكري الإباضي الداعي إلى تربية الأجيال تربية عسكرية ، والفكر التربوي الداعي إلى إعداد دعاة يتميّزون في سلوكهم وتربيتهم . وهذا في رأينا لا يكون إلاّ بعد مرحلة الاستقرار ، وقد بدأ الإباضيّة يستقرّون مع بداية القرن الثامن الهجري ، وصدور أوّل وثيقة في بداية القرن الثامن الهجري يأتي متوافقاً مع الاستقرار والتفكير في المستقبل .

٢ ـ نظام التربية في مدارس العزابة صورة عن المجتمع الإباضي ، فالتربية في أساسها عمليّة اجتماعيّة ، وهي امتداد لما في المجتمع من قِيَم ومثل وعادات وتقاليد وألوان ثقافيّة . وهي أداة المجتمع " في صنع المستقبل ، والملاءمة للحاضر ، والتربية بعملياتها المختلفة ، وأساليبها المتنوّعة المتعدّدة من صنع الزمان وعمل المكان ، ونتاج الظروف التي تحيط بالمجتمع [2] ".

---

[1] ـ ناصر ، محمد : حلقة العزابة ، ص ٤ .

[2] ـ عبود ، عبد الغني ، وآخرون : فلسفة التعليم الابتدائي وتطبيقاته ، ص٢٣١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .

وعملت مدارس العزابة على التطبيع الاجتماعي للطلبة ، باكسابهم العادات والاتجاهات التي يريدها المذهب الإباضي ، وتعويد التلاميذ على التطبيق السلوكي للعادات الاجتماعيّة مثل الأكل والحديث والجلوس ، لكي يكون الإباضي متميّزاً في المجتمع، ويجذب بسلوكه غيره إلى الانخراط في مذهبه .

لقد طوّر الإباضيّة مجالس الدعوة السريّة إلى نظام عزابة يتّسم بالشدّة ، وتغلّب عليه سمات النظام العسكري ، وتتّضح هذه الصرامة في مهام عرفاء أوقات الدراسة الذين " يتفقّدون أصحاب الألواح بين الظهر والعصر ، فإنّ أبطأ أحدهم إبطاء لا يعذر فيه فالخطّة ، وإن اشتغل بما يلهيه عن قراءة لوحه ، فالخطّة . وبين المغرب والعشاء إن غاب أو أبطأ أو اشتغل بما يلهيه عن قراءة لوحه ، فالخطّة ، وإن قام إلى الطعام اختياراً أو نجوى ، فالخطّة . ووقت الاستفتاح إن نام أو تناوم ، أو اشتغل بغير دراسة ، ولم يكن له عذر ، فالخطّة . وبين صلاة الجمعة والعصر إن غاب عن الحضور لاجتماع قراءة كتاب المواعظ ، فالخطّة [1] ".

يتّضح من سير العمل اليومي في العزابة ، الذي يتّسم بالصرامة والشدّة والعقاب ، عند كلّ تقصير أو تأخّر ، أنّ نمطاً معيّناً وسلوكاً متّبعاً يجب أن ينشأ عليهما الطلبة، ولا يترك لهم سير العمل التربوي اليومي إلاّ الاستراحة الحرة القصيرة في اليوم ، وهذه الاستراحة الحرّة لا تسمح للطلبة في التعبير عن مواهبهم ورغباتهم .

ولقد نبذ المربون المسلمون الصرامة والقسوة في معاملة الصبيان والطلبة ، لأنّ هذه الصرامة قد تصبح وسيلة لاكتساب الطفل سؤ الخلق ، والصبي الذي " كان مرباه بالعسف والقهر ... سطا به القهر ، وضيّق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعا إلى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث ،

---

[1] ـ باجيّة ، صالح : الإباضية بالجريد ، ص ٢٢٨ .

وهو التظاهر بغير ما في ضميره ، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليـه ، وعلّمه المكر والخديعة لذلك ، وربّما صارت له هذه عادة وخلقاً [1] ".

ويرى ابن سينا أنّ حسم الداء أفضـل مـن علاجـه ، ويكـون ذلـك بإبعـاد الطفل عمّا يغريه بالخطأ و " يجنّبه مفاسد الأخلاق ، وينكب عنه معايب العادات بالترهيب والترغيب والايناس والايحاش ، وبالاعراض والاقبـال ، وبـالحمد مـرّة ، وبالتوبيخ أخرى [2] ".

وكان ، من الأفضل ، أن يتخلّل اليوم الدراسي بعض الألعاب ، لما لها من فوائـد ملموسـة معروفـة تتعلّق بتعلّـم المهـارات ، وتنشيط الأداء العقلي ،وقـد بيّنـت بعـض الدراسات " وجود علاقـة إيجابيـة بـين ارتفـاع الذكـاء والنمـو الجسـمي الأفضـل لـدى الأطفال منذ الطفولة المبكّرة ، وحتّى نهاية المراهقة ، بسـبب عوامـل رعـايتهم كالتغذيـة وممارسة الألعاب الرياضيّة ، ومن ناحية أخـرى كشـفت بعـض الدراسـات عـن علاقـة عكسيّة بين نقص النمو الجسمي والتحصيل الدراسي ، أي ارتباط قلّة الفاعليّة الجسـميّة بانخفاض مستوى تحصيل الطفل دراسياً [3] ".

٣ ـ أوقات الدراسة في العزابة :

لا تختلف أوقات الدراسة في مـدارس العزابـة ، عمّـا كـان سـائداً مـن أوقات في معظم الكتاتيب الإسلاميّة ، وهي " أن يلازم تعليم الصبيـان بعـد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى ثمّ من الظهر إلى صـلاة العصـر ويسـرّحهم بقيّة النهار [4] ".

---

(1) ـ ابن خلدون، عبد الرحمن : مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٩٩، بيروت، دار التراث العربي، د.ت .

(2) ـ ابن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد الله : كتـاب السياسـة (التدبير) ، ص ١٠٧٣ ـ ١٠٧٤ ، بمجلة المشرق ، نشره لويس شيخو ، بيروت ، السنة التاسعة ، الاعداد ٢١ ـ ٢٣ ، ١٩٠٦ .

(3) ـ البيلاوي ، فيولا : الأطفال واللعب ، ص ٧٩٠ ، عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثالث ، الكويت ، تشرين الأول ، تشرين الثاني ، وكانون الأول ١٩٧٩ .

(4) ـ المغراوي ، أحمد بن أبي جمعة : جامع جوامع الاختصار والتبيان ، ص ٥١ .

ويستنتج أحمد الأهواني توزيع الموادّ الدراسيّة اليوميّة في الكتّاب على النحو التالي :

١ ـ يدرس الصبيان القرآن من أوّل النهار في وقت مبكّر حتّى الضحى .

٢ ـ يتعلّمون الكتابة من الضحى إلى الظهر .

٣ ـ ينصرف الصبيان إلى بيوتهم لتناول الغداء ويعودون بعد صلاة الظهر .

٤ ـ تدّرس بقيّة العلوم كالنحو والعربيّة والشعر وأيام العرب والحساب من بعد الظهر إلى آخر النهار [١] ، وهذا ما كان سائداً في مدارس العزابة ، إلاّ أنّ الطالب كان يقيم فيها .

٤ ـ أساليب الدراسة في مدارس العزابة :

لا تختلف أساليب التدريس في مدارس العزابة عن غيرها في مدارس التربية الإسلاميّة ، حيث شاعت في الكتاتيب القراءة الجماعيّة ، حيث يردّد الصبيان آيات القرآن الكريم مضبوطة صحيحة خلف معلّمهم ، ويكرّرها المعلم عدّة مرّات ، ومن خلفه الطلبة ، حتّى يحفظوها عن ظهر قلب .

ويرى أغلب المربين المسلمين أنّ القراءة الجهريّة أفضل من غيرها في حفظ القرآن الكريم " حيث الجهر يوقظ القارئ ويجمع همّه ، ويصرف سمعه إليه ، ويزيد نشاطه ، ومن هنا كانت قراءة الصبيان لأحزابهم قراءة جهريّة [٢] ".

ومن هنا كان على المعلّم أن ينتبه لقراءة كلّ منهم " لأنّ اجتماعهم في القراءة بحضرته ، يخفي عليه قويّ الحفظ من الضعيف [٣] ".

---

[١] ـ أنظر ، الأهواني ، أحمد : التربية في الإسلام ، ص ١٥٧ .

[٢] ـ عبود ، عبد الغني : فلسفة التعليم الابتدائي ، ص ٢٢٠ .

[٣] ـ القابسي : الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلمين ، ص ٦٩ .

وإن شعر المعلم أنّ بعض الصبيان يلهو ولا يحفظ " فينبغي على المعلّم أن ينظر فيما هو أصلح لتعليمهم ، فيأمرهم به ، ويأخذ عليهم فيه [1] ". بحيث يختبر كلّ صبي " في حزبه ، فيؤدّبه على ما كان منه من تقصير [2] ".

أمّا طريقة المناقشة التي تبيّن فهم التلميذ لكلّ ما يتعلّم ، فلا يكتب المتعلّم شيئاً لا يفهمه ، فإنّه يورث كلالة الطبع ويذهب الفطنة ويضيّع أوقاته ، وينبغي أن يجتهد في الفهم عن الأستاذ بالتأمّل والتفكير ، وكثرة التكرار ، فإنّه إذا قلّ السبق ، وكثر التكرار والتأمّل يدرك الفهم .

إلاّ أنّ المناقشة في مدارس العزابة اتّسمت بالدافعيّة وهي الطريقة التي عبّر عنها ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) بما يحمل معناها من مفردات العربيّة مثل " النيّة " و " الهمّة " و " الرغبة " و " والمبادرة " و " جمع القلب " وغير ذلك [3] .

وتمثّلت طريقة المناقشة بطرح ثلاثة أسئلة ، قبل تقديم الوجبة الاضافيّة ، فإن استطاع الطالب الإجابة نال نصيبه ، وإن لم يستطع نال نصيبه في النهاية ، وهذه الطريقة في طرح الأسئلة أثناء تقديم الوجبة الاضافيّة من الحلوى والفاكهة ، فإنّها ولا شكّ تثير " الغدد اللعابيّة بطريق الخواص الدلاليّة

---

(1) ـ القابسي : الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلمين ، ص ٦٩ .

(2) ـ الزرنوجي ، برهان الإسلام : تعليم المتعلم في طريق التعلم ، ص ١٧ ، القاهرة ، مطبعة التوفيق الأدبيّة ، د. ت .

(3) ـ أنظر ، ١ ـ ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم : تذكرة السامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم ، ص ٤٨ ـ ٧٢ ، نشر السيد محمد هاشم الندوي ، الهند ، حيد أباد ، ١٣٥٣هـ .

٢ ـ عبد العال ، حسن إبراهيم : الفكر التربوي عند بدر الدين بن جماعة ، ص ٢٩٨ ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

ـ الارشاديّة ـ للأشياء ، أو قل إذا شئت أنّ آلية الاثارة الاشراطيّة يمكن تصوّرها بسهولة من وجهة نظر الفيزيولوجيّة بوصفها وظيفة من وظائف الجملة العصبيّة، ففي أساس كلّ ارتكاس اشراطي يوجد ارتكاس غير إشراطي ، ويتكوّن الارتكاس الاشراطي حين تحدث الاثارة في نقطتين من الجملة العصبيّة المركزيّة في آن معاً ويقوم ارتباط بين هاتين النقطتين ، أي أنّ ارتباطاً يتمّ بين مركزي الاثارة ، وهكذا يلخّص بافلوف [*] الدور الفيزيولوجي للقشرة الدماغيّة بأنّه إمّا :

١ ـ وظيفة ربطيّة ازدواجيّة وذلك حسب الآليّة الموجودة في العمل .

٢ ـ أو وظيفة دلاليّة ، وذلك حسب معناها ، وعمليّة الدلالة عمليّة قابلة للتكيّف بالنسبة للمثيرات الخارجيّة [1] ".

فهل هذا الأسلوب الذي طبّقه المربّون الإباضيّون يدلّ على أنّهم أدركوا قبل غيرهم أهمّيّة الإثارة في التربية .

لا شكّ أنّ الهدف من طرح ثلاثة أسئلة أثناء تقديم الوجبة الاضافيّة يثير الطالب، وتتفتّح آفاقه إلى الإجابة، حتّى ينال نصيبه من الفاكهة والحلوى منذ البداية . وإن كانوا يطرحون الأسئلة "تحريضاً على تحصيل الفوائد [2] "، فإنّ التحريض يعني الإثارة ، ولكن بما أنّ أهدافهم التربويّة متطلّعة إلى الحفاظ على تعاليم المذهب ، فإنّهم لم يتوسّعوا في دراستهم التربويّة ، وكانت الفرصة مؤاتية لأنّ الطلبة كانوا يقيمون في مدارس العزابة بصفة دائمة .

---

[*] ـ إيفان بتروفتش بافلوف (١٨٤٩ ـ ١٩٣٦) طبيب روسي ، كان مديرا للمختبر الفيزيولوجي في معهد الطب التجريبي في مدينة بطرسبرج .

[1] ـ عاقل ، فاخر : التعليم ونظرياته ، ص ١٨٦ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٧ ، ١٩٩٣ .

[2] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧١ .

وقد أشار الغزالي [*] إلى النظام الدلالي الاشاري قبل أن يتكلّم عنه بافلوف حين أوضح بأنّ " صورة طعم الطعام تحدث في الفم جريان اللعاب ، كما لو نظرت إلى من يأكل معنا فكأنّك تدرك في ذوقك إحساس الحامض على لسانك، فلا فرق بين تأثير صورة الحامض الموجودة في دماغك ، وتأثيره بنفسه على ذوقك لأنّ الانفعال الجسمي هو عينه إلاّ أن الصورة تكون عادة أضعف من الادراك والاحساس [1] ".

وبذلك أوضح الغزالي بالدليل المادي على أنّ صورة الحامض المحفوظة في الدماغ ، والذي أدركناه بمجرّد ظهور الإشارات والدلائل . " وهي رؤيته دون وضعه في الفم ، هو الذي أعطانا الاستجابة اللعابيّة الوهميّة ، وكذلك لو وضعنا الطعام بحدّ ذاته في الفم لأعطانا الاستجابة اللعابيّة نفسها . مع الاعتراف بأنّ الاستجابة لصورة شيء وشكله تكون أضعف من الاحساس والادراك للمؤثّر الطبيعي وللطعام نفسه .

وهكذا يبدو أنّ مفهوم النظام الإرشادي واستجابة سيلان اللعاب والدور الفيزيولوجي للدماغ وتكوين السلوك الاستجابي والوسيلي عند الغزالي ، كلّها دليل واضح على هذا النظام الاشتراطي الاقتراني الكامل عنده ، لذا فهو بحقّ صاحب النظرية الأولى في الاشتراط ، وسبق بها بافلوف ، وغيره من علماء الاشتراط [2] ".

---

[*] ـ الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠هـ / ١٠٥٩م) (٥٠٥ هـ / ١١١١م) لقب بحجّة الإسلام لذوده عن حياض العقيدة الإسلاميّة بفكره وقلمه .

كتب في شؤون التربية في عدد من مؤلفاته التي تتضمّن آراءه في التربية من أهمّها : "فاتحة العلوم " " أيّها الولد" " ميزان العمل " الرسالة اللدنيّة " ثمّ كتاب "إحياء علوم الدين" الذي يعتبر من أكبر كتبه في علم الكلام والفقه والأخلاق والتربية.

(أنظر ، الحاج ، فائز محمد علي : أبو حامد الغزالي من أعلام التربية العربيّة الإسلاميّة ، ج ٣ ، ص ٢٩ ـ ٥٢ ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) .

[1] ـ الغزالي : محمد بن محمد : الاقتصاد في الاعتقاد ، ص٣٣ ، القاهرة ، المطبعة التجارية ١٣٢٠هـ .

[2] ـ الحاج ، فايز محمد علي : أبو حامد الغزالي ، ص ٤٦ .

حرصت مدارس العزابة على بدء اليوم الدراسي بالاستفتاح وتلاوة القرآن الكريم ، وختام كلّ فترة دراسيّة بالدعاء ، وتعويد الطلبة على الدعاء ، يذكّرهم باستمرار بأنّهم عباد الله تعالى ، ومن هنا كان المقصد الاسمى للدعاء ، الذي هو مخ العبادة .

ويتصوّر كثير من الناس أنّ " الدعاء يقوم مقام العمل ويغني عنه ، وهذا اعتقاد فاسد لا أصل له في الشرع ، أما التعبّد الصحيح بالدعاء ، فهو الذي يعتبر الدعاء شكلاً من أشكال العمل ، وضرباً من ضروب التسبّب ، كما يعتبر العمل والتسبّب ضرباً من ضروب الدعاء لله تعالى فنحن حين نتّخذ الأسباب ، إنّما ندعو الله الفاعل الحقيقي أن يستجيب لما قصدناه وابتغيناه بتلك الأسباب [1] ".

وما أحوجنا أن نعيد الدعاء إلى منهجنا التربوي ، نبدأ به يومنا الدراسي ، وبه يختم ، وبذلك نغرس في أذهان الناشئة أنّه لا يصحّ تعطيل العمل بالدعاء ، كما لا يصح تعطيل الدعاء بالعمل ، لأنّه لا يغني أحدهما عن الآخر .

٦ ـ جعل العبادات من ضمن العمل التربوي :

لم يكتف العرفاء في مدارس العزابة باعطاء المعلومات فقط ، مع التسليم بأهمّيّة المعلومات وقيمتها ، بل ركّزوا على السلوك الذي يجب أن يكتسبه الطفل ، فاشتمل المنهج على العبادات يؤدّيها الطلبة بارشاد من العريف وتحت رقابته .

وجعل للعبادات وقت خاص يؤدّيها الطالب في مسجد مدارس العزابة ، وهكذا ينشأ الطالب على ممارسة العبادات وتصبح جزءاً من سلوكه .

وإذا كنّا نريد تربية تأتي محقّقة لرغبات أمّتنا الإسلاميّة ، فعلينا تنشئة أبنائنا على المبادئ والقِيَم التي ندين بها .

---

[1] ـ الريسوني ، أحمد : الوظيفة التربوية للدعاء ، ص ٥٧ ، مجلة الوعي الإسلامي ، الكويت ، العدد ٣٥٠ ، شوال ١٤١٥هـ / آذار ١٩٩٥م .

إنّ المفاهيم التربويّة المعاصرة ، والتي بنيت على تصورات غير اسلاميّة ، أثّرت على مسار التربية في عالمنا الإسلامي ، ولا زلنا نأخذ تصوراتنا التربويّة عن مؤسّسي الفكر التربوي الغربي ، وجلُّ مخطّطي التربية في عالمنا العربي الإسلامي تأثّروا بهذا المنهج ، وإن كان هناك اختلاف في درجة التأثّر .

وإذا أردنا أن ننشىء أجهزة مقاومة ذاتيّة وجماعيّة وحصانة أمام النظم التربويّة الغربيّة الوضعيّة ونزعاتها " وليست لدينا القدرة على الاجتهاد والاستنباط بما يتلاءم مع أسلافنا ، بل ليس لدى البعض النيّة لاخراج كنوز الفكر التربوي الإسلامي ، وهي كنوز ثريّة ، لكن نالها التشويه والتحريف والتزييف على أيدي المستشرقين واليهود ... يعاونهم عدد كبير من أبناء العرب والمسلمين ، وقد نجم عن هذا أنّ الأمّة تنظر إلى نفسها وسواها بعدسة صنعتها أيد أجنبيّة عنها ، أجنبيّة عن عقيدتها وتاريخها ، عن مشاعرها وادراكها ، عن اهتمامها بالأمور وإحساسها بالحياة وتقديرها للأشياء [١] ".

فإنّ العودة إلى الذات ، لا نريد أن يفهم منها أنّها عودة إلى أن نغلق أبوابنا أمام منجزات الحضارة الغربيّة ، ورفضها جملة وتفصيلاً ، معتبرين كلّ ما يرد علينا كفرا يحرم قبوله والاستفادة منه .

إنّ العودة إلى الذات تعني أن نجعل للعبادات مجالاً في منهاجنا الدراسي ، وجعل مناهجنا متوافقة مع عقيدتنا .

---

[١] ـ علي ، محمد المأمون محمد : العقبات التربوية لتطبيق الشريعة الإسلاميّة في المجتمع الكويتي ، ص ٨ ـ ٩ ، مؤتمر تهيئة الأجواء التربوية لتطبيق أحكام الشريعة الإسلاميّة ، المحور الثاني ، الكويت ، الديوان الأميري ، د. ت .

الفصل الرابع

المعلّمون والمتعلّمون

- **شروط المعلّم :**

أ ـ الشروط العامّة .

ب ـ الشروط الخاصّة .

- **الشروط التي يجب أن يتّصف بها المعلّم الإباضي .**
- **استنتاجات .**
- **شروط طلبة العلم .**
- **أقسام الطلبة :**

أ ـ طلبة تعليم القرآن .

ب ـ طلبة العلوم .

ج ـ طلبة الكتب .

د ـ العجزة .

- **استنتاجات .**
- **سنّ الدخول إلى الكتّاب .**
- **أدوات الكتابة .**
- **الكتب الدراسيّة :**

أ ـ قناطر الخيرات للجيطالي .

ب ـ كتاب الجامع الصحيح .

ج ـ كتاب طبقات المشائخ للدرجيني .

◆ **استنتاجات .**

◆ **الموارد الماليّة :**

أ ـ موارد التعليم في التربية الإسلاميّة .

ب ـ موارد التعليم الإباضي في مرحلتي الكتمان والظهور .

١ ـ جمع التبرعات .

٢ ـ العطايا .

٣ ـ معونة إباضيّة المشرق .

ج ـ موارد العزابة :

١ ـ الموارد الثابتة .

٢ ـ الموارد غير الثابتة .

◆ **استنتاجات .**

اهتمّت التربية الإسلاميّة بإعداد المعلّم ، فهو العبّارة التي يعبر عليها التلميذ إلى الاقتداء بالنموذج الإسلامي المتمثّل بالنبي ﷺ ، وخطورة دور المعلّم أنّه " مستمر مع الصبيان طيلة مرحلة التعليم ، والتي قد تمتدّ بضع سنين ، ممّا يكسب الصبيان عادات ومواقف وصوراً من السلوك ، إمّا تقليداً للمعلّم أو نتيجة ممارسات يأمرهم بها [١] ".

ـ شروط المعلّم :

أدركت التربية الإسلاميّة دور المعلّم في التنشئة ، ولخطورة دوره في التربية ، اشترط على المعلّم " أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، فمعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالاجلال [٢] ".

وقد أوضح أبو إسحاق الجنبياني (ت ٣٦٩هـ /٩٧٩م)، أحد التربويين الذين زاولوا التدريس في القيروان ، أهمّيّة دور المعلّم في التربية حين قال " لا تعلّموا أولادكم إلاّ عند رجل حسن الدين ، لأنّ دين الصبي على دين معلمه [٣] ".

ووضع علماء التربية المسلمون شروطاً عامّة وخاصّة يجب أن يتّصف بها المعلّم وهي :

---

[١] ـ حجازي ، عبد الرحمن : المذهب التربوي عند ابن سحنون ، ص ٨٠ .

[٢] ـ الجندي ، علي ، وآخرون : سجع الحمام في حكم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ص ٤٢٠ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧ .

[٣] ـ اللبيدي ، أبو القاسم : مناقب أبي اسحاق الجنبياني ، ص ٢٥ ، تحقيق الهادي إدريس ، تونس ، دار الكتب الشرقية ١٩٥٩ .

أ ـ الشروط العامّة :

تتمثّل الشروط العامّة التي يجب أن يتّصف بها المعلّم، في تحصيل مستوى معيّن من الثقافة ، في :

١ ـ أن يكون "حافظاً للكتاب العزيز ، حسن الخطّ يدري الحساب [(١)] ".

٢ ـ أن يجتهد في إتقان القرآن و " تفسيره ، وسائر علومه [(٢)] ".

٣ ـ أن يكون عالماً بالفقه " يميّز الحلال من الحرام ، ويفرّق بين الطهارة والنجاسة ، ويعرف تفسير الأحلام ، وربما عرف شيئاً من أحكام الطلاق وفتاوى الحلّ منه [(٣)] ". ليتمكّن من تعليم الصبيان الصلاة وأحكامها ، والطهارة وشروطها ، وسنن النبي ﷺ .

٤ ـ أن يكون عالماً باللغة العربيّة " يحفظ من كلّ فن مختصراً ، يجمع فيه بين طرفيه من الحديث وعلومه ، والأصول والنحو والتصريف [(٤)] ". ليعلّم الصبيان أصول الكتابة بقواعدها النحوية ، والتركيب السليم للجملة .

٥ ـ الاطّلاع على التراث والنصوص الأدبيّة الرائعة التي تعين الصبيان على إتقان الخطابة ، وأن يأخذ المعلّم بالنصيحة التالية " خذ من كلّ علم بحظّ وافر ، فإنّك إن لم تفعل جهلت ، وإن جهلت شيئاً من العلم عاديته [(٥)] ".

٦ ـ أن يكون عارفاً بطرائق التدريس السائدة في عصره ، قال ابن عبدون (ت ٣٠٨هـ / ٩٢٠م) " والتعليم صناعة تحتاج إلى معرفة ودراية فإنّه

---

(١) ـ ابن الأخوة ، محمد بن محمد : معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص ٢٦٠ .

(٢) ـ ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص ١١٣ .

(٣) ـ عبد الجواد ، محمد : في كتّاب القرية ، ص ٨١ ، القاهرة ، مطبعة المعارف ١٩٣٩م .

(٤) ـ ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص ١١٣ .

(٥) ـ ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف النمري القرطبي : جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله ، ص ١٧٣ ، تقديم عبد الكريم الخطيب ، راجعه وصحّحه عبد الرحمن حسن ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج إلى سياسة ولطف وتأنيس حتّى يرتاض ويقبل التعليم [1] ".

ويعلّق أحمد شلبي على هذه الناحية بقوله " من مفاخر المسلمين أنّهم أدركوا أنّ العلم وحده لا يكفي ليكون سلاح المعلّم ، وعرفوا أن لا بدّ أن يضاف إلى المعلّم فن التربية ليتمكّن المدرّس من دراسة نفسيّة الطفل ، والنزول إلى مستواه ، والاتصال العاطفي به ، ليكون جسراً يوصل المعلّم من خلاله العلم إلى عقل التلميذ [2] ".

ب ـ الشروط الخاصّة :

وأمّا الشروط الخاصّة التي يجب أن يتّصف بها المعلّم فتتمثّل في :

١ ـ أن يكون المعلّم " طاهر القلب واللسان ، وأن يكون نظيفاً عن الغيبة ، وعدلاً في الدين ، وناصحاً في جميع الأمور ، وملائماً في العيش ، وشريفاً في النسب ، وكبيراً في السن [3] ".

٢ ـ أن يعامل الطلبة برفق، فيجري " المتعلّم منه مجرى بنيه [4] ". ويكون ذلك بأن " يداعبه ويكرّمه ويعزّزه إلى يوم كان مؤنساً معه ، لأنّ المبتدئ كالطير الوحشي لا يأنس إلاّ بالتلطّف، فإنّ العلم أشقّ عليه وأمرّ، فيجب إصلاحه على ما يقتضيه ... ولا يتعبه حتّى لا يسمع كلامه، ولا يعمل بأمره [5] ".

---

[1] ـ ابن عبدون : المجلة الآسيوية ، ص ٢٥١ ، ١٩٣٤، اقتبسه أحمد شلبي في تاريخ التربية الإسلاميّة ، ص ١٧٤، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٩٦٠ .

[2] ـ شلبي ، أحمد : تاريخ التربية الإسلاميّة ، ص ١٧٤ .

[3] ـ الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد : كتاب منهاج المتعلّم ، ص٧٣ ، التراث التربوي في خمس مخطوطات، جمعها وحقّقها وقدم لها هشام نشّابه ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٨ .

[4] ـ القابسي : الرسالة المفضلة لأحوال المتعلّمين ، ص ٥٤ .

[5] ـ الغزالي : كتاب منهاج المتعلّم ، ص ٧٤ .

٣ ـ أن يحرص على المساواة في تعليم الطلبة ، فيعدل بينهم ، " ولا يفضّل فيه بعضهم على بعض ، ولو تفاضلوا في الجعل [١] ". فيكون الطلبة عنده بمنزلة واحدة ، بحيث يكون الفقير والغني سواء في التربية والتعليم .

٤ ـ أن يكون المعلّم لمّاحا ، يعرف طاقة طلاّبه ، ويعرف بفراسته طاقة وإمكانيّة كلّ طالب من طلاّبه ، والمعلّم عندما يتوسّم طلاّبه بهذه الصفة " وكان بقدر استحقاقهم خبيراً ، لم يضع له عناء ، ولم يخب على يديه صاحب ، وإن لم يتوسّمهم ، وخفيت عليه أحوالهم ، ومبلغ استحقاقهم ، كانوا وإيّاه في عناء مكدّ وتعب غير مجد ، لأنّه لا يصدم أن يكون فيهم ذكي محتاج إلى الزيادة ، وبليد يكتفي بالقليل فيضجر الذكي ، ويعجز البليد [٢] ".

ويطلب من المعلّم إذا توسّم ذكاء طالب من طلاّبه " أن يكون عليه مقبلاً ، وعلى تعليمه متوافراً ، ولا يخفي عليه مكنوناً ، ولا يطوي عليه مخزوناً ، وإن كان بليداً ، بعيد الفطنة ، فينبغي ألاّ يمنع من اليسير فيحرم ، ولا يحمل عليه بالكثير فيظلم ، ولا يجعل بلادته ذريعة لحرمانه [٣] ".

٥ ـ أن يكون متزوّجاً ، ولا يفضّل المعلّم العازب " إلاّ أن يكون شيخاً كبيراً ، وقد اشتهر بالدين والخير ، ومع ذلك لا يؤذن للتعليم إلاّ بتزكية مرضية ، وثبوت أهليّته لذلك [٤] ".

ويبيّن علم النفس التربوي أنّ الزواج له أثره على اتزان المعلّم النفسي وأنّ " المتعلّمين المتزوّجين يبدون تكيّفاً أفضل من غير المتزوّجين ، فلا جدال في أنّ الحالة الزواجيّة تسهم عادة فيما نلاحظه من اختلاف المشاعر ، بين الاحساس

---

[١] ـ ابن سحنون ، محمد : كتاب آداب المعلّمين والمتعلّمين ، ص ٤٦ .

[٢] ـ الماوردي، أبو الحسن البصري : أدب الدينا والدين، ص ٦٥، القاهرة، المطبعة الأميريّة، ط ١٧ ، ١٩٢٨م .

[٣] ـ الماوردي : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

[٤] ـ ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ٢٦٠ .

بالتوتّرات الداخليّة ، وبين الاحساس بالاطمئنان والهدوء ، وبين الشعور بالإشباع ، وبين الشعور بالإحباط [1] ".

٦ ـ لا يجوز للمعلّم أن يستخدم طلاّبه في منافعه الخاصّة ، وذلك بأن " يرسل الصبيان في حوائجه [2] "، ولا يحلّ له " أن يأمر أحداً أن يعلم أحداً منهم إلاّ أن يكون في ذلك منفعة للصبي في تخريجه ، أو بإذن والده في ذلك ، وليلِ هو ذلك بنفسه، أو يستأجر من يعينه إذا كان مثل كفايته [3] ". وأن لا يرسل " بعضهم في طلب بعض ... إلاّ أن يأذن له آباؤهم أو أولياء الصبيان في ذلك ، أو تكون المواضع ـ التي يسكنها الصبيان ـ قريبة [4] ".

وحرصت التربية الإسلاميّة في الشروط التي أوجبتها في المعلّم أن يكون " فوق الشبهات لأنّ تلاميذه سيتّخذونه مثلاً يحتذونه . كثيراً ما سمع الآباء هذا الاعتذار من أطفالهم ، طيب ماله ! فإنّ معلّمنا يفعل ذلك على كلّ حال ... إنّ المعلّم يسمح لنا بعمل ذلك ... إنّه لا جدوى من أن ينصّب المعلّم نفسه داعياً إلى الحياة المثلى ، إذا لم يكن هو نفسه قدوة ومثالاً [5] ".

ـ الشروط التي يجب أن يتّصف بها المعلّم الإباضي :

يقتضي المفهوم التربوي الإباضي أن يكون المعلّم الإباضي داعية ، يرّغب الطلب بالمذهب ، ويبيّن ريادة المذهب الإباضي ، وإذا كان المعلّم في التربية الإسلاميّة يسعى إلى إعداد الطلبة للحياة الدنيا والفوز في الحياة الآخرة ، فعلى المعلّم الإباضي أن يغرس في نفوس طلاّبه أنّهم أهل الحقّ بين مسلمين مخالفين .

---

[1] ـ حسن ، محمود : الأسرة ومشكلاتها ، ص ٣٩٨ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٧ .

[2] ـ ابن سحنون : آداب المعلّمين والمتعلّمين ، ص ١١٢ .

[3] ـ ابن سحنون : المصدر الساق ، ص ١٠٩ .

[4] ـ ابن سحنون : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

[5] ـ دنهل، جيمس : إدارة الصفوف المدرسيّة، ص ٩، ترجمة عبد الرحيم الأمين، بيروت، دار العلم للملايين ، د. ت .

وأدّى هذا المفهوم التربوي إلى ضرورة تقيّد المعلّم بالوظائف التي اشترطتها التربية الإباضيّة ، والتي لا تختلف عن الشروط العامّة في التربية الإسلاميّة ، لكنّها تفصّل هذه الشروط التي جعلها الجيطالي في عشر وظائف هي :

ـ **الوظيفة الأولى** : أن يكون المعلّم عاملاً بعلمه أولاً ، لئلا يكون كما قال تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ[1] ﴾ لأنه إذا خالف فعل العالم قوله سقطت حكمته ، وامتنع الناس عن قبولها ، ومثال المعلّم المرشد من المتعلّم المسترشد مثل العود من الظلّ ، ومثل القلب من الجوارح ، فكيف يستوي الظلّ والعود أعوج ، وكيف تستقيم الجوارح والقلب معوج .

ـ **الوظيفة الثانية** : الشفقة على المتعلّمين منه ، أن يجريهم مجرى بنيه في التعهّد لأحوالهم .

ـ **الوظيفة الثالثة** : أن يقصد العالم بتعليمه وجه الله تعالى ، ويقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه في أن يطلب ثواب الله في تعليم من علّم، وإرشاد من أرشد، ولا يطلب بذلك في الدنيا عوضا ولا أجرا .

ـ **الوظيفة الرابعة** : النصيحة للمتعلّمين والرفق بهم ، وتسهيل السبيل عليهم وبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم ، فإنّ ذلك أعظم لأجرهم وأسنى لذكرهم ، وأنشر لعلومهم وأرسخ لمعلوماتهم .

ـ **الوظيفة الخامسة** : ينبغي للعالم أن تكون له فراسة يتوسّم بها أحوال تلامذته ، وغيرهم من المتعلّمين من الناس ، فيعطي كلّ واحد منهم مبلغ طاقته ، وقدر استحقاقه ، فيعطيه ما لا يجهله بذكائه ، ولا يضعف عن بلادته .

---

[1] ـ سورة البقرة ، الآية ٤٤ .

- **الوظيفة السادسة** : ينبغي ألاّ يعنّف متعلّماً ، ولا يحقّر ناشئاً ، ولا يستصغر مبتدئاً ، فإنّ ذلك أدعى إليه ، وأعطف للمسترشدين إليه ، وأحثّ على رغبتهم في ما لديه .

- **الوظيفة السابعة** : أن لا يبخل بتعليم ما يحسن ، ولا يمنع من إفادة ما يعلم ، فإنّ البخل به لوم وظلم ، والمنع منه حسد وإثم ، فكيف يساغ له البخل بما منحه جوداً من غير بخل ، أم كيف يجوز له الشحّ بما إن بذله زاد ، وإن كتمه تناقص ووهى .

- **الوظيفة الثامنة** : ينبغي إذا سأله السائل متعلّماً أن يجيبه ، وإن عاوده مستفهماً أن يفيده ولا يضجر ، لأنّه ربّما لم يفهم عنه الجواب في أوّل إجابته ، وإن بان له أنّه يسأله متعنّتاً أو عابثاً ، أو طالب رخصة متأوّلاً ، صمت عنه و لم يجبه .

- **الوظيفة التاسعة** : يبغي أن يكون أوسع الناس صدراً وأكثرهم صبراً ، وأجملهم لقاء وأحسنهم أخلاقاً ؛ لأنّ المتعلّمين منه يحذون خلائقه ، ويّتخذون طريقه ، فينبغي أن يكون لهم إلى أسنى الأفعال منهاجاً ومن غيّ الضلال سراجاً ، فلا يمنع طالباً ، ولا يؤيس راغباً ، ولا ينفرّ متعلّماً في ذلك من قطع الرغبة منه ، والزهد في ما لديه .

- **الوظيفة العاشرة** : إذا سئل فلا يعجل بالجواب ، وإن كان له حافظاً حتّى يتفكّر فيه ، ويعرفه معرفة صحيحه فيجيب بعلم ويقين [1] .

ويضيف محمد علي دبوز إلى هذه الوظائف وظيفتين هما :

١ ـ أن يكون إباضياً ، فالعزابة لا يعيّنون للتعليم في مدارسهم وإدارتها إلاّ واحداً منهم حفّاظة للقرآن مثقّف العقل ورعاً حازماً عالماً بالتربية .

---

[1] ـ أنظر ، الجيطالي : قناطر الخيرات ، ج ١ ، ص ١٥١ ـ ١٨٠ .

٢ ـ يقوم المعلّم بعمله دون مقابل ، فليس له أيّ أجر ولا يجوز أخذ أيّ أجرة من إنسان لأنّ " التربية الدينيّة والتعليم الديني أعظم عبادة ، والمعلّم الإباضي يأنف أن يأخذ على التعليم أجراً ينقص من أجره عند ا لله [(١)] .

ويبدو أنّ المعلّم الإباضي ، وهو معلّم يسعى إلى سيطرة الفكر الإباضي في البيئة الإسلاميّة ، مفكّر وصانع قرار على الدوام يتكيّف مع البيئة ، ويسعى على الدوام إلى جعل التلاميذ يتعلّقون به ، ويدورون في فلكه .

ويسعى المعلّم الإباضي ، وكلّ معلّم مذهبي مغاير لأهل السنّة والجماعة إلى أن يكون قدوة يحتذى ، ويجعل من العمليّة التربوية وسيلة لتحقيق أهداف مذهبه ، لذلك فهو يدرس أوضاع تلاميذه دراسة وافية ، ويضع الخطط التربويّة المسايرة لتلك الأوضاع ، وهذا هو المفهوم النموذجي للمعلّم في التربية ، الذي يرى أنّ المعلّم هو :

- **أوّلاً** : مفكّر وصانع قرار ، فالمعلّمون النموذجيّون يصرفون الكثير من الوقت يفكّرون في التخطيط للتدريس والتعليم ، وكلّما استعدّ المعلّم للتعليم بشكل أفضل ، جرت عمليّة التدريس الفعلية بسلاسة أكثر وبفعالية أعلى .

- **ثانيا** : يعتمد على قاعدة وافرة من المعرفة، فهو بالفعل يعرف موضوعه الذي يعلّمه .

- **ثالثاً** : يعتبر نموذجاً ووسيطاً ، فبوصفه نموذجاً ، يوضح المعلّم في كثير من الحالات عمليّة التفكير من خلال التفكير بصوت عالٍ، والطلب إلى الطلبة أن يفكّروا بصوت عالٍ، في أمور مثل توضيح أسباب اختيار معلومات مهمّة، أو حلّ مشكلة ، وبوصفه وسيطاً يتدخّل بين المتعلّم والبيئة التعليميّة [(٢)] .

[(١)] ـ أنظر ، دبوز ، محمد علي : اعلام الإصلاح في الجزائر ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

[(٢)] ـ أنظر ، جونز ، بيه فلاوي . وآخرون : التعليم والتعلّم، الإستراتيجيات ، التدريس المعرفي في مجالات المحتوى ، ص ٤٦، ترجمة عمر حسن الشيخ ، عمان ، منشورات معهد التربية ، الأونروا ، الأونيسكو ١٩٨٨ .

- استنتاجات :

يتّضح من خلال وظائف المعلّم في مدارس العزابة ، أنّه يطلب من المعلّم أن يطبّق على نفسه ما يدعو إليه أوّلاً ، ثمّ يدعو التلاميذ إلى الاقتداء به في التطبيق .

وما أحوجنا في هذه الأيام أن يكون المعلّم مسلماً في سلوكه حتّى يقتدي به الطلاّب ، وأن يعرف حقيقة دوره الرسالي في تنشئة جيل معتصم بعقيدته لا يسترسل - أثناء السلم - بالنعيم ، ولا يخلد إلى الراحة " فيفقد قوّته وبأسه وقدرته على الجهاد ، أو يفقد روح الجهاد ، ولا يستسلم - أثناء الحرب - للغضب والأحقاد والوحشيّة فيصبح همّه القتل والتعذيب ناسياً أهدافه السامية ، التي يجاهد من أجلها ، وإنسانيّته ، فاقداً كلّ رحمة أو رغبة في هداية الآخرين وإنقاذهم من العبوديّة لغير الله [1] ".

- شروط طلبة العلم :

يحرص النظام التربوي الإباضي على أن يكون الطالب نخبويّاً حتّى يحمل أعباء الدعوة، ويتابع نشر المذهب الإباضي عندما يستوفي علومه .

وإذا كان الفكر التربوي الإسلامي قد جعل العلم فريضة إسلاميّة إمتثالاً لقوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [2] ﴾ إلاّ أنّ الفكر التربوي الإباضي وإن حرص على تعليم أتباعه، لكنّه اشترط لمتابعة التحصيل العلمي عشرة شروط لخّصها الجيطالي بما يلي :

- **الأوّل** : العقل الذي به يدرك حقائق الأمور لأنّ معاني الأشياء ، التي يتوصّل إليها مستودعة في كلام مترجم عنها ، وكلّ كلام مستعمل فيه فهو يجمع لفظاً مسموعاً، ومعنى مفهوماً ، فاللفظ كلام يعقل بالسمع ، والمعنى تحت اللفظ يفهم بالعقل .

---

[1] - نحلاوي ، عبد الرحمن : التربية الإسلاميّة ، والمشكلات المعاصرة ، ص ١٨١ ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الرياض ، مكتبة أسامة ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

[2] - سورة العلق ، الآية ١ - ٥ .

- **الثاني** : الفطنة التي يتصوّر بها غوامض العلوم ، ولذلك قال بعض الحكماء : العلوم مطالعها من ثلاثة أوجه : عقل مفكّر ، ولسان معبّر ، وبيان مصوّر . فإذا عقل الكلام بسمعه فهم معانيه بقلبه ، وإذا فهم المعاني سقطت عنه كلفة استخراجها ، وبقي عليه معاناة حفظها واستقرارها ؛ لأنّ المعاني شوارد تضلّ بالاغفال ، والعلوم وحشيّة تفرّ بالإرسال .

- **الثالث** : الذكاء الذي به يستقرّ حفظ ما تصوّره ، وفهم ما علّمه ، فإذا حفظ علمه بعد الفهم استقرّ وأنس ، وإذا ذاكر به بعد القرار رسا وثبت .

- **الرابع** : الشهوة التي يدوم بها الطلب ، ولا يسرع إليه الملل ؛ لأنّ من صدقت شهوته في العلم ، وبعدت همّته في الطلب ، لا بدّ أن يشعر قلبه بقوّة شهوته ، ويشعر جسده احتمال التعب لبعد همّته .

- **الخامس** : الاكتفاء بمادّة تغنيه عن كلفة الطلب ، ولذلك قيل : لا يصحّ العلم لطالبه إلاّ بوجود أربعة : الكتب الصحاح ، وسعة المؤنة ، وذهن حاضر ، وعالم نقّاد بصير بفنون العلم ، ويقال من اهتم ببصلة لم ينتفع بمسألة .

- **السادس** : الفراغ من العلائق، لأنّ به يكون التوفّر في الطلب ، ويحصل به الاستكثار من العلم، ولذلك قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتّى تعطيه كلّك .

- **السابع** : عدم القواطع المذهلة من هموم وأشغال وأمراض .

- **الثامن** : طول العمر واتساع المدّة ، لينتهي بالاستكثار إلى الكمال ، وقال الاسكندر : يحتاج طالب العلم إلى أربع : مدّة ، وجدة ، وقريحة ، وشهوة ، وتمامها في الخامس معلّم ناصح .

ـ **التاسع** : الظفر بعالم سمح بعلمه ، متأنّ في تعليمه ، صادق في كلّ كلامه ، بصير بفنون العلم ، ناصح للمتعلّم ، ولذلك قيل عن أبي عبيدة أنّه قال : لا يؤخذ العلم من أربعة : رجل كذّاب ، وإن كان يصدق في فتواه ، ورجل مبتدع في الدين ، ورجل سفيه مشهور السفه ، ورجل لا يفرز مذهبه من مذهب غيره .

ـ **العاشر** : تقوى الله ﷻ وهو رأس كلّ بر ، وبه ينال المتعلّم مقصوده من الخير في الدنيا والآخرة ، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ [1] ﴾ [2] .

ـ أقسام الطلبة :

يوزّع الطلبة في مدارس العزابة، حسب نموّهم الزمني والعقلي ، إلى أربعة أصناف هي :

أ ـ طلبة تعليم القرآن .

ب ـ طلبة العلوم .

ج ـ طلبة الكتب .

د ـ العجزة .

وإذا كانت المدرسة الحديثة تطبّق ، في معظمها ، توزيع الطلاّب وفق العمر الزمني ؛ إلاّ أنّها لم تتمكّن إلى الآن من وضع الأسس التي توزّع الطلاّب وفق العمر العقلي .

ويسمح توزيع الطلاّب وفق العمر العقلي لإدارة المدرسة وضع المناهج التي تتناسب مع العمر العقلي للطلاّب .

---

[1] ـ سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

[2] ـ أنظر ، الجيطالي : قناطر الخيرات ، ج ١ ، ص ١٤٦ ـ ١٤٩ .

أ - طلبة تعليم القرآن :

هؤلاء هم صغار الطلبة، ويتعلّمون المواد التالية :

١ - القراءة والكتابة .

٢ - رسم القرآن ، وتحفيظ القرآن .

٣ - عقيدة التوحيد وما تيسّر من الأحاديث النبويّة الشريفة، وما يتّصل بالصلاة [١] .

٤ - شيئاً من علم الحساب .

٥ - الخطّ [٢] .

ولا ينتقل طالب هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى " إلاّ بعد التأكّد من حفظه للقرآن الكريم واستظهاره بإشراف عريف القرآن ، ثمّ يخبر مجلس العزابة بذلك، فيجري إمام المسجد اختبار التلميذ ، وإذا تأكّد من أنّ التلميذ استظهر القرآن غيباً ، فإنّ شيخ العزابة يسمح بترقيته إلى المرحلة الأعلى ، ويقيم أهله وليمة كبيرة يحضرها أعضاء العزابة والتلاميذ ، ويجدر بالذكر أنّ مثل هذه العادة كانت موجودة في الكتاتيب عند أتباع المذاهب الأخرى [٣] ".

١ - سير اليوم الدراسي :

أ - يستيقظ طلبة تعليم القرآن مع بقيّة الطلبة في الوقت المحدّد لاستيقاظ الطلبة .

ب - يبدأون درسهم بعد صلاة الفجر كبقيّة تلاميذ العزابة .

ج - يملي عليهم العريف ويصحّح ألواحهم ، ويأخذهم بالحفظ على ظهر قلب، ويتراوح عدد الطلاّب : أكثرهم عشرة طلاّب وأقلهم اثنين .

---

[١] - أنظر ، دبوز ، محمد علي : اعلام الإصلاح في الجزائر ، ج ١ ، ٢٥٨ .

[٢] - أنظر ، خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٥ و ٩٦٩ .

[٣] - خليفات : المصدر السابق ، ص ٩٦٥ .

د ـ يتأهّبون للكتابة وقت الضحى ، ولكلّ جماعة نقيب من أنفسهم يحفّز على أصحابه ويجمعهم ، ويستدعي العريف ، فإذا حضر استأذنه ميامنة في حفظ ما كتب أمس .

هـ ـ يحفظون على اليمين ، فإن حفظوا كلّهم استأذنوه في الاستملاء وأملى عليهم .

و ـ يقرأون ألواحهم بين الظهر والعصر حتماً ، وبعد العصر استحباباً ، ويستندون بألواحهم إلى الأساطين ، ويقابلونها غير مستندين ، وقد أبيح لهم الاستناد في غير هذين الوقتين إن شاءوا ، والأفضل ترك الاسناد [1] .

وإذا كان طالب القرآن الكريم يتمتّع بكثير من الحقوق " لكنّه لا يعتبر تلميذاً رسميّاً ، إلاّ بعد أن يستظهر القرآن الكريم ، ولذلك لا يطالب بالزيّ الرسمي الموحد للطلاّب ، ولا يحقّ له الاستفادة من خصائص الطلبة، وإنّما توفّر له المدرسة المأوى والأكل وأوقات الدراسة [2] ".

ب ـ طلبة العلوم :

يشترط في كلّ طالب من طلاّب هذه المرحلة الذين عرفوا بطلبة العلوم أن يتّصف بالصفات التالية :

أ ـ " أن يكون قد مرّ بالمرحلة السابقة ، وحفظ القرآن غيباً [3] ".

ب ـ أن تكون سيرة الطالب " حسنه وسلوكه جيّداً ، وسمعته طيّبة بين المعلّمين وزملائه من التلاميذ [4] ".

---

[1] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

[2] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في ليبيا ، ص ١٤٥ .

[3] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٦٥ .

[4] ـ خليفات : المرجع السابق ، ص ٩٦٥ .

ج ـ أن يكون " محافظاً على دين الله ، معمّراً للمسجد ، ملتزماً يلبس الزيّ الرسمي الموحّد للطلاّب [1] ".

ويدرس هؤلاء الطلبة في دار العلم ، وهي بناء إلى جانب المسجد ، وتسمّى في ميزاب " دار التلاميذ ، يشرف عليها العزابة ، فيعيّنون لها مديراً حازماً من العلماء ، ومدرّسين مخلصين ، يعملون لله في كلّ سرور بدون أجرة ، وتدرّس في دار العلم العلوم الشرعيّة في الفقه وأصول الفقه ، والتوحيد ، والتفسير ، والحديث ، والميراث والعلوم العربيّة ، النحو والصرف والبلاغة والعروض ، وبعض العلوم العقليّة كالمنطق والحساب ، والحساب يعتنون به كلّ الاعتناء في الميراث [2] ".

ويشترك هؤلاء الطلبة مع طلبة الكتب في البحث " والمذاكرة والمناظرة، ما لم تفضِ إلى توغير الصدور ، ويكون هذا دأبهم ، ولا بدّ أن يكون لهم وقت معتاد يكون فيه كميعاد لحضور على الأساتيذ [3] ".

وتتمّ طريقة المناقشة إذا حضر الشيخ الأستاذ على النحو التالي :

١ ـ يتداولون وضع السؤال ويشرعون بالسؤال ميامنة .

٢ ـ أن يسأل أفصحهم لساناً وأكثرهم بياناً ، أو أن يسأل أشدّهم احتياجاً للشرح في ضرورة دعت، أو لنازلة وقعت .

٣ ـ إذا ألقي السؤال، فإن كان الجمع حفيلاً بدأ فسأل الشيخ ، ثمّ من على يمين السائل يعيده إلى الشيخ طلباً للتخفيف والاختصار .

---

[1] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في ليبيا ، ص ١٤٥ .

[2] ـ دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

[3] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

وإن كان الجمع دون احتفال بينهم ، فإنّه يدير السؤال أو يحيل كلّ سائل على ميامنة حتّى يدور السؤال إلى الشيخ .

٤ ـ إن علم الشيخ أنّ في الجمع أكفأ منه في تلك المسألة أذن له في الكلام فيها ، وإلاّ تكلّم بما عنده . وللسائل أن ينبّهه إذا غفل ، ويذكّره إذا نسي، ويفتح له إن ارتجّ عليه ، ويعترض إن احتاج إلى زيادة إيضاح، أو علم من الحاضرين إرادة استزادة [١] .

٥ ـ يحظّر على الطلاّب إذا حضر ضيوف طرح ما "استشنع من المسائل الشواذّ ، التي تضلّ الغبي ، أو تجعله ينسب الرشد إلى الغي [٢] ".

ج ـ طلبة الكتب :

يسمّى طلبة العلوم الأذكياء ، الذين حصلوا على درجة متفوّقة ، أصحاب الكتب .

وهؤلاء الطلاّب وإن كانوا يشتركون مع طلبة العلوم في الدرس والمناقشة ، إلاّ أنّ لهذه المجموعة من الطلبة إمتيازات لا تعطى لغيرهم منها :

- صالة خاصّة بهم تعتبر نادياً لهم لا يجوز لغيرهم أن يدخلها .
- مكتبة خاصّة بهم .
- ندوات تعقد في صالتهم .
- دروس خاصّة يلقيها عليهم ـ الشيخ ـ أو بعض العزابة .
- يستقبلون بعض الشخصيّات ليستفيدوا منها ، ولا يحقّ لغيرهم حضورها [٣] .

وهذه الاستثناءات بطبيعة الحال لا تتناول العزابة لأنّ العزابة قبل أن يكونوا عزابة كانوا تلاميذ ، ومرّوا بجميع هذه المراحل ، ثمّ هم من الناحية الأدبيّة يعتبرون

---

[١] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

[٢] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

[٣] ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في ليبيا ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

مشرفين على الجميع . وهؤلاء الطلاّب في دراستهم العلميّة ينقسمون إلى فرق حسب مستوياتهم ، وللشيخ أن يعيّن مدرسين لبعض هذه الفرق [1] .

د ـ العجزة :

يتكوّن طلاّب هذا القسم من الطلاّب الذين فاتتهم مراحل الدراسة ، فلم يستطيعوا أن يسايروها ، إمّا بعدم حفظ القرآن الكريم ، أو عدم التمكّن من المواظبة، أو غير ذلك من الأسباب [2] .

ويطلق على هؤلاء الطلبة العجزة أو القاصرين، وهم ثلاثة أنواع :

أ ـ قسم فاتته مراحل الدراسة .

ب ـ قسم ابتلي بالعجز عن كسب التعليم " منهم الطرش والعميان [3] ".

ج ـ قسم ابتلي بالعجز العقلي وهم "الزمنى، والهارمون، وذوو الأفهام القاصرة [4] ".

ويسمح لهؤلاء الطلبة "بالاستماع للدرس والمحاضرات كيف شاءوا لعلّهم يستفيدون من العلم ما ينير لهم طريقهم، ويحفظ لهم دينهم ومذهبهم [5] ".

وسبب قبول هؤلاء الطلاّب في مدارس العزابة هو أنّ " الزمنى والعميان فقد نطق بعذرهم القرآن ، وأمّا قاصرو الفهوم فمنهم القانط التارك للعلوم ، ومنهم من الأياس عنده معدوم [6] ".

ويقوم هؤلاء الطلبة بخدمة مدارس العزابة ، وما تحتاج إليه مدارس العزابة من خدمات مثل :

---

[1] ـ أنظر ، البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص ٢١٥ .

[2] ـ أنظر ، معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في ليبيا ، ص ١٤٦ .

[3] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

[4] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

[5] ـ البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص ٢١٥ .

[6] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

١ ـ "حراسة الأموال وحفظ الطرقات من اللصوص ، والقيام بما يطلبه منهم شيخ العزابة وأعضاء مجلس العزابة والعرفاء [١] ".

٢ ـ " أن تكون خدمة الطعام من هؤلاء ، الذين لم يفتح ا لله عليهم ولا شرح للعلم صدورهم لينفعهم بخدمة أهل الخير ويوفّيهم أجورهم[٢]".

٣ ـ يجازوا على خدماتهم فإن "جهدوا أنفسهم وزادوا ظفروا ببعض ما أرادوا [٣]".

ويصف الدرجيني بعض حالات هؤلاء عندما التحق بعزابة وارجلان في ربيع الآخر من سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) وأقام فيها سنتين وشهرين فيقول "فمنهم رجل يسمّى أبو دوناس من بعض قرّاء نفزاوة سبقني إلى الحلقة بأعوام والغالب على ظنّي أنّي وجدت لوحه في سورة الفيل ومات سنة سبع عشرة و لم يستكمل سورة أخرى، و لم يدع من قدرته شيئاً .

وهل سمعتم بأبي يزمر المصعبي ؟ كنت أسمع به قبل دخولي وارجلان وفي لوحه ﴿ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰٓ[٤]﴾ يكرّرها أياماً كثيرة حينئذ ترسخ في صدره آية أو لا ترسخ فيعيدها، وأقمت بوارجلان حرسها ا لله حولين كاملين وشهرين ثمّ انفصلت وتركت لوحه في ﴿ وَالضُّحَىٰ وَالَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ[٥]﴾ وهو في أثناء ذلك لم يألُ جهداً، وقد سبقني إلى الحلقة بستّة أعوام أو بثمانية أعوام لشكّ منّي .

وهل سمعت بسلمان بن حريز ، لم يزل يكرّر ويعيد سورة الأنبياء طول إقامتي بوارجلان، وخرجت وتركت لوحه فيها، وبلغني أنه لم يزل كذلك يكرّرها منذ ثمان وعشرين سنة قبل ذلك [٦] ".

---

[١] ـ البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص ٢١٥ .
[٢] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٨١ .
[٣] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٨٠ .
[٤] ـ سورة العلق ، الآية ١٢ .
[٥] ـ سورة الضحى ، الآية ١ ـ ٢ .
[٦] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

ـ استنتاجـات :

يستخلص من تقسيم الطـلاّب إلى أربعـة أصنـاف أنّ مـدارس العزابـة لا تحصـر جهودها بالتعليم ، بل بإعداد القادة أيضاً ، فالطالب في مدارس العزابة إذا " كـان ذا فهـم وقلـب ذكـي، ومـن أعطـاه الله القـدرة على تحصيـل هـذا وهـذا فلا بـأس فـي الازديـاد من الخير [1] ".

وهذا يعني أنّ النظام التربوي يسمح لهذا الطالب بالانتقال من مرحلة إلى مرحلـة أخرى ، ولا يبقى أسير نظام تربوي يقضـي على مواهبـه ويحـدّ مـن اندفاعـه ، فـالطلاّب يختلفون فيما بينهم من حيث المشاعر والاتجاهات ، كما أنّهم يختلفـون مـن حيـث سـرعة النموّ " ووجود الفروق الفرديّة بين الناس أمر طبعي ، ودور التربية تنميـة تلـك الفـوارق ، لا العمل على زوالها ، ولا يجوز أن نطبع الجميع بطابع واحد ، بل إنّ واجبنا إفساح المجـال كـي يصـل كلّ تلميـذ إلـى أقصـى حـدود طاقتـه ، ودور التربيـة أن تبلـور هـذه الفـوارق وتدفع بها [2] ".

ويؤكّد هذا أنّ نظام التربية ليس نظاماً قائماً بذاته يعمل في فراغ ، بل هو أكـثر لنظم المجتمعيّة ديناميّة مع غيره مـن الأنظمـة المجتمعيّـة " فـالمعروف أنّ نظـام التربيـة يشـتقّ حصائصه وصفاته من المجتمع ، أيّاً كان شكله ومرحلة تطوّره ، وتبعاً لذلك تتحدّد وظائفه أهدافه ، وهو لذلك أكثر نظم المجتمع قدرة على عكس حياة أي مجتمع وظروفه حتى من سياقه التاريخي ، بل وتوقّعاته المستقبليّة [3] ".

وهنا يبرز دور الإدارة التي تلعب دوراً قياديّاً في اتخاذ قرارها بانتقال التلاميـذ إلى مرحلة أعلى ، فليست القيادة التربويّـة مقتصـرة علـى مـن يشغـل المركـز القيـادي بحكـم

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

[2] ـ عبد الله ، عبد الرحمن صالح : دور التربيـة العملية في إعداد المعلمين ، ص ٦٢ ، بـيروت ، دار الفكـر ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

[3] ـ محمد ، أحمد علي الحاج : التخطيط التربوي ، اطار لمدخل تنموي جديد ، ص ١٥ ، بيروت ، المؤسسـة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

وظيفته ، بل أنّها " قد تنبع من بين المجموعة وقد تتغيّر المواقف والمبادرات إذ قد تنتقل القيادة في المجموعة من بين يدي القائد الرسمي إلى أيدي التابعين له عن طريق ما يقدّمونه من إبداع ، وما يلعبونه من أدوار فعّالة [1] ".

ويتّضح أنّ التعليم الإباضي كغيره من نظم التعليم المذهبي ، يهدف إلى زيادة طاقة الفرد ليجد فيه شخصيّة ذات مقاومة ، قادرة على اختبار الأحداث ونماذج النسيج الثقافي ، وبالتالي يكون قادراً على القبول أو الرفض على أساس مفهومه ونظرة مذهبه للأمور من خلال وعي تربوي مذهبي يسهم في التفكير والتحليل والتصرّف . ويوفّر للفرد " قوّة شخصيّة صلبة . إنّ حياة الشخص تبدأ مع قدرته على الاتّصال بالبيئة ، وامتلاك أمر نفسه ، ومزاولة نشاطاته ، ليرتقي بنفسه بعد ذلك إلى مركز هذه البيئة ، ومن ثمّ يكتسب شخصيّته المميّزة [2] ". إنّ فرز الطلبة العجزة عن بقيّة الطلاّب ، هو أشبه بمدرسة الصمّ والبكم والعميان في العصر الحديث ، إلاّ أنّها تفتقر إلى الوسائل السمعيّة البصريّة التي تساعد على التعليم ، ويستعاض عن ذلك بأن يترك للطلبة حرّيّة الاستماع والحضور، وإذا كنّا اليوم ننادي بضرورة اندماج المعاق في المجتمع، فبهذا الأسلوب تمّ الاندماج ، وأدّى دوراً في الخدمة المجتمعيّة .

إنّ المعلّم في مدارس العزابة لم يعمد إلى استمارات لاكتشاف مواهب الطالب ، لكنّ التفاعل اليومي بين المعلّم والتلميذ يبيّن القدرة العقليّة للتلميذ .

ولقد ترك المربون المسلمون تراثاً زاخراً لا ينحصر اهتمامه في استكشاف القدرات الفريدة لاستثمارها ، وإنّما اهتمّوا بمعالجة ما يعوق نموّ هذه القدرات في الاتّجاه الصحيح ، واحترام هذه المواهب والأخذ بيدها .

---

(1) ـ قراقره ، محمد عبد القادر : نحو إدارة تربوية واعية ، ص ٣ ، بيروت ، دار الفكر العربي ١٩٩٣ .

(2) ـ كياراندا ، ميريلا : التربية الاجتماعيّة في رياض الأطفال ، ص ٣٩ ، ترجمة فوزي محمد عبد الحميد عيسى وعبد الفتاح حسن عبد الفتاح ، مراجعة كاميليا عبد الفتاح ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٩٢ .

فمن جملة أسباب هجرة العقول المبدعة من عالمنا الإسلامي ، فقدان الاحترام ، أو عدم إحلال المواهب في المراكز اللائقة بها .

إنّ نهضتنا لن تتحقّق إلاّ بالعودة إلى تراثنا التربوي لبناء نظام تربوي إسلامي معاصر ، بعد أن تيقّن الغرب أنّه لن يستطيع السيطرة على العالمين العربي والإسلامي عن طريق الحرب ، نظراً لما يحتويه الإسلام من منهج حاسم لمقاومة الاحتواء والمحافظة على التميّز وعلى استقلاليّة الذات الإسلاميّة والتضحية بكلّ شيء في سبيل حمايتها ، ولّما كان منهج الإسلام في مقاومة الغاصب وحماية الثغور والمرابطة بها والتضحية بالأرواح والأموال للقضاء على كلّ محاولة خارجيّة للسيطرة ، لجأ الغرب إلى تسخير وسائله التربويّة ومظاهر حضارته من أجل إعجاب الأمم بواقع حضارته وجذب أفكارهم نحوه حتّى كادت الشخصيّة الإسلاميّة أن تذوب .

وأدّى انبهار الشخصيّة الإسلاميّة بالغرب إلى اعتبار أهل الفن طلائع نهضة وركائز مجتمع راق ، ووجود مفاهيم زائفة تضاد القِيَم الصحيحة ، واظهار ميادين الرقص والغناء وكأنّها دور لها قدر وجلال وخطر ، كلّ هذا خدع الشباب المسلم ، وجعل المغنين وغيرهم أبطالاً وناشري مثل عليا ، لهم تاريخ يروى وذكريات ، بينما لم يحظَ بعُشر هذا علماء الأمّة الأفذاذ ولا أبطالها المجاهدون ولا نوابغها .

ـ سن الدخول إلى الكتّاب :

لم تحدّد التربية الإسلاميّة سنّاً معيّنة لدخول الكتّاب ، ويذكر ابن الحاج العبدري (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) أنّ الأهل كانوا " يدخلون أولادهم المكتب في حال الصغر ، بحيث أنّهم يحتاجون إلى من يربّيهم ويسوقهم إلى المكتب ، ويردّهم إلى بيوتهم ، بل بعضهم يكون سنّه لا يقدر أن يمسك ضرورة نفسه ، بل يفعل ذلك في المكتب ويلوث ثيابه ومكانه ، فليحذر ـ أي المعلّم ـ أن يقرئ مثل هؤلاء ، إذ لا فائدة من إقرائه لهم ، إلاّ وجود التعب غالباً [١] ".

---

[١] ـ ابن الحاج العبدري : مدخل الشرع الشريف على المذاهب ، ج ٢ ، ص ٣١٥ ـ ٣١٦ .

فهو وإن لم يحدّد سنّ الدخول إلى الكتّاب لكنّه أشار إلى ضرورة نضج الصبي ، لأنّ قدرة الطفل على التعليم مشروطة بنضجه المتعلّق " بالنموّ الجسمي لأعضاء الجسم المتّصلة بالتعلّم ، ودرجة النمو العامّة في الوظائف العقليّة المختلفة [1] ".

وقد حدّد بعض علماء التربية سنّ الدخول إلى الكتّاب بالسادسة كما ذكر ابن سينا ، أنّه " إذا أتى عليه من أحواله ستّ سنين فيجب أن يقدّم إلى المؤدّب المعلّم [2] ".

ويحدّد الإمام عليّ بن أبي طالب ﵁ سنّ التعليم بالسنة السابعة " يرخى للصبي سبعاً ، ويؤدّب سبعاً ، قال الصادق أكرم صبيّك حتّى تأتي عليه ست سنين ، ثمّ أدّبه في الكتّاب ست سنين ، ثمّ ضمّه إليك سبع سنين ، فأدّبه فإن قبل وصلح وإلاّ فخلّ عنه [3] ".

ويلخّص أبو بكر بن العربي هذا الاختلاف في تحديد سنّ الدخول إلى الكتّاب بقوله " وللقوم في التعليم سيرة بديعة ، وهو أنّ الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب [4] ".

ولا يختلف سنّ الدخول إلى الكتّاب الإباضي عن الشروط العامّة للدخول إلى الكتاتيب الإسلاميّة ، فالطالب الذي لا يعقل بعد ، لا يسمح له بدخول الكتّاب ، حتّى وإن تقدّم وطلب العلم، ويروي محمد علي دبوز "وربّما تقدّم الصبي وحده ليدخل الكتّاب، وطلب من المعلّم أن يعلّمه القرآن الكريم، فوقفت على حلقته وقلت له بصوت ملهوف إلى العلم وفي إجلال كبير للمقام وشدّة حبّ له (حَمًّا لْدَيْك سَعْزمْتي إِرَبْي) يرحم ا لله

---

[1] ـ عبود ، عبد الغني ، وآخرون : فلسفة التعليم الابتدائي وتطبيقاته ، ص ١٥٢ .

[2] ـ ابن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد ا لله : كتاب القانون في الطب ، ج ١ ، ص ١٥٧ ، القاهرة ، مطبعة بولاق ١٢٩٤ هـ .

[3] ـ فياض ، عبد ا لله : تاريخ التربية عند الاماميّة وأسلافهم من الشيعة في عهدي الصادق والطوسي ، ص ١٧٥ ، بغداد ، مطبعة أسعد ١٩٧٢ .

[4] ـ ابن العربي ، أبو بكر : أحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

والديكم علّموني لله ، فاستدعاني الشيخ فربّت على كتفي ومسح رأسي ودعا لي وقال لي : أجل سنعلّمك يا بني متى كبرت واستظهرت القرآن ، فخرجت من المعهد وأنا أتمنّى أن أحفظ القرآن وأكون من تلاميذ الشيخ [1] ".

ويحدّد محمد علي دبوز أنّ الخامسة من العمر هي السنّ المطلوبة للدخول إلى الكتّاب، عندما يؤرّخ لسيرة القطب محمد بن يوسف اطفيش فيقول : " ولما بلغ القطب الخامسة أدخلته أمّه في الكتّاب ليحفظ القرآن الكريم [2] ".

أمّا السنّ المحدّدة لترك الكتّاب ، فمن المتعارف عليه أنّ الصبي يستمرّ بالمكتب حتّى سنّ البلوغ، فإذا بلغ الصبي سنّ البلوغ دون أن يحفظ القرآن الكريم ، فإنّه يترك الكتّاب ليحلّ مكانه صبي آخر ، أمّا كيفيّة معرفة سنّ البلوغ فكانت تعرف من ملامح الصبي الخارجيّة [3] . ولم يخرج نظام الكتّاب الإباضي عن هذا المفهوم حيث إنّ تلاميذ تعليم القرآن الكريم كانت تتراوح أعمارهم " من ستّ سنين إلى الثالثة عشرة [4] ".

ـ وسائل الكتابة :

كانت وسيلة الكتابة في الكتّاب هي الألواح ، والتي تكون عادة " من صفيح ، ومن ألواح الخشب المطلي بطلاء أبيض أو أصفر أو أحمر يترك في أعلاها قطع يمسك بها الأولاد ، وكان على الصبي ألاّ يستخدم المصحف في القراءة إلاّ عند استذكار الماضي المحفوظ أو تثبيته ، أو عند نقل الجزء المقرّر حفظه في اللوح ، وهو الدرس الجديد اليومي .

---

[1] ـ دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

[2] ـ دبوز ، محمد علي : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

[3] ـ أنظر ، إبراهيم ، علي سالم : نظام التربية الإسلاميّة في عصر دولة المماليك في مصر ، ص ١٩٥ ، جامعة طنطا ، كليّة التربية ١٩٨٠ .

[4] ـ دبوز ، محمد علي : اعلام الإصلاح ، ج ٢ ، ص ٨٥ .

فيكتب الولد في أحد وجهي اللوح ، الجزء الذي يريد حفظه ، نقلاً عن المصحف ، ثمّ يدع هذا جانباً ، ويستخدم اللوح في القراءة والحفظ حتّى يسمّعه آخر النهار ، فإذا جاء اليوم التالي ، وأتقن حفظه ، أدار الوجه الثاني وكتب فيه درساً أو لوحاً ثانياً ، فإذا أتمّ حفظه في اليوم الثالث ، وأراد حفظ لوح جديد ، محا الوجه الأوّل وكتب فيه لوحاً جديداً [1] ".

وكانت معظم الألواح في الكتاتيب الإباضيّة من الخشب ، يكتبون عليها بالصمغ العربي ، الذي كان يصنع من " صمغ البُطم الأسود نقليه فيزداد سواداً ، وندقّه ونغربله ، ونخلطه في الماء ونجعله في محبرة الفخّار ونجعل فيها لبقة الصوف تصفّي الصمغ فلا يلتصق بالقلم عكره ، وتمنع انهراقه ونيبّسه ، ونصنع الصمغ من كُعل الضأن نحرقه وندقّه ، ونكتب بالقصب ، وعندنا القصب الأسود يأتينا من بعيد وهو أمتن وأجود ، وكنّا نتبارى في صنع الأقلام وبريها ، ومن يملك القلم الأسود يعدّ محظوظاً ، وهناك القصب الأصفر وهو ضعيف [2] ".

وكانت الكتابة في الكتّاب على الألواح الخشبيّة ، وكان الصبيان في الكتّاب طبقات " طبقة الصغار الذين يتعلّمون الحروف الهجائيّة ، والطبقة المتوسطة الذين يكتبون ألواحهم بالإملاء ، والطبقة العليا تكتب ألواحها في المصاحف [3] ".

أمّا الطلبة الذين انتقلوا من الكتّاب إلى مراحل متقدّمة فقد كانوا يكتبون إملاءهم على الورق الذي كان يصنّع محليّاً ، والذي اشتهر بصناعته نزلاء الأربطة ، الذين كانوا يقومون بصنع " الورق والحبر وينسخون المصاحف وكتب الفقه والحديث، فالمؤلّفون يحبسون تصانيفهم بخطّ أيديهم على الأربطة لتكون منها النسخة الأمّ التي تنسخ عليها نظائر [4] ".

---

[1] ـ عبد الجواد ، محمد : في كتّاب القرية ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

[2] ـ دبوز ، محمد علي : اعلام الإصلاح ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

[3] ـ دبوز ، محمد علي : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

[4] ـ التوزري ، إبراهيم العبيدي : تاريخ التربية بتونس ، ج ١ ، ص ١٥٨ ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، د. ت .

وأمّا محو الألواح ، فكان يتمّ بالطريقة المألوفة والمتّبعة وهي غسل اللـوح بالمـاء ، فقد كان يوضع في أماكن التدريس إناء ، " وكلّ صبي يأتي بنوبته مـاء طـاهراً ، فيصبّونـه فيها فيمحون به ألواحهم [1] ".

ولتجفّف الألواح من الماء ، فإنّـه " كان علـى الأولاد أن يلوّحوها فـي الهـواء ، أو يقفوا بها في الشمس ليجفّ مدادها ، ولقد تطوّرت أدوات التجفيف فوضعت رملة أو رمادة بجانب الدواة ، لترميل الكتابة ، فبعد كتابة الورقـة يـذرّ قليـل مـن الرمـاد أو الرمـل الذي يشرب المداد الزائد [2] ".

ـ الكتب الدراسيّة :

حرصت مدارس العزابة علـى اعتمـاد الكتـب الإباضيّـة في التدريـس ، وبخاصّـة الكتب التي تتناول العقيدة والحديث النبويّ الشريف ، والتاريخ الإباضي . وأشهر الكتـب التي اعتمدت :

أ ـ في العقيدة :

كتاب قناطر الخيرات للإمام أبي طـاهر إسمـاعيل بـن موسـى الجيطـالي [*] الـذي جعله في ثلاثة أجزاء ، ويعلّل سبب تسميته بقناطر الخيرات بقوله " فلمّا كـان الأمـر علـى ما وصفنا ، كان ينبغي لنا أن نرتّب على طريق الإسلام قناطر ليسلك المسترشدون عليهـا،

---

[1] ـ ابن سحنون : آداب المعلّمين والمتعلّمين ، ص ٢٥ .

[2] ـ عبد الجواد ، محمد : في كتّاب القرية ، ص ٢٦٥ .

[*] ـ نشأ في مدينة جيطال من مدن جبل نفوسه ، وجيطال مدينة فسيحة تقع بين " أمسين " و " إنير " ، على ربوتين متقابلتين تحيط بها من جميع جهاتها غابات كثيفة من شجر التين والزيتون ، أمّا تاريخ مولده فلـم نعثر عليه و لم ينصّ عليه الشماخي في سيره الجامع لتراجم الأشياخ .

أخذ العلم عن أبي موسى عيسى بن عيسى الطرميسي (ت ٧٢٢هـ /١٣٢٢م) ، وترك العديـد مـن المؤلّفات منها قواعد الإسلام ، شرح النونيّة في ثلاثة أجزاء في أصول الدين على قصيدة الشيخ أبـي نصر فتح بن نوح التمولوشائي ، كتاب الحساب وقسم الفرائض ، وكتاب الحجّ والمناسـك وتوفّـي عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩هـ .

(أنظر ، الجعبيري ، فرحات : البعد الحضاري للعقيدة الإباضيّة ، هامش ص ١٢٣) .

ونهيّء لهم سلاحاً من العلم ليقاتلوا بـه ، وندلّهـم علـى عقاقـير مـن الصـبر ونظـام النفـس والحلم والقناعة إلى غير ذلك حتّى يتجرّعـوا مـرارة الدنيـا بـالزهد فيهـا ، ونوقـظ قلوبهـم بهيجان الخوف والحذر والإشفاق حتّى يتمكّنوا من الهروب من النار وزقّومها ، ونزعجهم بإزعاج الرجاء والشوق إلى الجنّة ونعيمها إلى غير ذلك ممّا يطول به الكتاب ، ولهذا الخطـر العظيم والخطب الهائل الجسيم شمّر الموفّقون عن ساق الجدّ ، ودعـوا بالكلّيّـة مـلاذ النفـس واغتنموا بقايا الأعمار قبل أن يزعجوا عن هذه الدار ، جعلنا الله وإيّاكم من الموفّقين لعِلم دينه العاملين به إنّه أرحم الراحمين [1] ".

يتحدّث الكاتب في الجزءيـن الأوّل والثـاني مـن الكتـاب عـن العقيـدة وأركـان الإسلام الأخرى : الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحـجّ ، وفي الجـزء الأوّل بعـد مقدّمتـه أسهب في الحديث عن العلم .

وتحدّث في آخر الجزء الثـاني عـن الحقـوق الواجبـة علـى المسـلمين بعضهـم لبعـض. أمّـا الجـزء الثـالث فكلّـه في الأخـلاق والتربيـة مـع شـرح للأخـلاق الفاضلـة وأسبابها، والأخـلاق السيّئـة وأسبابها وذكر فيه الأمراض النفسيّة والاجتماعيّـة وبيّـن عـلاجهـا .

وسمىّ الشيخ إسماعيل كتابه قناطر الخـيرات لأنّ فرائـض الله تعـالى الـتي فرضهـا على المسلم هي القناطر المنجيـة الـتي توصـل مـن اتّبعهـا إلى السعادة في الدنيـا والآخـرة . وتجتاز به فوق أودية المهالك فلا يتردّى فيها ، وهذه الفروض شـرحها الشـيخ إسمـاعيل في كتابه ، وكذلك المناهي والمحرّمات ، وسمّى كـلّ بـاب مـن أبـواب الديـن قنطـرة . قنطـرة الصلاة ، وقنطرة الصوم وغير ذلك .

ومن عناوين الجزء الأول : قنطرة العلم وتشتمل على مقدّمـة وعشـرة أبـواب ، من أبوابه : حدّ الفقه ، والكلام على علم الدين وطريق الآخرة ، وحدّ الكـلام والفلسـفة، وقنطرة الإيمان وسائر قواعـد الاعتقـاد وفيهـا خمسـة أبـواب ، وقنطـرة الصـلاة ووظائفهـا

---

[1] ـ الجيطالي : قناطر الخيرات ، ج ١ ، ص ٧ .

وأسرارها ، وفيها أبواب كثيرة منها : ذكر فضائل الصلاة ، وأسرارها الظاهرة والباطنة ، وفيه ستّة أبواب . وقنطرة أسرار الصوم وظواهره ، وفيه خمسة أبواب .

وفي الجزء الثاني الأبواب التالية : قنطرة الزكاة وأسرارها وفوائدها الشخصيّة والاجتماعيّة وفيها أبواب عديدة . وقنطرة الحجّ وفوائده الشخصيّة والاجتماعيّة وفروضه وفيه أبواب عديدة . وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في فصول منها : فصل المنكرات المألوفة في العادة ، وفصل منكرات المساجد ، وفصل منكرات الشوارع ، وفصل منكرات الضيافة، وفصل المنكرات العامّة ، وقنطرة التوبة من الذنوب وفيها خمسة أبواب. منها باب في السبب الباعث على التوبة، وبيان كيفيّة العلاج في حلّ عقدة الإصرار على الذنوب .

وفي الجزء الثاني قنطرة الخُلُق وفيها ثمانية أبواب منها : فصل في إخوان السوء ، وفصل في حقوق الآباء والأمهات وما ينافيها من الحقوق ، وفصل في حقوق الأبناء ، وفصل في حقوق الزوجة على زوجها ، وفصل في حقوق الزوج على زوجته ، وفصل في حقّ الجوار ، وفصل في حقوق الصحبة ، وفصل في حقوق اليتامى ، وفصل في حقوق السائلين ، وفصل في حقوق ابن السبيل وحقّ الضيف والمساكين .

أمّا الجزء الثالث ففي الأخلاق الحسنة وأضدادها السيّئة ، وأسبابها النفسيّة ، وعوامل تقوية الحسنة ، والتخلّص من السيّئة ، وفي التربية وعواملها ، وفي علم النفس البشري ، وبيان حقيقة النفس البشريّة .

ومن عناوين الجزء الثالث : قنطرة النفس ، وفيها أبواب وفصول كثيرة منها : فصل في التقوى ، وفصل في ذكر الهوى ، وفصل في كيفيّة إلجام النفس ، وفي الحرص وشرّ النفس الضار ، وفصل في القناعة وأسبابها النفسيّة ، وفصول في حقيقة الغضب وذمّه، وما يهيّجه ، وعلاجه ، وفصول في فضيلة الحلم وأصوله النفسيّة ، وفصل في الحقد ونتائجه من الحسد وغيره ، وباب في فضل العفو ، وفصول في الحسد وحقيقته ، وأسبابه ومضارّه لصاحبه والمجتمع ، وأسباب الشفاء منه ، وحكاية في الحسد وعواقبه الوخيمة ، وفصول في البخل وذمّه ، وأخبار البخلاء ، وعلاج البخل ، وفصل في السخاء وفضله ،

وحكايات الأسخياء الكثيرة ، وفصل في الإيثار وفضله ، وفصول في حسن الخلق ، وفصول في الأخلاق السيّئة وذمّها ، منها الكذب وأضراره ، وفصل في خلف الوعد ، وفصول في الغيبة والنميمة والسعاية ، وفصول في منكرات اللسان ، وفصل في ضبط الفرج عن الحرام ، وفصل في بيان دواعي الزنا ، وفصل في حكايات الأعِفّاء من الرجال والنساء ، وأبواب كثيرة في الأخلاق ، وما يجب على المسلم أن يتّصف به ، وما يجب عليه أن يتنزّه عنه ، ليكون هو ومجتمعه على الصلاح والفلاح .

ولا يزال هذا الكتاب معتمداً في التدريس في مدارس العزابة والمساجد في وادي ميزاب ، ويُجرى احتفال عام بعد الانتهاء من تدريس هذا الكتاب ، ومن الذين شهدوا احتفال ختمة كتاب قناطر الخيرات محمد علي دبوز الذي يقول :"ودام الشيخ بيوض(*)، يدرس كتاب القناطر في مسجد القرارة فختمه كلّه في أجزائه الثلاثة . وكانت مدّة تدريسه لهذا الكتاب العظيم أربع عشرة سنة كاملة وعشرة أشهر ، من أوّل صيف عام ١٩٢٣ إلى ربيع ١٩٣٨ فاحتفل مسجد القرارة : العزابة والطلبة القدماء حفظة القرآن ، وطلبة معهد الحياة، والمدينة ، بختم كتاب قناطر الخيرات ، فسارعت المدينة في وقت الحفل إلى المسجد لصلاة العشاء وحضور الحفل بعدها ، فامتلأ المسجد على سعته بالناس، قسم الرجال بالرجال ، وقسم النساء بالنساء . فألقى الشيخ بيوض آخر درس في الجزء الثالث الأخير من الكتاب ، وعقّبه بمحاضرة في ترجمة الشيخ إسماعيل الجيطالي وفضله ، وفي كتابه قناطر الخيرات وجدواه العظيمة على القرارة ، والمسلمين . وحمد الشيخ بيوض عاقبة تدريس هذا الكتاب المفيد ، ونتائجه العظيمة للمجتمع القراري . لقد ثقّف العقول بثقافة الدين ، فعرف الناس من أسرار دينهم ما لم يعرفوه ، فازدادوا تمسّكاً به ، وغيرة عليه ؛ وشرح لهم الخلق الإسلامي العظيم ، فازدادوا اتّصافاً به ، وغرساً له في أبنائهم وأسرهم بالتربية الإسلاميّة القويّة ، وبالقدوة الحسنة في سلوكهم ، وأراهم الأمراض النفسيّة والاجتماعيّة وعلاجها ، فعملوا للتخلّص منها [1] ".

(*) ـ الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض : أحد شيوخ العزابة، أنشأ معهد الحياة في مدينة القرارة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م .

[1] ـ دبوز ، محمد علي : اعلام الإصلاح ، ج ٣ ، ص ١١٤ .

ب ـ في الحديث :

إنّ الكتاب المعتمد هو الجامع الصحيح للربيع بن حبيب بن عمر الأزدي [*] ، الذي يعتبره الإباضيّة " أصحّ كتب الحديث رواية وأعلاها سنداً وجميع رجاله مشهورون بالعلم والورع والضبط والأمانة والعدالة والصيانة كلّهم أئمّة في الدين وقادة للمهتدين ، هذا حكم المتصل من أخباره ، وأمّا المنقطع بإرسال أو بلاغ فإنّه حكم الصحيح لتثبّت راويه ، ولأنّه قد ثبت وصله من طرق أخر لها حكم الصحّة . فجميع ما تضمّنه الكتاب صحيح باتفاق أهل الدعوة ـ الإباضيّة ـ وهو أصحّ كتاب من بعد القرآن العزيز ، ويليه في الرتبة الصحاح من كتب الحديث [1] ".

رتّب الجامع الصحيح الذي يقع في أربعة أجزاء الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن حياد الإباضي ، ويضمّ الجامع ألفاً وخمسة أحاديث .

منها في الجزء الأول ثلاثماية وواحد وتسعون حديثاً موزّعة على الأبواب التالية: في النيّة ، في ابتداء الوحي ، في ذكر القرآن ، في العلم وطلبه وفضله ، في طلب العلم لغير الله ﷻ وعلماء السوء ، في الأمّة أمّة محمّد ﷺ ، في الولاية والإمارة ، في الرؤيا ، في الإيمان والإسلام والشرائع ، في ذكر الشرك والكفر ، في الحبّ ، في القدر والحذر والتطيّر ، وفي الفتنة .

(*) ـ جعله الدرجيني في الطبقة الرابعة ١٥٠هـ / ٢٠٠هـ من علماء المذهب ، وقال عنه أنّه طود المذهب الأشمّ وعلم العلوم الذي إليه الملجأ في معظمات الخطب الأصمّ ، ومن تشدّ إليه حبال الرواحل وتلزم ، صحب أبا عبيدة فاغترف من بحره الزاخر ، ولزم مجلسه فكان الأوّل والآخر ، روى عنه " المسند " المشهور ، المتعارف البركة على مرّ الدهور .

وهذا المسند جميعه من رواية الربيع عن شيخ من شيوخه ، وإنّ للربيع خمسة وعشرين شيخاً أخذ عن جميعهم وأكثر ما أخذ عن ضمام بن السائب البصري العماني عن جابر ، ثمّ عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، ثمّ أبي نوح صالح بن نوح الدهان البصري العماني ثمّ عن باقي الشيوخ .

(أنظر : ١ ـ الدرجيني: طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

٢ ـ السالمي ، عبد الله بن حميد : مقدمة الجامع الصحيح مسند الامام الربيع بن حبيب ، ص٣، تقديم عزّ الدين التنوخي، سلطنة عُمان، المطابع العالميّة، د.ت) .

(1) ـ السالمي ، عبد الله بن حميد : مقدمة الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب ، ص ٣ .

وقد اشتملت هذه الأبواب على خمسة وسبعين حديثاً ، والأحاديث الأخرى توزّعت على الكتب التالية : كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ووجوبها ، كتاب الصيام وكتاب الزكاة والصدقة .

ومعظم أحاديث هذا الجزء من كتاب الجامع الصحيح مروية بالأسانيد التالية :

- قال أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو البصري حدثني أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي عن جابر بن زيد عن عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ قال .
- حدثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أنها قالت .
- حدثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : بلغني عن رسول الله ﷺ أنّه قال .
- أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك قال .

ويضمّ الجزء الثاني من الكتاب ثلاثمائة وواحداً وخمسين حديثاً توزّعت على الكتب التالية : كتاب الحج ، كتاب الأذكار ، كتاب النكاح ، كتاب الصلاة ، كتاب البيوع ، كتاب الأحكام ، كتاب الأشربة ، وكتاب الإيمان والنذور .

ويختتم الجزء الثاني " قال الربيع قال أبو عبيدة كان ابن عبّاس فقيهاً عالماً لم يعلم في زمانه أعلم منه ، وكان الناس يسمّونه البحر لما فيه من كثرة فنون العلم وقيل أنّه قعد ذات يوم مع أصحابه فقال لهم سلوني عمّا شئتم عمّا دون السماء السابعة والأرضين السفلى أخبركم به قال أبو عبيدة : بلغنا عن ابن عباس أنّه مات بالطائف في زمان عبد الملك بن مروان سنة ٦٨ وهو ابن ٧٢ سنة وكان يصفر لحيته وخلف ولداً له يقال له عليّ ، له ورع وعفّه، وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، وكانوا يسمّونه السجّاد . وحديث ابن عبّاس ﵁ مائة وخمسون حديثاً وحديث أبي سعيد الخدري ستون حديثاً ، وحديث أبي هريرة اثنان وسبعون حديثاً ، ومراسيل جابر بن زيد أربعة وثمانون حديثاً ومائة حديث . وحديث أبي عبيدة مسلم ثمانية وثمانون حديثاً، وعدّة ما في هذين الجزءين من حديث رسول الله ﷺ ستمائة حديث وأربعة وخمسون سوى ما رواه الربيع .

قال الربيع : بلغنا أن عدّة ما روي عن رسول ا لله ﷺ أربعة آلاف حديث منها تسعمائة في الأصول والباقي في الآداب والأخبار ، وأمّا عدّة من روى عنه من الرواة فتسعمائة رجل وامرأة وهي عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها [١] ".

وأمّا الجزء الثالث الذي يضمّ مئة وأربعين حديثاً فيعرض للأحاديث النبويّة الشريفة ولتفسير الآيات القرآنيّة التي يرى الإباضيّة أنّها تدعم وجهة نظرهم .

ويروون عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في تعظيم ا لله ونفي التشبيه " كان عليّ ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يقول : في تمجيد ا لله عز وجل : الحيّ القائم الواحد الدائم ، فكّاك المقادم ، ورزّاق البهائم ، القائم بغير منصبة ، الدائم بغير غاية ، الخالق بغير كلفة ، فأعرف العباد به الذي بالحدود لا يصفه ولا بما يوجد في الخلق يتوهّمه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار [٢] ".

وفي معنى النظر ونفي الرؤية يروون عن ابن عبّاس رضي الله عنهما " أخبرنا أبو نعيم عن العباس عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن نافع بن الأزرق أنّه سأل ابن عبّاس عن قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [٣] ﴾ قال ابن عباس هو الذي لا كفو له أي لا ينظر إلى أهل النار برحمته وأهل الجنّة ينظرون إليه في ثوابه وكرامته ورحمته ولا يرونه بأبصارهم لأنّه قال ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ [٤] ﴾ قال : وقال مجاهد وإبراهيم ومكحول والزهري ينظرون الثواب ولا يرى ا لله أحد من خلقه ، قال : وقال الحسن ناظرة إلى سلطان ربّها وقدرته وتدبيره ، وقال : ناضرة نضرة في الوجوه وسرور في القلب [٥] ".

---

[١] ـ الفراهيدي، الربيع بن حبيب بن عمر: الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب على ترتيب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، ص ١٩٥، دمشق، المطبعة العموميّة ١٣٨٨هـ .

[٢] ـ الفراهيدي : المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

[٣] ـ سورة القيامة ، الآية ٢٢ .

[٤] ـ سورة الأنعام ، الآية ١٠٣ .

[٥] ـ الفراهيدي : الجامع الصحيح ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

وأوردوا في تفسير قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ [1] ﴾ " قال جابر ابن زيد سئل ابن عبّاس - رضي الله عنه - عن قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ فقال ارتفع ذكره وثناؤه على خلقه لا على ما قال المندّدون أنّ له أشباهاً وأنداداً تعالى الله عن ذلك . قال وحدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عبد الله بن عمر أنّه سئل عن الصخرة التي كانت في بيت المقدس فقال له إنّ ناساً يقولون فذكر قولهم سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّا كبيراً فارتعد ابن عمر فرقا وشفقا حين وصفوه بالحدود والانتقال فقال ابن عمر إنّ الله أعظم وأجل أن يوصف بصفات المخلوقين هذا كلام اليهود أعداء الله إنما يقول ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ أي استوى أمره وقدرته فوق بريّته . قال الليث : قال محمّد بن الحنفيّة قاتل الله أهل الشام ما أكفرهم أو قال ما أضلّهم يقولون وضع الله قدمه على صخرة بيت المقدس وقد وضع عبد من عباده يعني إبراهيم عليه السلام قدمه على الحجر فجعله قبلة للناس وتكذيباً لقولهم ورداً لباطلهم ، وقال الحسن : إرتفع ذكره وثناؤه ومجده على خلقه، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بزوال من مكان إلى مكان ، قال وسئل هشام عن ذلك، وقال : كان أصحابنا يقولون قهر العرش. وقال الحسن في قوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ [2] ﴾ أي استوى أمره وقدرته إلى السماء وقوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ يعني استوى أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه ، ولا يوصف الله بصفات الخلق ولا يقع عليه الوصف كما يقع على الخلق [3] ".

أمّا الجزء الرابع من الكتاب فيضمّ مئة وثلاثة عشر حديثاً هي " رواية أبي سفيان محبوب بن الرحيل عن الربيع بن حبيب زيادة في الترتيب [4] ". من هذه

---

(1) ـ سورة طه ، الآية ٥ .

(2) ـ سورة فصلت ، الآية ١١ .

(3) ـ الفراهيدي : الجامع الصحيح ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(4) ـ الفراهيدي : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

الأحاديث ما رواه أبو سفيان عن جابر قال " دخل جابر بن زيد على عائشة رضي الله عنها قال فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها عنها من قبل ، سألها عن جماع النبي ﷺ كيف كان يفعل وأنّ جبينها يتصبّب عرقاً ، وتقول سل يا بني ثمّ قالت له ممّن أنت قال من أهل المشرق من بلد يقال لها عُمان قال أبو سفيان فذكرت له شيئاً لم أحفظه إلاّ أنّي أظنّ أنّها قالت أنّ النبي ﷺ ذكره لي وأشباه ذلك [1] ".

ومن هذه الأحاديث ما رواه الإمام أفلح بن عبد الوهاب " عن كتاب أخذه عن أبي غانم الخراساني من تأليف أبي يزيد الخوارزمي في السِير رفع فيه أبو يزيد الحديث إلى رسول الله ﷺ أنّ رجلاً من الأنصار وجد مع رجل سيفا لأخيه في السوق فسأله من أين هو فقال أصابني من سهم من غنيمة فرفعه الأنصاري إلى النبي ﷺ فقصّ عليه الرجل القصّة ومن أين صار له السيف فقال له النبي ﷺ : ابتغ الغنيمة في غير مال أخيك [2] ".

ويختتم الكتاب بما يرويه عن جابر بن زيد قال : " لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [3] ﴾ جعل رسول الله ﷺ يتفخّذ أفخاذ قريش فخذاً فخذاً حتّى أتى إلى بني عبد المطلب فقال : يا بني عبد المطلب إنّ الله أمرني أن أنذركم لا أغني عنكم من الله شيئاً ألا إنّ أوليائي منكم المتّقون ألا لأعرفن ما جاء الناس غدا بالدين فجئتم بالدنيا تحملونها على رقابكم ، يا فاطمة بنت محمّد ويا صفيّة عمّة محمّد اشتريا أنفسكما من الله فإنّي لا أغني عنكما من الله شيئاً [4] ".

---

[1] ـ الفراهيدي : الجامع الصحيح ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

[2] ـ الفراهيدي : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

[3] ـ سورة الشعراء ، الآية ٢١٤ .

[4] ـ الفراهيدي : الجامع الصحيح ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

ج ـ في التاريخ :

كتاب طبقات المشائخ بالمغرب للشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني [*] .

ويعرض الكتاب المعلومات عن تاريخ الدعوة وتطوّرها في بلاد المغرب . وتبدأ هذه المعلومات من دخول الدعوة وقضاياها في المرحلة الأولى ، فينقل الدرجيني رواية عن الإمام أفلح عن أبيه عبد الوهاب عن جده عبد الرحمن بن رستم أنه قال : " أوّل من جاء يطلب مذهب الإباضيّة ونحن بقيروان إفريقية ، سلامة بن سعيد قال قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عبّاس متعقبين على بعير فسلامة يدعو إلى مذهب الإباضيّة وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفريّة [1] ".

ثمّ يقدّم لنا معلومات دقيقة عن المرحلة السرّيّة لانتشار الدعوة بين قبائل جبل نفوسه ، ومنطقة طرابلس ، ثمّ عن ظهورها ومبايعة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة (١٤٠هـ / ٧٥٧م) [2] ، وأخذه لمدينة طرابلس ، ورجوع والي أبي جعفر المنصور إلى المشرق [3] ، وعن السياسة التي اتّبعها أبو الخطّاب آيام ولايته على طرابلس ومكثه فيها أربع سنوات [4] ، ومن المعروف أنّ الخلاف قد احتدّ في صفوف الإباضيّين، وانتشرت الفرق بينهم بعد أن أصبحت الإمامة وراثيّة إثر وفاة عبد الرحمن بن رستم ، ومبايعة ابنه عبد الوهاب ، فظهرت النكاريّة والوهبيّة والخلفيّة ، وغيرها من الاتّجاهات المذهبيّة داخل الدعوة ، ويقدم الدرجيني في ترجمة أبي الربيع سليمان بن زرقون معلومات

---

[*] ـ ينحدر الدرجيني من أسرة بربريّة إباضيّة من قرية "تميجار" بجبل نفوسه ، رحل في مطلع شبابه إلى وارجلان للأخذ عن شيوخها الإباضيّين سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م . وواصل الدراسة في توزر سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م وقد أقام مدّة في جزيرة جربة حيث اشتهر بين العزابة فيها بمعرفته الواسعة في ميادين الأدب واللغة والسير والفقه ، وقد اختاره عزابة الجزيرة لتأليف طبقات المشائخ . توفّي عام ٦٧٠هـ / ١٢٦١م .
(أنظر ، البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص ١١ وما يليها) .

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١١ .

[2] ـ أنظر ، الدرجيني : المصدر السابق ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

[3] ـ أنظر ، الدرجيني : المصدر السابق ، ص ٢٦ .

[4] ـ أنظر ، الدرجيني : المصدر السابق ، ص ٨ .

دقيقة ليس عن هذه الفرق فحسب بل عن القبائل والجماعات والمدن والقرى التي ناصرت هذه الفرقة أو تلك [1] .

وفي ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر - عاش في القرن الخامس — نجد وصفاً دقيقاً لنظام ملفّات المذهب الذي وضعه محمد بن بكر ، والحياة اليوميّة للعزابة ، ولا سيّما وأنّ هذا النظام الجديد لم يعرف أيّام الإمامة الرستميّة بتاهرت ، ويعرض للحياة الدينيّة والمذهبيّة في المناطق الجغرافيّة التي عمّ فيها نظام العزابة ، وبخاصّة في جبل نفوسه ، وجزيرة جربة ، وبلاد الجريد [2] .

ويبيّن في سياق التراجم لشيوخ المذهب الصلات المذهبيّة والفكريّة بين إباضيّة المشرق والمغرب ، وعن مدوّنة إباضيّة أصبحت عمدة الإباضيّين ، بعد تلف المصادر الإباضيّة بتاهرت يقول " وذكروا أنّ أبا غانم بشر بن غانم الخراساني خرج من المشرق متوجّهاً إلى المغرب ليفد على الإمام عبد الوهاب ﷺ ، ومعه مدوّنته المشهورة التي رواها عن تلامذة أبي عبيدة رحمه الله ، وقيّد سماعها عنهم ، فاجتاز على جبل نفوسه فاستودع عمروس الكتاب المذكور، وتمادى إلى تاهرت بعد أن استأذنه عمروس في انتساخ الكتاب المذكور فلم يأذن له، وعمروس حينئذ حدث ، فحسّن عمروس الظنّ وحمله الحرص في العلم على انتساخه ، فواظبه وعكف على النسخ وأخته تملي عليه ، وكان إذا جلس للنسخ في موضع لازمه حتّى تدركه الشمس ، فينتقل إلى الظلّ والأصل في يدي أخته ، وعينه في الكتاب لا يتحوّل حرصا على إحياء العلم ، فما رجع أبو غانم من تاهرت إلاّ وقد أكمل عمروس انتساخ الكتاب ... وكان الكتاب في اثني عشر جزءاً ، وفي إثر هذا كان ما كان من تلف ديوان تاهرت غضباً وحرقاً ، ولولا تمسّك عمروس بهذا الكتاب لم يبق لأهل المذهب بجهات المغرب ديوان يعتمد عليه [3] ".

---

[1] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٩٧ ـ ١٠٩ .

[2] ـ أنظر ، الدرجيني : المصدر السابق ، ص ١٦٧ ـ ١٩٥ .

[3] ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ .

ويبيّن اهتمام الإباضيّة في المغرب بتآليف اخوانهم في المشرق . وهذا الاهتمام أسهم في تعريب مراكز الحياة الفكريّة في المناطق التي تقطنها القبائل البربريّة المناصرة للدعوة ، ولا سيّما في منطقة جبل نفوسه ، وأنّ بعض الدروس كانت تلقى بالعربيّة ثمّ يعقبها تفسير بالبربريّة ، ويفيدنا أنّ الأقوال والمواعظ المنسوبة إلى أبي سهل الفارسي - من الطبقة السابعة (٣٠٠هـ/٣٥٠هـ) مدوّنة بالبربريّة [١] .

ونستشف من ترجمته لأبي ذرّ أبّان بن وسيم النفوسي - من الطبقة الخامسة ٢٠٠هـ/ ٢٥٠هـ - أنّ اليهود كانوا يتعايشون مع الإباضيّة في جبل نفوسه ويشتغلون ببعض الحرف والتجارة حين رخّص للناس " في ثلاث مسائل : أفتى فيها وشهد له فيها كلّهم بالصواب .

- **الأولى** : أنّ النساء قد كنّ في رمضان متى كنّ في انتظار أيام الحيض إذا أقبل الليل يوقدن النار الليل كلّه خشية أن يفاجئهن الأمر ولا علم عندهن . فكان ذلك أشدّ شيء عليهن تعباً ونصباً ، فقال لهنّ أبّان أيّما امرأة منكنّ أحسّت شيئاً من ذلك فلتجعل علما فكلّ ما رأت على علمها بعد الصبح فاستدلّت به ، حكمت بذلك ، ويجزيها .

- **الثانية** : أنّ نساءهنّ المرضعات كنّ يرين أنّ وضوءهن منتقض بأفواه أولادهن فمتى أرضعن أعدن الوضوء في كلّ وقت صلاة لأجل أفواه الرضع ، فقال لهن أيّما امرأة حفظت فم ولدها ومسحته فأرضعت وهي متوضية فلا ينتقض وضؤوها .

- **الثالثة** : أنّهن إذا عملن غزلا قد صبغها اليهودي ، فمسّته رأين أنّ وضوءهن قد انتقض لمسّه ، لأنّ اليهودي نجس فقال لهن أيّما امرأة مسّت صباغ اليهودي فليس عليها إلاّ غسل يديها وليس عليها إعادة الوضوء [٢] ".

---

[١] - أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

[٢] - الدرجيني : المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .

قلّد الدرجيني في تأليف الكتاب من سبقه من كتّاب التراجم ، وينقسم الكتاب إلى جزءين :

- **الجزء الأوّل** : يعيد فيه كتاب السيرة وأخبار الأئمّة لأبي يحيى بن أبي بكر الوارجلاني ، فيصف طريقته في مطلع الكتاب بقوله " وقد رأيت أن أقدّم مقدّمة تكون فراشا للكتاب ، تفهم منها ألفاظ اصطلح عليه أصحابنا المتأخّرون ، وفيها عند من لا يعرفها اضطراب ، ثمّ يتأتّى بيانه ، ليتمّ المقصود ويتألّف ، ثمّ أجرد السيرة وأنقلها من الكتاب المذكور ، على حسب ما وقعت فيه ، وما كان في ألفاظه خشونه نقلت معانيه فيكون تفهّم ما سألت سهلاً على قارئه [1] ".

- **الجزء الثاني** : وهو التأليف الحقيقيّ لأبي العبّاس حيث يقدّم معلومات غزيرة ودقيقة عن مشائخ طبقات المذهب في بلاد المغرب ، ويترجم لعدد كبير منهم ، لم يترجم لهم أبو زكريا ، وقد اتّبع في تصنيف رجال الطبقات ما فعله الشيخ الإباضي أبو عمّار عبد الكافي - من الطبقة الثانية عشرة (٥٥٠هـ / ٦٠٠هـ) فرتّب التراجم على المئين من سني الهجرة ، وذكر الخمسين من كل مائة ، وقد أكمل الدرجيني ترتيب أبي عمّار عبد الكافي الذي ترجم للمشائخ حتّى الخمسين الأولى من المائة السادسة ، فذكر ما اشتملت عليه الخمسين الأخرى من المائة السادسة وهم الشيوخ الذين أخذوا عن آخر طبقة ترجم لها أبو عمّار عبد الكافي ، ثمّ ترجم لمن اشتملت عليه الخمسون الأولى من المائة السابعة .

---

[1] - الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ٣ .

ـ استنتاجات :

حرص الإباضيّة كغيرهم في الشمال الإفريقي على تأمين مستلزمات التعليم ، وبما أنّ المنهاج التعليمي يخدم أهدافهم لذلك كانت وسائله وأدواته مستخلصة من بيئتهم، وحرصوا على جعلها صالحة لخدمة مذهبهم .

ورفضوا ازدواجيّة اللغة فتخلّوا عن البربريّة وجعلوا التعليم باللغة العربيّة التي هي لغة القرآن الكريم ، والمؤلّفات في معظمها كانت كذلك في اللغة العربيّة ، وإذا كانت كافّة موادّ التدريس في مدارس العزابة باللغة العربيّة التي هي لغة القرآن الكريم ، فإنّ السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : ما الذي جعل اللغة العربيّة بالأمس صالحة لأن تكون لغة العلوم ، التي أشرقت شمسها على العالم حينذاك ، غير صالحة اليوم للقيام بالدور نفسه ؟

إنّ المشكلة لا ترجع إلى عجز في اللغة العربية ، أو إلى ضعف دبّ فيها بفعل الشيخوخة ، إذ هي أقدم اللغات الحيّة التي يتحدّث بها اليوم ، إنّما العجز يرجع إلى ضعف أهلها .

" إنّ المشكلة ليست في اللغة ، إنّما هي مشكلة الناطقين بها ، ومن ثمّ علاج القضية في علاج أهلها أوّلاً ، باقناعهم بأنّ اللغة العربيّة والتعليم بها ، والتعريب في جامعاتنا هو قضية الساعة التي يجب أن تحسم بأسرع وقت ممكن ، أوّلاً باقناع أهلها بالدور الحضاري لهم كعرب مسلمين في مسيرة الحضارة المعاصرة ، واقناعهم بأنّ العامل الحضاري عامل فعّال في حياة اللغات ، عند ذلك سيعلم أولئك الذين يتطلّعون إلى أوروبا وأمريكا وينبهرون بهما أنّهم على خطأ [1] ".

واسرائيل ، وللأسف ، مثال يحتذى . لقد أصرّت اسرائيل على إحياء اللغة العبريّة الميّتة ، وجعلتها لغة الأبحاث الذريّة في معهد وايزمان ، بل لجأت إلى استخدام

---

[1] ـ فرج ، السيد أحمد : تعريب التعليم الجامعي ضرورة علمية وإسلاميّة ، ص ٣١ ، القاهرة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

الجذور اللغويّة العربيّة بإضافات عبريّة لتلك المصطلحات العلميّة الجديدة ، مستفيدة من الصلة الاشتقاقيّة بين العربيّة والعبريّة [1] .

لقد فهم أعداؤنا حقيقة الصراع فتمسّكوا بلغتهم ، وخير مثال على ذلك ما جرى في مقابلة أجرتها إذاعة اسرائيل مع البروفسور " أرون تادكز " تحت عنوان الإسلام واليهود واسرائيل ، حيث قال : " إنّ المسلمين لا يمكن أن يقبلوا بسيطرة اليهود على المنطقة ، إلاّ إذا تعرّضوا لعملية إعادة تعليم ، وعملية غسيل مخ شاملة تغيّر عقائدهم الراسخة ، وتمحو من تراثهم وسلوكهم وكتبهم المدرسيّة وتفكيرهم كلّ الأفكار الراسخة في عقولهم وضمائرهم، ثمّ أعرب عن يقينه بأنّ حكومة اسرائيل سوف تصرّ على أن تكون عملية التعليم من البنود الملزمة سواء كانت سريّة أم علنيّة، في أي معاهدة سلام توقّع مع دولة عربيّة، ويكون التباطؤ في عمليّة إعادة التعليم بمثابة خرق للاتفاقيّة تخوّل لإسرائيل حقّ التدخّل المباشر لفرضها على الأجهزة الإعلاميّة والإداريّة والتعليم وغير ذلك [2] ".

. الموارد الماليّة :

حثّ الإسلام على طلب العلم ، وأوّل آيات القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [3] ﴾ هي دعوة إلى طلب العلم والحرص عليه، وجعل الحديث الشريف (إنّما بعثت معلماً [4]) المسلمين يقبلون على العلم والتعليم اقبالاً قلّ مثيله في أمّة من الأمم .

---

[1] ـ أنظر ، سعيدي ، عثمان : كيف نخرج من المأزق الثقافي ، ص ١١٠ ـ ١١٤ ، مجلة العربي ، الكويت ، العدد ٣٠٣ ، شباط ١٩٨٤ .

[2] ـ حسنة ، عمر عبيد : كلمة التحرير ، ص ٥ ، مجلة الأمّة القطرية ، العدد ١٦ ، السنة الثانية ، ربيع الآخر ١٤٠٢ هـ .

[3] ـ سورة العلق ، الآية ١ ـ ٥ .

[4] ـ الدرامي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن : سنن الدرامي ، ج ١ ، ص ٥٤ ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني ، القاهرة ، شركة الطباعة الفنيّة المتحدة ١٩٦٦ .

أ ـ موارد التعليم في التربية الإسلاميّة :

ازدهر التعليم في العالم الإسلامي ، وبخاصّة في الشمال الإفريقي ، وساعد على ازدهاره مصادر تمويله التي كانت :

- **ذاتيّة** : حيث كان المعلّم يتقاضى أجراً على التعليم ، والأجر الذي كان يدفعه أولياء الأمور نظير تعليم أولادهم كلّ مدّة من الزمن، يشارط عليه المعلّم ، وكتب " شجرة بن عيسى إلى سحنون ، يسأله عن المعلّم يستأجر على صبيان يعلّمهم ، فقال : إذا استؤجر سنة معلومة ، فقد لزمت آباءهم الإجارة ، خرجوا أو أقاموا [١] ".

وكان المعلّم يتّصل بوليّ أمر التلميذ للاتفاق على المادّة المطلوب تعليمها وشكل التعليم والزمن المخصّص ، وشروط دفع الأجرة ، ويتّفق على ذلك ضمن عقد " ويحرّر العقد عادة لمدّة عام ، ابتداء من الشهر الذي يتمّ فيه ، وكان المقابل أجراً أو هدايا ، يقدّم مالاً في جانب منه ، ويدفع مع كلّ شهر ، وجانب آخر يقدّم عينا ، وفي مقابل ذلك ، كان على المدرّس أن يبذل جهده ومهارته في تعليم الصبي [٢] ".

ولم تكن " أجور التعليم محدودة، ولا مفروضة على جميع الأولاد بالتساوي، بل كانت ترتبط بمقدرة الآباء من جهة، وترجع إلى شعورهم نحو الفقيه، وإلى خدماته من جهة أخرى [٣] ".

---

[١] ـ ابن سحنون : آداب المعلّمين والمتعلّمين ، ص ١١٩ .

[٢] ـ ربيرا ، خوليان : التربية الإسلاميّة في الأندلس ، أصولها الشرقيّة وتأثيراتها الغربيّة ، ص ٤٨ ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكّي ، القاهرة ، دار المعارف ، د. ت .

[٣] ـ عبد الجواد ، محمد : في كتّاب القرية ، ص ١١١ .

ـ **عامة** : حيث يتلقّى الطلاّب التعليم المجاني ، ويتولّى الانفاق على هذا النوع من التعليم أفراد يشترطون " على المؤدّب والأطفال عند انصرافهم بعد الدراسة قراءة بعض آيات القرآن وإهداء ثوابها للواقف وذريّته ، والدعاء له دعاء حسناً [١] ".

أو يتولّى الأمراء والوزراء الانفاق على التعليم بهدف " التقرّب إلى الرعيّة ، وخاصّة عندما يكون المنشىء بحاجة إلى مؤازرة الشعب له لتحقيق طموحه السياسي ، ولهذا نجد أنّ ما أنشأه الأمراء من البنايات أكثر ممّا أنشأه السلاطين ، وكذلك خوف الأمراء من بقاء ثروتهم بأيديهم خصوصاً في عصر الضعف الإسلامي والتمزّق ، لتعرّضهم دائماً لفتك السلاطين بهم ومصادرة أموالهم ، فهم يضعون ثروتهم في هذه المؤسّسات العامّة التي يصعب على السلطان مصادرتها ، ولهم مع ذلك أن يخصّصوا لأنفسهم وذريّاتهم نصيباً من ريعها بأن يشترط ذلك في كتاب الوقف [٢] ".

أو أن تخصّص الدولة الأموال توزّعها على العلماء وطلبة العلم ، فقد نقل المالكي أن أمراء بني الأغلب " كانوا يأتون جامع القيروان ليلة نصف شعبان وليلة نصف رمضان ، ويعطون فيها من الصدقات كثيراً، ثمّ يخرجون في حشمهم وأهل بيتهم وخدمهم من الجامع إلى المدينة فيزورون دور العبّاد والعلماء والكتاتيب والدمنة ـ هي مستشفى بالقيروان ـ فيوزّعون عليهم الأموال والعطايا [٣] ".

---

[١] ـ عبد العاطي ، عبد الغني محمد : التعليم في مصر زمن الأيوبيّين والمماليك ، ص ٩٣ ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كليّة الآداب قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ١٩٧٥ .

[٢] ـ عطية ، سليمان اسحق : ابن حجر الهيثمي وخلاصة تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدّبو الأطفال ، ص ٧ ـ ٨ ، القاهرة ، مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٧٨ .

[٣] ـ المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، نشر حسين مؤنس ، ص ٣١٨ .

ـ ب موارد التعليم الإباضي في مرحلتي الكتمان والظهور :

عمد الإباضيّة إلى تنظيم الموارد الماليّة لدعم التعليم الذي ينشّط الدعوة الإباضيّة لتستمرّ في تأدية دورها الدعوي، وكانت الأموال تتدفّق على التعليم من الموارد التالية :

١ ـ جمع التبرعات :

نظّم الإباضيّة وسائل مواردهم الماليّة ، وبخاصّة عند الطوارئ ، حيث ينشطون في جمع الأموال اللازمة ، ويعطي الدرجيني مثالاً على ذلك عندما خرج الإمام عبد الله بن يحيى ، ووجّه أبا حمزة المختار بن عوف ، أقام حاجب فجمع له أموالاً كثيرة ليعينه بها ، فكتب على كل موسر من المسلمين ـ الإباضيّة ـ قدر ما يرى ، قال فما امتنع عليه أحد فيقول " دعا أبا طاهر ، وكان شيخاً فاضلاً قال عليك بالنساء وأوسط فإنّا نكره أن نكتب عليهم ما لا يحملون ، قال فانطلق أبو طاهر فيما انطلق معه من المسلمين، قال فلم يأتوا يومئذ امرأة ولا رجلاً إلاّ وجدوه مسرعاً فيما سألوه ، قال وكان رجل من المسلمين لم يكن أحد يرى أنّه صاحب مال فدفع إليهم ثلاثة آلاف درهم . قال فقال له أبو طاهر أي أخي ، العيال ، فقال الله لهم . والله ما رأيت منذ كنت وجهاً مثل هذا انفق فيه ، فإذا وجدّته أفأدعه ؟ ولا يرجع إليّ منها شيء ، ولكن يا عبد الله لا تخبروا باسمي ما بقيت ، قالوا ففعلوا ، فلم تمسّ الليلة إلاّ وجمع أبو طاهر عشرة آلاف درهم ، قال فأتوا حاجبا فأخبروه فَسرَ بذلك ، وقال إنّ في الناس لبقيّة بعد ، قال فاشترى بتلك الأموال سلاحاً ووجّهه ، ووجّه ما بقي إلى أبي حمزة [١] ".

٢ ـ العطايا :

كانت قبائل البربر تساعد طلبة العلم بتقديم العطايا ، ويذكر الدرجيني " أنّ قبائل زنزفه ولمايه ومزاته ، وممّا حولهم من القبائل يبذلون الجهد في معونة الطلبة بالهدايا والعطايا واللطف فكانوا في أبرّ حال [٢] ".

---

(١) ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

(٢) ـ الدرجيني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

٣ ـ معونة إباضيّة المشرق :

عندما قامت دولة الإباضيّة في المغرب ، كانت بحاجة إلى الأموال لتنفق على مؤسسات الدولة ، وبخاصّة التعليم الإباضي ، فلمّا علم إباضيّة المشرق بذلك جمعوا أموالاً عظيمة وبعثوا بها مع نفر من ثقاتهم وقال بعضهم لبعض قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلاً، وسوف يملك المشرق ويملأه عدلاً ، فانهضوا إليه بما معكم من هذه الأموال حتّى تردوا المدينة التي سكنها، فإن كان على ما نقل لنا من حسن طريقته وصحّة سيرته فادفعوها إليه ، وإن كان على غير ذلك فانظروا إلى أفعاله وما يتولاّه من الأحكام بين رعيّته ثمّ آتونا بذلك كلّه، وعندما وصلوا إلى تاهرت قالوا للإمام عبد الوهاب معنا ثلاثة أحمال من المال بعث بها إليك إخوانك لتنفق منها على زمانك وتصلح به شأنك [١] .

وبعثوا في السنة الثالثة من ولاية الإمام عبد الرحمن بعشرة أحمال من المال وأرسلوا إلى رسلهم الأوّلين وأعلموهم بما جمعوه من المال ، وأمر عبد الرحمن بالأحمال فأحضرت ثمّ قال للرسل تكلّموا فتكلّمت الرسل إلى الناس بمثل ما كلّمت عبد الرحمن ، فقال عبد الرحمن للناس ما ترون ؟ قالوا الأمر إليك . فقال إذا أردتم الأمر إليّ فإنّي أرى أن تردّ هذه الأموال إلى أهلها ، ويدفعوها لمن يستحقّها من فقرائهم وضعفائهم ، فإنّما كنّا قبلنا ما قبلنا في أوّل بدء أمرهم للحاجة التي كانت بنا إليه وللفاقة التي نزمت عوام إخواننا [٢] .

ج ـ موارد العزابة :

طوّر الإباضيّة طرق التعليم بعد سقوط الدولة الرستميّة وأنشأوا نظام العزابة الذي أشرف على التعليم ، ونظّموا موارده المالية ، لأنّ الدراسة في جميع مراحل العزابة كانت مجانيّة ، وكان المجتمع الإباضي يتعاون كلّ حسب طاقته وإمكانيّاته في استمرار

---

[١] ـ أنظر ، ابن الصغير : تاريخ الأئمة الرستميّين ، ص ٣٢ ـ ٣٥ .

[٢] ـ أنظر ، ١ ـ أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

٢ ـ الباروني : الأزهار الرياضيّة ، ص ٩٠ ـ ٩١ .

مجالس العزابة ، ومن كان لا يقدر على تأمين الأموال النقديّة، كان يقدم الأموال العينيّة " وفي كل مسجد حجرات واسعة نظيفة فيها خوابي واسعة مخصّصة ، تسع عشرات القناطير ، لخزن التمر الذي هو وقف للفقراء في المسجد ، يوزّع عليهم دائماً بين الصلوات وقبل الفجر وبعده [1] ".

كانت موارد المدرسة جزءاً لا يتجزّأ من ميزانيّة العزابة التي تنيب بعض أعضائها للاشراف على وارداتها المختلفة وأوجه صرفها وطرق تنميتها ، ويمكن تقسيم موارد بيت مال العزابة إلى قسمين : موارد ثابتة ،وموارد غير ثابتة .

١ ـ الموارد الثابتة :

تشمل الموارد الثابتة الحبوس والأوقاف الخاصّة بالمسجد ، ومن المحتمل أنّها كبيرة جدّاً ، بحيث تفي بالتزامات العزابة نحو المسجد والطلبة . وإذا علمنا أنّ العزابة كانوا يشرفون على كلّ شيء ، وأنّ بعضهم كان يشرف على تأسيس المدن الإباضيّة ، وبخاصّة في ميزاب ، ندرك أنّ هؤلاء خصّصوا أموالاً كثيرة تمكّنهم من تأدية واجبهم الاجتماعي والديني ، كما أنّهم حبسوا الكثير من الضياع والواحات والبساتين وجعلوها وقفاً للمسجد .

ونظراً لأهميّة هذا المورد ، اعتاد شيخ العزابة أن يعيّن اثنين من أصحاب العزابة للاشراف عليها والعمل على تنميتها وتطويرها باستمرار [2] .

وشكّلت الزكاة مورداً ثابتاً لبيت مال العزابة ، وكان الإباضيّون يتسابقون لأدائها دون إكراه أو إجبار . صحيح أنّ هذه الأموال كانت تمنح للفقراء والمحتاجين ، ولكنّ القسم الأكبر كان يسلّم للعزابة فيودعونه بيت مال الحلقة، ليصرف على المسجد ، وشؤون الجماعة الإباضية المختلفة ، ومنها التعليم [3] .

---

[1] ـ دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر ، ج ١ ، ص ١٧١ .

[2] ـ أنظر ، خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضيّة ، ص ٩٧٣ .

[3] ـ أنظر ، عبد الكافي ، أبو عمار : رسالة العزابة ، ص ٤ ـ ٦ .

٢ ـ الموارد غير الثابتة :

كان مصدر الموارد الماليّة غير الثابتة ما يقدّمه الإباضيّة من أموال ومساعدات رغبة وتقرباً وتكفّلاً بنفقات التلاميذ لمدة معيّنة ، وهناك أمثلة عديدة في هذا الصدد . من هذه الأمثلة :

١ ـ تكفّل أحد الأغنياء بالانفاق على تلاميذ العزابة ، فقد كان أبو زكريا فصيل بن أبي ميسور ـ من علماء القرن الرابع الهجري ـ يقول : منزل التلامذة كشجرة الخروب يعني أنّه لا ينبت حول الخروب نبات، فإن نبت كان ضعيفاً ، لأنّ الخروب يشتفّ، وكذلك ما كان حول منزل التلامذة،، وكان يصرف الدنانير بالدراهم ويجعل الدراهم في القراطيس والصرر يعلّقها في ألواح التلامذة ، وربّما جعلها في أوعية دفاترهم ، وربّما جعلها بين التلميذ وبين ثيابه ، وهم لا يشعرون ، وكلّ ذلك رغبة في كتمان الصدقة [1] .

٢ ـ إنفاق المال على طلبة العلم كما فعل الشيخ سليمان بن عليّ ـ من الطبقة الثانية عشرة ٥٥٠هـ /٦٠٠هـ ـ الذي أنفق ماله على طلبة العلم، و لم يبق لنفسه غير دويرة وبساتين ، ولّما قلّ ماله لم تنتقص أفعاله ؛ قيل له : يا شيخ إنّ مالك قد قلّ ومؤونتك قد كثرت ، فهل في خمسين وية تمر أو مائة شاه تكون لك عندي كلّ عام تستعين بها على أضيافك ، وأضياف المسجد وضعفاء أهل الدعوة، فقال له لا وا لله إنّ فيما ألقى ا لله لكفاية ، أؤدي منها حقوق ما ذكرت ولو على عسر، ولكن إذا كنت فاعلاً فقم بحقوقهم كما قام به غيرك ، وتولّ ذلك بنفسك ومالك [2] .

٣ ـ التبرعات التي يقدمها الأغنياء قبل وفاتهم ، بتخصيص جزء من أموالهم لبيت مال الحلقة ، وكان بعضهم يوصي بجلّ أمواله لهذا الغرض ممّا ساعد على إثراء بيت المال ومدّه أحياناً بإيرادات ثابتة " إذا كانت الوصيّة تشمل الأموال غير المنقولة مثل الأراضي والبساتين وينابيع المياه [3] ".

---

[1] ـ أنظر ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

[2] ـ أنظر ، الدرجيني : المصدر السابق ، ص ٥٢٠ .

[3] ـ خليفات ، محمد عوض : التربية عند الإباضية ، ص ٩٧٥ .

- استنتاجات :

يقرّ الإباضيّة بأهميّة الوقف في صمود مدارس العزابة واستمرارها في أداء دورها الثقافي والتربوي " وعلى هذا الحبس القديم كانت تعتمد الأمّة - الإباضيّة - في مقاومة الجهل ومحاربة الأميّة ونشر الدين الإسلامي ، وبثّ العلوم بين طبقات الشعب وتربية العامّة تربية أخلاقيّة إجتماعيّة ، وعلى ريع تلك الأوقاف كان يعتمد الخصوص في النفقات على الأيتام والفقراء الذين يطلبون العلم ولا معين لهم إلاّ الله ، وبتلك الأوقاف كان يحفظ القرآن الكريم كلّ سنة عدد كبير من أبناء الأمّة [1] " .

وإذا كان الإصلاح يكمن في تعليم المسلمين ، الذين لا يزالون يعانون من آثار التخلّف الفكري والاقتصادي والعسكري ، وإذا كان النهوض التربوي قد تعثّر بعد أن وثبت قوى الاستعمار إلى هذا المعقل الحصين واستفردت به ، وأصبحت المدارس والمعاهد والجامعات تحت سيطرة السياسة الاستعماريّة ، وتبعاً لذلك أصبحت مناهج التعليم هي مناهج المستعمر ، وخرجت الجامعات ومناهجها أجيالاً متتاليّة من النخبة التابعة لفكر المستعمر ، وتابعة له في أساليب حياتها ، وحتّى الجامعات الإسلاميّة مثل الأزهر والزيتونة بدأت تضعف أمام قوّة الجامعات الحديثة ، التي تسمّى بالجامعات المدنيّة .

فإنّ التعليم الإباضي نما وتطوّر ، لأنّ الوقف ، الذي كان ينمّى باستمرار ، أمّن لمدارس العزابة الاكتفاء المالي .

لقد كان الوقف في حياة أمّتنا راسياً من رواسي الخير التي تشبه إلى حدّ بعيد الرواسي الملموسة - السفن - وتدفع بنا إلى أبعاد ثلاثة رئيسيّة، نكتشف معها تطوّراً وارتقاء لا شكّ فيه في مستوى التعامل والتعاطي مع الوقف، وهذه الأبعاد هي :

---

[1] - إبراهيم ، أبو اليقظان : إفتتاحية بجلة البصائر ، ص ١ ، الجمعة ، ٢٩ شوال ١٣٧٢هـ .

أ ـ الثبات : فالدور التثبيتي للخير والدارئ للشر الذي يقوم به الوقف ، ولئن كان دور الدعوة الإسلاميّة بمفهومها التبليغي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنّ دور الوقف بالمعنى التثبيتي هو تأمين موارد ثابتة لتحقيق هذا التبليغ ، وإنفاذه وتجويزه العقبات والمفاوز .

ب ـ الضابطيّة : فالوقفيّات والوصايا تنضبط بضوابط تبدأ من الفكرة ومشروعيّتها ، ثمّ بالجهات المعنيّة بتسجيل وتوثيق وضبط الوقفيّات ، ثمّ بالطريقة التنفيذيّة ، ثمّ بالمكلّفين بالتنفيذ وهكذا .

فالوقفيّات تتميّز بالضبط والتوثيق وتفترق عن عمل الخير المجرّد بهذه الخصوصيّة ، فعمل الخير يمكن أن يقوم به كلّ أحد بضوابط وتوثيق أو بدون ، وليس هذا للوقفيات .

ت ـ التفاعلية المجتمعية : يختبئ هذا البعد وراء الدوافع والخلفيّات التي دفعت كلّ واقف على حده ، ولكن هذا البعد يتحوّل إلى أبعاد كثيرة واضحة ظاهرة عندما تعاد دراسة الوقفيّات دراسة مسحيّة تحليليّة، تستكنه الخلفيّات الاجتماعيّة والبيئيّة والاقتصاديّة والمرحلة التاريخيّة للوقفيّات وأنواعها [1] .

وإنّ الحاضر الذي نعيشه يستلزم منّا تخطيطاً وتنفيذاً ويرتجي إمكانيات نوعيّة لرؤى تربويّة استنهاضيّة . " والجدير بالذكر أنّ للأوقاف أهمّيّة كبرى على كافّة الأصعدة المتعلّقة بحياة الفرد والجماعة ، ولقد أدّت رسالتها عبر العصور الإسلاميّة بالرغم من بعض فترات الانحطاط ، لأنّ واردات الأوقاف استطاعت أن تشكّل الضمانات التي أدّت إلى تطوّر المجتمع في الدولة الإسلاميّة بكافّة عناصره الإسلاميّة والنصرانيّة

---

[1] ـ أنظر ، زيدان ، عبد الحليم : فلسفة الوقفيّات وإعادة التعريف ، ص ١٧ ، بمجلة الوعي الإسلامي ، الكويت، العدد ٣٤٨ ، شعبان ١٤١٥هـ / كانون الثاني ١٩٩٥م .

واليهـوديّـة ، لأنّ واردات الأوقـاف كانـت تصرف أحياناً على المسـلمين وعلى سواهم من غير دينهـم [1] ".

ومـن هنا كان لا بدّ من أن نطرح مفهوماً جديداً للوقف بأبعـاده التنمويّـة والمجتمعيّـة متجاوزيـن المفهـوم التقليـدي ، ونحصـر هـذا المفهـوم التقليـدي بأنّـه تعريـف للآليّـة التنفيذيّة للعمليّة الوقفيّـة والقائمـة علـى جبـس الأصـل وتسـبيل المنفعـة .

---

[1] ـ حلاّق ، حسّان : أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني ، سجلات المحكمة الشرعيّة في بـيروت ، ص ٣٠ ـ ٣١ ، بيروت ، الدار الجامعية ، ط ٢ ، ١٩٨٨ .

الفصل الخامس

النشاطات التعليميّة والعقاب

- **الاختبارات والمناهج .**
- **الإختبارات في الكتّاب والمعاهد :**

١ ـ الامتحانات في المناهج التربويّة .

٢ ـ الهدف من التقييم .

٣ ـ الاختبارات في الفكر التربوي الإباضي :

أ ـ المحاضرة .

ب ـ المناظرة .

ج ـ الاختبارات الدوريّة .

د ـ الاختبارات السلوكيّة .

- **استنتاجات .**
- **النشاطات اللامنهجيّة :**

١ ـ الترويح في التربية الإسلاميّة .

أ ـ أثر الترويح التربوي على الطلاّب :

١ ـ المحافظة على الصحّة الجسديّة .

٢ ـ الإسهام في التنمية الخلقيّة .

٣ ـ الإسهام في تنميـة المعرفـة .

٤ ـ الإسهام في التكيّف النفسي السليم .

٥ ـ الإسهام في تنمية الجانب الاجتماعي .

٢ ـ الترويح في الفكر التربوي الإباضي :

أ ـ القيام بالرحلات المدرسيّة .

ب ـ التدريب على الأعمال الشاقّة .

ج ـ التدريب على الفروسيّة والقتال .

◆ **استنتاجات .**

◆ **العقاب :**

١ ـ التأديب في التربية الإسلاميّة .

٢ ـ أسلوب التأديب في التربية الإسلاميّة .

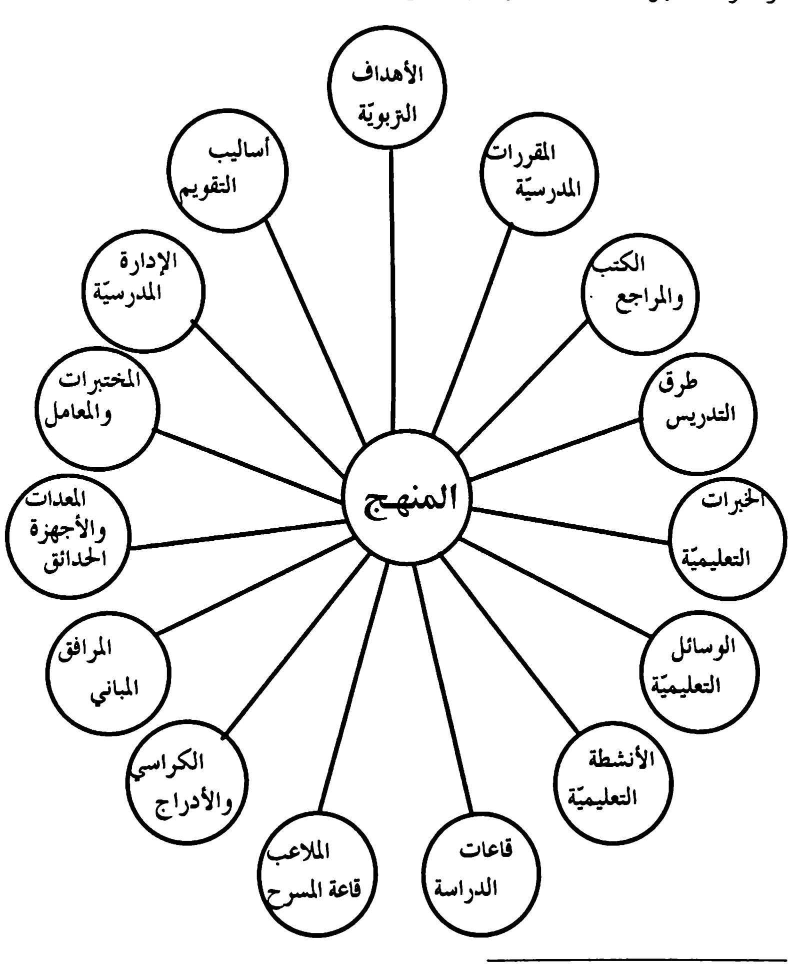
٣ ـ أسباب التأديب في الفكر التربوي الإباضي .

٤ ـ أساليب التأديب .

◆ **استنتاجات .**

الاختبارات والمناهج

قامت طائفة من الدراسات حول قيمة الامتحانات، وحول مقدرتها على تشخيص الكفاءات الحقيقيّة والتنبُّؤبها، ولا يمكن دراسة قيمة الامتحانات بمعزل عن المنهج ومكوناته بمفهومه الحديث [1]، والذي يشمل الأمور التالية :



---

(1) ـ أنظر ، راشد ، علي : مفاهيم ومبادئ تربوية ، ص ٤٨ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

ولا ينبغي دراسة الاختبارات في الفكر التربوي الإباضي بمنعزل عن المنهاج التربوي الإباضي السائد في مدارس العزابة .

ـ الاختبارات في الكتّاب والمعاهد :

١ ـ *الامتحانات في المناهج التربويّة :*

تعتمد المناهج التربويّة نظام الامتحانات أو الاختبارات خلال العام الدراسي لتقييم تحصيل الطالب ، وانتهت معظم الدراسات التي أجريت على الامتحانات التقليديّة إلى نتائج غير مشجعة، مفادها أنّ هذه الاختبارات لا تتّصف بالموضوعيّة والدقّة " وأنّها لا تكون حكماً صحيحاً على قابليات الطلاّب الحقيقيّة وكفاءاتهم [1] ".

ومن أقدم هذه الدراسات ، تلك التي قام بها ستارك "**Starch**" و أليوت " **Elliott** " عام ١٩١٢ ، عندما طلب هذان الباحثان من (١٤٢) أستاذاً أن يضعوا علامات لأوراق اختبار في اللغة الإنكليزيّة ، فحصلا على علامات تتراوح ما بين ٥٧ و ٩٥ من مئة [2] ومنذ ذلك الحين توالت الأبحاث .

وإذا درسنا واقع الاختبارات في المناهج الدراسيّة الحاليّة ، نجد أنّ هذ الاختبارات لا تخلو من العيوب التالية :

أ ـ عدم شمولها لجميع أجزاء المنهج الدراسي، فالاختبار الذي يتألّف من عدّة أسئلة، لا يمكن أن يشمل المادة كلّها، وإنّما المواضيع الهامّة، التي غالباً ما تكون عامّة .

ويركّز الطلاّب في الغالب، على حفظ مواضيع المادّة الهامّة وينجحون في نهاية العام الدراسي، دون الإلمام الكامل بالدقائق الأخرى التي درسوها .

---

(١) ـ عبد الدايم ، عبد الله : التربية التجريبيّة والبحث التربوي ، ص ٣٧٦ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، ١٩٨٨ .

(٢) ـ أنظر : Starch, Daniel. and Elliott, c: Reliability of grading high school work in English , p 442 - 457 , school revievv , 20 september / 1912 .
إقتبسه عبد الله عبد الدايم في التربية التجريبية ، ص ٣٧٧ .

ب ـ لا تعتمد هذه الاختبارات على ذاتيّة واضع الاختبار ، سواء في اختيار الأجزاء التي توضع عليها الاختبارات، أم في صياغتها، وكثيراً ما ينشأ عن ذلك غموض في فهم مقصودها ممّا يؤدّي إلى خروج الطلاّب عن إجاباتهم عن موضوع السؤال، أو قد يجيبون عليها بطريقة ملتوية تصعّب عملية التصحيح .

ج ـ يعتمد تصحيح هذه الاختبارات على ذاتيّة المصحّح " فقد وجد عن طريق التجريب أنّ اختلاف أو تعدّد المصحّحين يؤدّي إلى اختلاف تقديراتهم للشيء الواحد . كذلك حالة المصحّح الواحد من الناحية الصحيّة أو النفسيّة أو الظروف التي يقوم تحتها بعملية التصحيح تختلف من وقت لآخر، وينتج عن ذلك تفاوتاً في تقدير المصحّح الواحد أيضاً ، ويلاحظ إلى جانب ذلك أنّ بعض المصحّحين يميل إلى الشدّة في تقديراته، والبعض الآخر يميل إلى التساهل، وكثيراً ما يميل أغلبهم إلى إعطاء تقديرات تدور حول الدرجة المتوسطة ، وفي جميع هذه الحالات لا يمكن تكوين فكرة واضحة عن تحصيل التلميذ [١] ".

د ـ تقتصر الاختبارات التقليديّة على تقدير جانب واحد ، وهو التحصيل ، أو بمعنى أصحّ ما يمكن للطالب أن يتذكّره من المعلومات دون الاهتمام بقدرته على التفكير واتجاهاته العلميّة والعمليّة وما كوّنه من مثل وعادات وصفات شخصيّة [٢] .

وإذا كانت بعض المناهج التربويّة الحديثة قد عدلت عن الاختبارات التقليديّة إلى أسلوب الروائز [*] ، فإنّ عبد الله عبد الدايم ينقل الانتقادات

---

[١] ـ لبيب، رشدي، وآخرون : الأسس العامة للتدريس، ص ١٦٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣ .

[٢] ـ أنظر ، لبيب رشدي : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

[*] ـ كلمة رائز تقابل كلمة test ، وهي من راز الحجر بمعنى وزنه ليعرف ثقله، واستخدامها يقابل استخدام كلمة إختبار نفسي، لاستخدام كلمة إختبار للدلالة على الفحوص العاديّة أحياناً وعلى غير ذلك من المعاني، وللحاجة إلى استخدام كلمة واحدة في بعض الأحيان بدلاً من كلمتين (إختبار نفسي) .
(أنظر ، عبد الدايم ، عبد الله : التربة التجريبيّة والبحث التربوي ، هامش ص ٢٧٢) .

إلى هـذا الأسلوب من الاختبارات " طـرق الفحـص الجديـدة الـتي تلجـأ إلى الروائز لا تمتـاز عـن الفحـوص التقليديّـة إلاّ بمـيزة واحـدة ، وهـي أنّ رقابـة موضوعيّة عن طريقها تتمّ مراقبة دقّة الاختبارات وقيمتها بواسطة تحديد معـاملات الانسجام والثبات والتنبّؤ ... غير أنّ هـذه الطـرق الفنيّـة الجديـدة الـتي تلجـأ إليهـا الروائز يمكن أن تطبّق إلى حدّ ما على الفحوص التقليديّة نفسها، وبهـذا تسمح لنـا أن نقدّر الثقـة التي تستحقها، وأن نتحقّق من أنّ هذه الثقة يمكن أن تزداد بفعـل هذه التعديلات التي تدخلها هذه الطرق [1] ".

٢ ـ الهدف من التقييم :

إنّ الهدف من التقييم هو معرفـة نمـو الطـالب في جميـع نواحـي شـخصيّته ، مـن النواحي العقليّة والعمليّة والنواحي العاطفيّة والوجدانيّة والاجتماعية والمهارات . لكن مـن جميع هذه النواحـي، فـإنّ التقييـم في الاختبـارات التقليديّـة يقتصـر علـى النواحـي العقليّـة وحدها، حيث يتمّ التركيز على الحفظ فقط دون الاهتمام بالنواحي الأخرى .

ويحدّد نظام الاختبارات المعتمد في المؤسسة التربويّة أسلوب التقييم الـذي تسـير عليه المؤسسة ، ويلاحظ أنّ التقييم قد يعتمد على التقديـر الشـخصي أو الذاتـي للمعلّـم ، ومن ذلك أسئلة المقال التي تقتضي الإجابة عن السؤال عدّة أسطر أو صفحات .

ويرى إبراهيم عصمت مطاوع وواصف عزيز واصف أنّ مـن أسـاليب التقويـم الموضوعيّة ، أن تكون الأسئلة بحيث تكون الأجوبة عليها محدّدة تماماً ، في كلمة أو يوضـع علامة أمام الإجابة الصحيحة أو إختبار إجابة صحيحة ، وهذا النـوع مـن الأسـئلة عـلاوة على دقّته يجعل التصحيح عمليـة سـهلة ، إلاّ أنّـه يجـب أن يراعـى في الاختبـار الموضوعـي الأمور التالية :

١ ـ أن يتناول جميع أهـداف المنهـج : المعلومـات ، والميـول ، والمهـارات والاتجاهـات والتفكير ، والقِيَم .

---

[1] ـ عبد الدايم ، عبد الله : التربية التجريبيّة ، ص ٤٢ .

٢ ـ ألاّ يقتصر على قدرة الطالب على الحفظ ، وإنّما يحاول أن يقيس المستويات العليا من التفكير مثل الفهم، والتطبيق، والتحليل والتركيب ، والحكم .

٣ ـ أن يغطي الاختبار أغلب المقرر .

٤ ـ أن تكون تعليمات الاختبار واضحة .

٥ ـ أن تكون الصياغة واضحة .

٦ ـ أن تكون الطباعة واضحة ، ومكان الإجابة واضح ومناسب .

٧ ـ أن تكون الإجابة محدّدة ولا تحتمل الجدل أو تعدّد الإجابات .

٨ ـ أن يعدّ المعلّم نموذجاً للإجابة أو مفتاح الإجابة حتّى يسهل التصحيح .

٩ ـ أن تكون هناك كميّة وفيرة منه للاستخدام عند الحاجة [1] .

ـ التقييم بمعناه الصحيح :

لا يقاس التقييم الصحيح بما يحصّله التلميذ من معلومات ، فالاختبارات جزء من التقييم ، وإنّما يشمل التقويم المؤسسة التربوية ، إنّه تقييم لعملية التعلّم والتعليم واتّجاهات الطلاّب وميولهم وطريقتهم في التفكير وعاداتهم .

ويخلص رشدي لبيب أهداف التقييم الصحيح بالأمور التالية :

١ ـ تحديد مدى وسرعة نمو التلميذ نحو بلوغ الأغراض أو الأهداف التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها .

٢ ـ تشخيص نواحي القوّة والضعف في عملية التعلّم ، ممّا يساعد المعلّم على الاستمرار أو التعديل في طريقته وتخطيط عمله ، وما يصحب ذلك من نشاط تعليمي حتّى تتحقّق النتائج المرجوة .

---

[1] ـ أنظر ، مطاوع ، إبراهيم عصمت . واصف ، واصف عزيز : التربية العمليّة وأسس طرق التدريس ، ص ٨٣ ـ ٨٤ ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٣ ـ مساعدة الطالب على فهم نفسه ، من حيث التحصيل ومدى إمكانياته ، حتّى يتسنّى له ولمعلّمه كشف نواحي ضعفه وقوته ، ممّا يساعد على توجيه عمليّة تعلّمه ونموّه الفردي .

٤ ـ مساعدة أولياء الأمور على فهم أبنائهم من حيث مدى نموّهم وميولهم وإمكانيّاتهم المحتملة من ناحية التحصيل والقدرة على التعلّم .

٥ ـ أن تتّصف عملية التقييم بالصفات أو المميزات التالية :

أ ـ تشتمل على كلّ الوسائل اللازمة لجمع المعلومات عن سلوك الطالب وتصرّفاته ، وتهتمّ بنموّه كما تهتمّ بنموّه في الجماعة .

ب ـ تستمر على فترات متعاقبة خلال العام الدراسي ، وهي عمليّة تشخيصيّة وعلاجيّة في آن واحد .

ج ـ تقدّر الطالب من الناحية التعليميّة والعقليّة وصفاته الشخصيّة ، كأوجه مترابطة ومتّصلة ببعضها ، وتعطي فكرة متكاملة عن الطالب .

د ـ عمليّة التقييم عمليّة كليّة متكاملة ، يشترك فيها التقدير الذاتي ، أو الشخصي مع التقدير الموضوعي ، بمعنى أنّ التقدير الذاتي يمكن أن يشتمل على ملاحظة التلميذ ، وكتابة التقارير المختلفة عنه ، والمقابلات الشخصية والاختبارات الشفهيّة واختبارات المقال [1] .

٣ ـ الاختبارات في الفكر التربوي الإباضي :

تستوحي المدرسة في أيّ مجتمع فلسفتها التربويّة من فلسفة المجتمع الذي توجد فيه ، وتبني مناهجها وفق فلسفته وتقاليده ومشكلاته التي يعاني منها ، وتطلعاته المستقبليّة وطموحاته ، ولا تخرج المناهج في المدرسة الإباضيّة على أنّها ترجمة لواقع المجتمع الإباضي واستشرافه . ولا يمكن فصل أسلوب الاختبار عن التصوّر التربوي ، وقبل تناول الاختبارات في الفكر التربوي الإباضي تُطرح الأسئلة التالية :

---

[1] ـ أنظر ، لبيب ، رشدي ، وآخرون : الأسس العامّة للتدريس ، ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

- لماذا نريد كذلك ؟

- ماذا نحاول أن نحقّق ؟

- كيف يمكن أن تكون عملية الاختبارات ؟

إنّ أولى عملية التقييم هي الإلمام بالتصوّر التربوي للمؤسسة التربويّة ، والتصوّر التربوي الإسلامي يهدف إلى تحقيق أمرين هما :

أ - الإنسان العابد ، حيث يصير الإنسان ، كلّ إنسان عابداً " وذلك هو الهدف النهائي الكلّي للتعليم والتربية في الإسلام [1] ". فالله سبحانه وتعالى خلق الناس جميعاً بهدف عبادته، وبعث الرسل معلّمين ليعلّموا البشريّة التوحيد ، وكيفيّة أداء العبادة لله تعالى بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ [2] ﴾ .

ويربّي الفكر التربوي الإباضي ناشئته على الالتزام بمفاهيم المذهب الإباضي في تطبيق المنهج الرباني الذي هو "منهج حياة يستغرق كلّ الحياة، ويشتمل على ما يقوم به العبد من أقوال وأعمال وأحاسيس أو أيّ جزء من سلوكه [3] ".

ب - الأمّة الرائدة التي تأخذ دورها بين الأمم ، وتحمل راية التوحيد إلى الأمم جميعاً تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتدعو إلى الخير امتثالاً لقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [4] ﴾ .

---

[1] - جلال ، عبد الفتاح : من الأصول التربويّة في الإسلام ، ص ٧٩ .

[2] - سورة النحل ، الآية ٣٦ .

[3] - جلال ، عبد الفتاح : من الأصول التربويّة في الإسلام ، ص ٨٢ .

[4] - سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

يسعى الفكر التربوي الإباضي إلى تحقيق الريادة عن طريق الإمامة الإباضية ، ولن تقوم هذه الإمامة إلاّ بفضل دعاتها الذين تأهّلهم مدارس العزابة .

لقد حدّد الفكر التربوي الإباضي الأغراض التي تسعى مدارس العزابة إلى تحقيقها وهي نشر مذهبهم وتكوين جماعتهم لتكوين النظام السياسي ، أي التربية من أجل هذا الهدف السياسي .

وحدّدت كيفيّة تحقيق ذلك ، والوسائل التي اعتمدتها في الاختبارات هي المناقشة والمناظرة " لما للمناظرة من أثر في شحذ الذهن ، وتقوية الحجّة وإطلاق اللسان ، والقدرة على الارتجال وجودة التعبير ، علاوة على ما لها من أثر في حرّيّة الفكر والثقة بالنفس [1] ".

وتظهر المناظرة المعلومات ، وتسكبها وتنسّقها ، وتجعل الطالب يحسن استخدام معلوماته وحفظة لأنّ " العلم ميت ، وإحياؤه الطلب ، فإذا حيّي بالطلب فقوّته بالدرس، فإذا قوي بالدرس فهو محتجب وإظهاره بالمناظرة [2] ". وبالمناظرة يردّ على الخصوم ، وإذا لم يحسن الطالب أسلوب المناظرة لا يستطيع الدفاع عن مبادئه والدعوة إلى مذهبه .

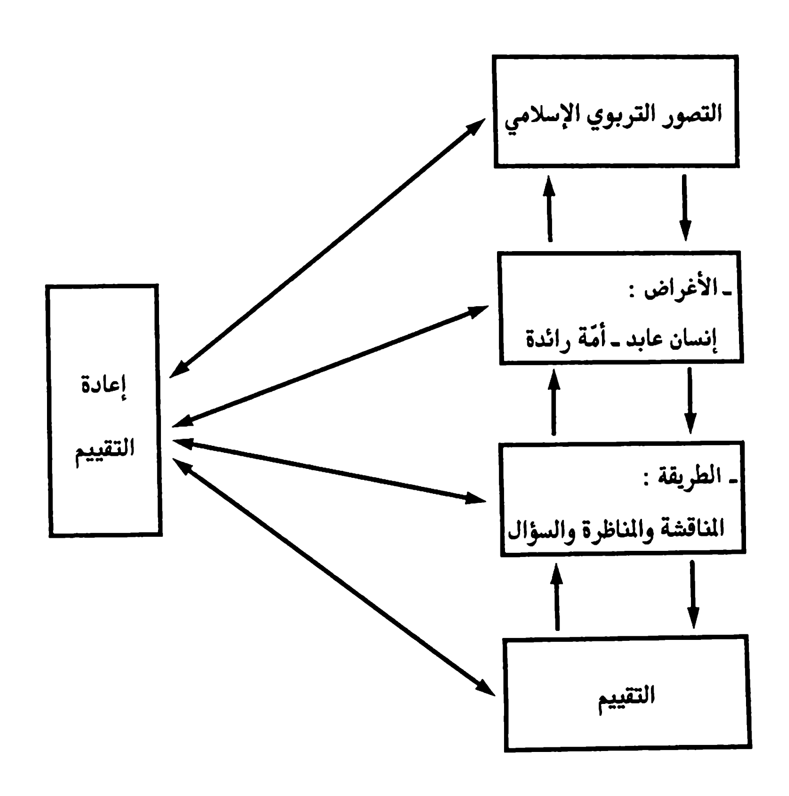
وعندما نريد دراسة نتائج التقييم ، أو إدخال تحسينات تؤخذ كلّ هذه الأهداف والعوامل بالحسبان . لأنّ تلك الأهداف والعوامل

---

[1] ـ السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب : طبقات الشافعيّة الكبرى ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ، تحقيق محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٤ .

[2] ـ الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي : الفقيه والمتفقه، ج ٢ ، ص ٣٣ ـ ٣٤ ، تحقيق إسماعيل الأنصاري ، الرياض، مطبعة القصيم ، ط ٢ ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

متداخلة ومترابطة وتتأثر ببعضها البعض ، ويمكن تصور التقييم على النحو التالي :



أ ـ المحاضرة :

استغلّ الفكر التربوي الإباضي أساليب تقييم تخدم أهدافه ، فكانت المحاضرة وسيلة من وسائل تقييم الطلبة الكبار. وتكون مرتجلة، وقلّما يأتي بها الطلاّب مكتوبة ، فجلّهم يكتب عناصر المحاضرة ونصوصها ، ثمّ يلقيها مرتجلاً ، لأنّ الغرض منها تدريب اللسان على الفصاحة، والعقل والتفكير ، وتقوية الشجاعة الأدبيّة في النفس، وأكثر ما يكون ذلك بالارتجال .

ويحاضر الطالب بالعربيّة الفصحى، ولا يجوز لشخص أن يحاضر باللغة الدارجة، وترى المحاضر تعوزه العبارة فيتعثّر ويتوقّف ، ويسير مترنحاً كأنّه يمشي على حبل في الهواء لأوّل مرة ، ومع هذا لا يجوز له أن يستنجد باللغة الدارجة ، بل يعصر ذهنه إلى أن يجد العبارة بالفصحى ، ويقع مثل هذا للخطيب المرتجل .

وتدوم المحاضرة، غالباً، نصف ساعة، وقد يزيد المقتدون الذين يطرقون مواضيع مهمّة أكثر من هذا الوقت ولا يزيدون على ساعة ، وإذا انتهى المحاضر يناقشه الحضور في موضوع محاضرته ، ويبيّنون له أخطاءه ومواطن ضعفه .

يكلّف الطلاّب جميعهم بالخطابة، وإذا خطب أو حاضر كلّ الطلاّب، أعادوا . وقد يخطبون أو يحاضرون في السنة مرتين أو ثلاثة مرّات [1] .

ب ـ المناظرة :

تكون المناظرة بين طالبين يختار كلّ منهما موضوعاً ينصره أو نظريّة يتشيّع لها ، والمواضيع والمناظرات تعيّنها العزابة ، فيستغرق الطالبان المتناظران في البحث والقراءة والتأمّل أسبوعهما كلّه ، فيستفيدان علماً كثيراً ، ويقلّب كلّ منهما فكره في النظريّة التي يناصرها ليعلم كلّ مزاياها فيحتجّ بها ، ويمحّص نظريّة صاحبه ، وموضوعه ليقف على نواحي الضعف فيه ليهاجمه فتترقّى عقول المتناظرين ، ويتعلّمان دقّة الملاحظة والاحتجاج والدفاع عمّا يعتقدان ، كما يتعلّمان أشياء كثيرة بما لا يعرفانها .

---

[1] ـ أنظر ، دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر ، ج ٣ ، ص ١٢٥ .

وتكون أغلب المناظرات مرتجلة لا مكتوبة ، وهي بالعربيّة الفصحى . والغرض الأكبر من المناظرة هو تدريب اللسان ، وكان الحماس الذي يكون في المناظرة يطلق الألسنة من عقالها فتفصح .

والحكم في المناظرة من أعضاء العزابة، وما أن ينتهي المتناظران حتّى ينبري الأعضاء للنقد والتوجيه والترجيح ، فإنّ نال أحدهما أغلبيّة كان هو الفائز [١] .

ولم يكن في مدارس العزابة إختبارات من النوع المعروف اليوم ، بل كانت العلوم كلّها تتقن بالمطالعة والمراجعة المتكرّرة ، وبحفظ المتون ، وكان نضوج الطالب في العلم يظهر بأعماله كلّها في مدة طويلة ثمّ يجيزه الشيخ . فإذا ختم الطلاّب الكتاب في علم ، أذنوا للأقوياء الناجحين بالإرتقاء إلى طبقة أعلى ، وأمروا الضعفاء بإعادة الكتاب أو جزء منه [٢] .

ج ـ الاختبارات الدوريّة :

لا تفرد المصادر الإباضيّة فصولاً للاختبارات الدوريّة خلال الحديث عن نظم التربية في مدارس العزابة ، ولكن يمكن إستخلاص معلومات عن هذه الاختبارات من خلال حديث هذه المصادر عن سير الدراسة في مدارس العزابة ، والتي يمكن تقسيمها إلى أربعة أنواع :

١ ـ الاختبارات اليوميّة ، التي يجريها العريف وهي :

أ ـ الاختبار ، الذي يجريه العريف عند إبتداء الدروس اليوميّة لتأكّد من حفظ التلاميذ ، ولاختبار مدى استيعابهم للمعلومات التي لقّنها أو أملاها عليهم في اليوم السابق .

ب ـ إختبار الثقافة العامّة، الذي يجري عند الوجبة الإضافيّة وقت الضحى .

---

(١) ـ أنظر ، دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر ، ج ٣ ، ص ١٢٧ .

(٢) ـ أنظر ، دبوز ، محمد علي : المرجع السابق ، ص ٩١ ـ ٩٢ .

ج ـ إختبار الثقافة العامّة ، الذي يجري عند الوجبة الإضافيّة بعد صلاة العصر .

٢ ـ الاختبارات اليوميّة، التي يجريها شيخ العزابة عند ختمة الغداء وختمة المساء ، ففي هذه الأوقات يقوم الشيخ بالإجابة على أسئلة الطلبة واستفساراتهم، وإختبار معلوماتهم العامّة ودرجة تحصيلهم العلمي ، وتكون هذه الاختبارات للتلاميذ والمعلّمين في آن واحد . ويوبّخ الشيخ العريف إذا وجد أنّ معظم تلاميذه كسالى ، ولا ترقى معلوماتهم إلى المستوى المطلوب منهم ، وفقاً للمرحلة الدراسيّة التي ينتظمون فيها .

٣ ـ الاختبارات الأسبوعيّة ، التي لا تختلف في كيفيّتها عن الاختبارات السابقة ، ويقوم بها ، عادة ، الشيخ أو مستنابه يومي الإثنين والخميس من كلّ أسبوع .

٤ ـ الاختبارات السنويّة، التي تجري في آخر العام الدراسي ، والتي بموجبها يرقى التلميذ من مرحلة دراسيّة معيّنة إلى المرحلة العليا التي تليها ، وفي هذه الحالة فإنّ مجلس العزابة يصادق على نتيجة الاختبار، ويوصي بالترقية أو عدمها .

وإن كانت المصادر لا تشير إلى كيفيّة هذه الاختبارات ، هل هي شفهيّة أم خطيّة ، إلاّ أنّه من المرجّح أنّ هذه الاختبارات كانت تجري على شكل سؤال وجواب، أو حوار ومناقشة حول موضوع معيّن، أو مسألة محدّدة [1] .

د ـ الاختبارات السلوكيّة :

لا تكتفي مدارس العزابة بالاختبارات التي تنمّي المعلومات الثقافيّة والشخصيّة، بل لا بدّ أن يجتاز الطالب اختبارات سلوكيّة ومن هذه الاختبارات :

---

[1] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٢ ـ ١٨١ .
٢ ـ البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص ٢٠٧ ـ ٢١٨ .
٣ ـ الجعبيري ، فرحات : نظام العزابة ، ص ١٤٢ .
٤ ـ خليفات ، محمد عوض : النظم الاجتماعيّة والتربويّة ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

١ ـ الالتزام بقوانين العزابة ، وذلك عندما يرتقي الطالب من دور القرآن الكريم إلى دور التلاميذ ، بعد أن يحفظ القرآن الكريم ، فيلبسه شيخ العزابة زيّ العزابة ، ويأمره الالتزام بالوصايا التالية " الابتعاد عن السفهاء والأشرار ، وملازمة الصالحين الأتقياء ، وعمارة المسجد بحضور صلاة الجماعة في كلّ الأوقات ، وحضور دروسه ، وعمارة دار التلاميذ وحضور دروسها ، وحفظ المتون في العلوم ، وخدمة دار التلاميذ : تنظيفها ، وإسراج مصابيحها والقيام بها ، وتوزيع تمر الحُبُس اليومي على التلاميذ في وقته [١] ".

ويحثّه على المواظبة في حفظ القرآن الكريم ويقول له " إنّ القرآن الذي حفظت خزانة الكنوز العظمى حصلت عليها ، فعليك بالجدّ في الحصول على مفاتيحها لتغنم منها، وهي العلوم العربيّة والشرعيّة، بدونها لا تستفيد من القرآن [٢] ".

ويقول له في آخر هذه الوصايا الجملة التقليديّة التي تقال لكلّ تلميذ جديد " هذه هي شروط دار التلاميذ ، فإن قبلتها فمرحباً بك ، وإن كنت لا تستطيعها فخذ صدقتك وانصرف [٣] ".

٢ ـ المساعدة في تعليم صغار التلاميذ الصلاة ، ومراقبتهم ليصلّوا بالطهارة والوضوء ، ويتقنوا صلاتهم ، ويؤدّوها في المسجد مع الجماعة [٤] .

ومن أدب الطلبة مع العرفاء ومشايخهم وإجلالهم لهم " أنّهم إذا تحدثوا إليهم يبدأون كلامهم بالدعاء لهم ويمزجون به حديثهم إليهم ، ومعني هذه الكلمة (إبارَك فِيك) بارك الله فيك [٥] ".

---

[١] ـ دبوز ، محمد علي : أعلام الإصلاح ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

[٢] ـ دبوز ، محمد علي : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

[٣] ـ دبوز ، محمد علي : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

[٤] ـ دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

[٥] ـ دبوز ، محمد علي : أعلام الإصلاح ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

ـ استنتاجات :

إنّ أنظمة الاختبارات السائدة في مدارس العزابة تتوافق مع التصوّر التربوي للمذهب الإباضي، وتتوافق مع قدرات الطلاّب، فمن كان متفوّقاً انتقل إلى مرحلة أعلى ، ومن لم يكن كذلك أعتني به حتّى ينتقل إلى المرحلة اللاحقة .

بيد أنّ الاختبارات المعاصرة في البلاد العربيّة والإسلاميّة، بسلبيّاتها وإيجابيّاتها، تفرز نوعاً واحداً من المتفوّقين عقليّاً ، هم ، في معظمهم ، أصحاب القدرات الخاصّة في الاستظهار والحفظ ؛ " والمتتبّع لتطوّر الأنظمة التعليميّة في البلاد العربيّة يلاحظ وكأنّ الأنظمة التعليميّة وجدت لاختبار هذه الفئة ذات المستوى الرفيع من القدرات الخاصّة في التحصيل الأكاديمي وبعض الاستعدادات العلميّة النظريّة وأهملت البقيّة من المتوسطين وأصحاب المواهب والاستعدادات والميول وهم الكثرة والأغلبيّة [1] ".

وهذا يستدعي الإصلاح ، إصلاح في النظام التربوي . والإصلاح يبدأ عندما تعي الأمّة ذاتها ، وعندما تدرك بوضوح ما هو دورها في الوجود ؟ وماذا يجب أن تكون عليه ؟ " لأنّ العمليّة الإصلاحيّة هي عمليّة شرعية وأخلاقيّة ؛ فهي عمليّة شرعيّة لأنّها تستلزم الاختبار وإرادة الأفضل والاقتناع بأنّه كذلك باتّفاق ، وهي أخلاقيّة لأنّها تقوم على شعور الأمّة بمسؤوليّاتها نحو ما تختاره أمام أجيالها المتعاقبة ، وبالنسبة أيضاً إلى عقيدتها ورسالتها ودعوتها، كلّ ذلك طواعيّة واقتناع وتتبنّاه عن رضا وحرّيّة [2] ".

إنّ العالم يتطوّر بسرعة مذهلة ، وعلينا إيجاد نظام تربوي نابع من عقيدتنا وتصوّرها التربوي ، وعدم الانبهار بتربيّة أجنبيّة دخيلة تثبت كلّ يوم فشلها الأخلاقي ، وترتفع أصوات في الغرب قائلة "دعونا نستعرض قائمة متعدّدة وإن اختلف كلّ منها عن

---

(1) ـ الراوي ، مسارع حسن : دراسات حول التربية في البلاد العربيّة ، ص ١٦٢ ، صيدا (لبنان) ، المكتبة العصريّة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(2) ـ مدني ، عباس : مشكلات تربوية في البلاد الإسلاميّة ، ص ٥٩ ، مكّة المكرّمة ، مكتبة المنار ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

الآخر من حيث طبيعته وآثاره، فهي تشترك جميعاً في كونها أعراضاً عالميّة النطاق ، فهناك موجات العنف ، خاصّة في المدن الكبيرة ، ونشاطات عصابات المافيا على المستوى القومي التي تتحوّل إلى شبكات دوليّة ، وهناك أيضاً إنتشار ظاهرة إدمان المخدرات وما يرتبط بها من جرائم ، والإباحيّة الجنسيّة العدوانيّة ، والانحرافات السلوكيّة التي تستغلّ بواسطة الصحافة وأجهزة الإعلام وأجهزة الدعاية والإعلان [1] ".

إذا كان هذا هو رأي علماء الغرب بنظامهم التربوي ، فما هو رأي دعاة التغريب والمبهورين بالنظم التربويّة الغربيّة ؟

ـ النشاطات اللامنهجيّة :

١ ـ *الترويح في التربية الإسلاميّة :*

عنيت التربية الإسلاميّة بتقوية الجسم وإعداده لمواجهة متطلبات الحياة ، بما فرضه الله تعالى على المسلم من واجب الدعوة إلى الإسلام ، وما يتطلّبه هذا الواجب من جهاد .

وحثّ الإسلام على الرياضة لأنّ فيها تنسيقاً للجسم وتجديداً لخلاياه ، امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ [2] ﴾ والعقيدة الإسلاميّة ليست معلومات يقينيّة فقط ، بل سلوك يقتديه المسلم مع نفسه ، وفي تعامله مع غيره بالشعور الإيماني بمراقبة الله تعالى له ، وبمسؤوليّته الشرعيّة عن أعماله ، ولذا فهو يقف عند حدود الله تعالى ويسارع إلى طاعاته .

والنشاط الرياضي ، أو ما يطلق عليه الترويح التربوي في الإسلام، ينضبط بضوابط تذكّر الإنسان بمسؤوليّته الشرعيّة . وإذا استطاع الإنسان أن يملك نفسه في مثل هذه المواقف المغرية فهو فيما سواها أملك لها .

---

[1] ـ كينج ، الكسندر . شنيدر ، برتراند : الثورة العالميّة الأولى ، من أجل مجتمع عالمي جديد ، تقرير نادي روما ، ص ١٢٥ ، ترجمة وفاء عبد الإله ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٢ .

[2] ـ سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

يحدّ الترويح التربوي في الإسلام " من غلوّ العباد الذين لا يرون في الحياة إلاّ الجدّ المرهق والعمل المتواصل ، كما أنّه يحدّ من غلوّ المفرطين الذين يرون الحياة فرصة للمتعة المنطلقة ، ويشعر هؤلاء وهؤلاء أنّ هذا الدين وسط ، وأنّ التوازن مطلوب ، وأنّ قدوتهم رسول الله ﷺ ، وما كان ﷺ في هذا الأمر إلاّ متوسطاً [1] ".

ويسهم الترويح بتدريب وتنمية قدرات الإنسان العقليّة وفي " إبعاد الخمول والكسل الفكري وزيادة قدرات الإنسان على التركيز والتفكير ، وهذا يتجلّى في أنماط من الترويح مثل الكتابة الابتكاريّة والمناقشات والتمثيل [2] ".

أ ـ أثر الترويح التربوي على الطلاّب :

يتيح الترويح التربوي أمام الممارسين له طرقاً فعّالة للتفكير العلمي في المواقف المختلفة " ويشارك في تنمية قدراتهم على التنظيم والتحليل والتفسير والإدراك والملاحظة ويزوّدهم بالقدرة على التعبير الدقيق، ويعرضهم لخبرات ومهارات وأفكار جديدة، تثري تفكيرهم وتسهم في بنائهم العقلي المستقلّ [3] ".

ويحارب الترويح التربوي في الإسلام كلّ ما من شأنه التقليل من مكانة العقل أو الحدّ من نشاطه، ولا يغفل الترويح في الإسلام عن استغلال مواقف الترويح والتسلية، وما فيها من راحة واسترخاء لصالح عقل الإنسان ومعارفه " ولذا فهو يسهّل عمليّة التعليم والاكتساب المعرفي ، وما ذلك إلاّ لأنّ الاسترخاء شرط هام للتعليم الجيّد ، ولذا فالتعليم حين يمتزج بالضغط والإكراه ، فإنّه يؤخّر الإنسان أكثر ممّا يدفعه للتقدّم ، فالتعليم الفعّال هو التعليم المشوّق ، فالشخص المتوتّر لا يكون مستقبلاً ولا مستجيباً للمثيرات الجيّدة [4] ".

---

[1] ـ العودة ، خالد بن فهد : الترويح التربوي ، رؤية إسلاميّة ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ، الرياض ، دار المسلم للنشر والتوزيع ١٤١٤هـ .

[2] ـ السيد ، تهاني عبد السلام : أسس الترويح والتربية الترويحيّة ، ص ٨ ، مصر ، دار المعارف ١٩٧٩ .

[3] ـ عبد الوهاب ، جلال : النشاط المدرسي ، ص ٣٩ ، الكويت ، مكتبة الفلاح ١٤٠١هـ .

[4] ـ فنكس ، فيليب : فلسفة التربية ، ص ٣٩١ ، القاهرة ، مكتبة النهضة العربية ١٩٨٢ .

ويظهر أثر الترويح التربوي على الطلاّب في الأمور التالية :

١ ـ المحافظة على الصحة الجسديّة :

يسهم الترويح واللعب في تنشيط صحة الجسم ونموّه ، بما يتيحه من ممارسات رياضيّة تنمي عضلات الجسم الكبيرة والصغيرة وتنشط الوظائف الحيوية للطالب ، من خلال إكسابه اللياقة البدنيّة ، التي تعمل على تكييف أجهزة الطالب ورفع مستوى كفايتها الوظيفية " إذ من خلال الأنشطة البدنيّة يكتسب الفرد القوّة والسرعة والجلد العضلي والتحمّل الدوري والتنفسي والقدرة العضليّة والرشاقة والمرونة ، والتوافق العضلي والعصبي ، وتحسين عمل الجهاز القلبي الوعائي ، والتنفس والسعة الحيوية ، وعمل الكليتين ، والكبد ، وبقيّة أجزاء الجسم ممّا يساعد على الارتقاء بمقومات اللياقة البدنيّة في الإنسان [١] ".

٢ ـ الإسهام في التنمية الخلقية :

يتيح الترويح فرصة كبيرة لتدريب الطلاّب على ممارسة السلوك الإسلامي في الحياة، سواء في المعاملات والعلاقات أو في حالات اللعب والمرح ، والدرس والعمل .

ويرجع إسهام الترويح في التربية الخلقيّة إلى أنّه يعتمد على العلاقات والتفاعلات الطيّبة والموجّهة والبنّاءة ، وعلى القدوة الحسنة ، وعلى التطبيق العملي أكثر من اعتماده على الوعظ المباشر .

ومن أهمّ القِيَم الأخلاقيّة التي يعمّقها الترويح " قِيَم التعاون والمنافسة الشريفة، وتحمّل المسؤوليّة، واحترام آراء الآخرين ورعاية مصالحهم [٢] ".

---

[١] ـ حلوان ، عدنان ، وآخرون : دليل التربية الرياضيّة ، ص ٢٢ ، المدينة المنوّرة ، دار التراث ١٤٠٩هـ .

[٢] ـ عبد الوهاب ، حلال : النشاط المدرسي ، ص ٥١ .

٣ ـ الإسهام في تنمية المعرفة :

لا يقتصر دور الترويح التربوي على تهيئة الاستعداد للتقبّل العلمي فقط ، وإنّما يتعدّى ذلك إلى تنمية قِيَم المعرفة مثل تدريب الطالب على التعليم الذاتي، والتفكير العلمي ، والاهتمام بالمهارات الأساسيّة للتعليم مثل مهارة القراءة ، والاستماع والمشاهدة والمناقشة والتفكير . و "يؤدّي وظيفة تشخيصيّة، إذ إنّه يساعد على إتاحة الفرصة لظهور مواهب التلاميذ وإبراز ميولهم ، فيسهل اكتشاف المواهب، ويعمل على تنميتها وتوجيهها في الاتجاهات السليمة، ويأخذ بيد الموهوبين للنموّ في مجالات التفوّق والخلق والابداع [١] ".

ويسهم في تقديم المعلومات ، مثل تلك التي لها علاقة بنوع النشاط ، أو تاريخه أو بيئته ، أو طريقته . فالرحلات مثلاً تزوّد الطالب ، إضافة إلى الخبرات العمليّة ، بمعلومات جديدة " مثل بعض المعلومات الجغرافيّة والطبيعيّة وبعض المعلومات التاريخيّة ، والمعلومات التي تتصل بأساليب السفر ، وطرق التعامل مع وسائل المواصلات وخطوات السفر [٢] ".

٤ ـ الاسهام في التكيف النفسي السليم :

يخلّص الترويح الطالب من التوتّرات والصراعات الداخليّة ويتيح له التنفيس عن مشاعره وانفعالاته ، ويشبع فيه حاجات أساسيّة لديه ، كالحاجة إلى تحقيق الذات والتعبير عنها والتنفيس عن المشاعر والانفعالات ، وبدوره يسهم في علاج بعض المشكلات النفسيّة ، أو الاجتماعيّة ذات الأثر النفسي ، وذلك عن طريق تنمية الميول والمهارات ، وعن طريق شغل وقت الفراغ ، وعن طريق إشعار الإنسان بقدرته على التعبير عن نفسه وقدرته على الإنجاز والنجاح ، وعن طريق ما يتيحه له من احتكاك إجتماعي مع الآخرين من الأسوياء [٣] .

---

[١] ـ أنظر ، عبد الوهاب ، جلال : النشاط المدرسي ، ص ٤٧ .

[٢] ـ حلوان ، عدنان : دليل التربية الرياضيّة ، ص ٢٣ .

[٣] ـ أنظر ، شحاته ، حسن : النشاط المدرسي ، ص ٣٢ ـ ٣٥ ، مصر ، الدار المصريّة اللبنانيّة ١٤١٠هـ .

٥ ـ الإسهام في تنمية الجانب الاجتماعي :

يؤدّي الترويح إلى إيجاد الطالب القادر على التفاعل مع مجتمعه مع ما يتطلّبه هذا التفاعل من فهم ووعي لقِيَم المجتمع وأخلاقه وما يفرضه على أفراده من واجبات ومسؤوليات . ومن صور ذلك " التكامل والتعاون بين الأفراد ، والتعاون بين أفراد المجتمع لدفع الأذى ، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ (المؤمنون في توادّهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسّهر والحمى[*]) [1] ".

وينمّي الترويح الروح الاجتماعيّة ، ويكفل لها ، بما يفرضه من ضوابط ، الاستمرار والنمو الإيجابي ، وذلك لأنّه ينشيء الطالب على حبّ الاجتماع وبغض الانفراد والعزلة .

ويحرص الترويح " على زرع القِيَم الاجتماعيّة والأخلاقيّة الجيّدة التي تسهم في تنمية هذا الجانب الهام ، فهو يمنع السخرية والإيذاء والظلم ومضايقة الآخرين والتعصّب للرأي وغير ذلك من القِيَم الاجتماعيّة والأخلاقيّة السيّئة ، وينمّي بدلاً من ذلك قِيَم الأخوّة والتفاهم والألفة والعدل والتسامح ، ويشعر الفرد بكرامته وبقيمته وبحقّه [2] ". ويشعر الطالب بالانتماء إلى مجموعة من البشر تتطوّر بتطوّره من مرحلة إلى أخرى .

وكانت الفروسيّة أهمّ نشاطات الترويح في التربية الإسلاميّة، والتي كانت " أربعة أنواع، أحدها، ركوب الخيل والكرّ والفرّ، والثاني : الرمي بالقوس، والثالث : المطاعنة بالرماح، والرابع : المداورة بالسيوف، فمن استكملها فقد استكمل الفروسيّة [3] ".

---

[*] ـ متّفق عليه .

[1] ـ الكيلاني ، زيد إبراهيم : القِيَم التربويّة الإيمانيّة وأسس بناء الشخصيّة الإسلاميّة ، ص ٩٧٨ ، سلطنة عمان ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

[2] ـ العودة ، خالد بن فهد : الترويح التربوي ، ص ٥٢ ـ ٥٣ .

[3] ـ ساعاتي ، أمين : الرياضة عند العرب في الجاهليّة وصدر الإسلام ، ص ٨٩ ، جده ، دار الأصفهاني للطباعة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

وكان رسول الله ﷺ يشجّع على ممارسة الفروسيّة ، وسابق عليه السلام بين الخيل مرّة على حلل أتته من اليمن فأعطى السابق الأوّل ثلاث حلل، وأعطى الثاني حلّتين ، والثالث حلّة واحدة، والرابع درهمين والخامس درهماً والسادس والسابع مكافأة [1] .

وإذا كانت التربية الإسلاميّة لم تتوسّع في موضوع الترويح كنشاط تربوي هادف ، إلاّ أنّها لا تمانع في أيّ نشاط ترويحي يتوافق مع الشروط العامّة لأهداف التربية الإسلاميّة . ويرى كمال درويش :

١ ـ " أن تنبثق الأهداف الترويحيّة من الأهداف التربويّة الإسلاميّة العامّة .

٢ ـ أن تكون خالية من التناقض فيما بينها .

٣ ـ أن تكون واضحة المعنى غير قابلة للتفسيرات والتأويلات المتعدّدة .

٤ ـ أن يسهل ترجمتها إلى أهداف أقلّ عموماً وأكثر تخصّصاً ثمّ إلى سلوك .

٥ ـ أن تتناسب مع مستويات المستفيدين ومع وظيفة المؤسّسة التربويّة التي تقوم بالترويح .

٦ ـ أن تكون قابلة للتأقلم مع الظروف والامكانيّات .

٧ ـ أن لا تقتصر على مجال آخر من مجالات الترويح المتعدّدة وتهمل ما عداه [2] ".

٢ ـ الترويح في الفكر التربوي الإباضي :

أوجد الفكر التربوي الإباضي ترويحاً تربوياً ينسجم مع أهدافه الداعية إلى قيام الدولة ، التي تسودها الأفكار والمبادئ التي آمن بها الإباضيّة ، وسعوا إلى تحقيقها . وتمثّل الترويح التربوي الإباضي في الأمور التالية :

---

[1] ـ أنظر ، علوي ، محمد كامل : الرياضة البدنيّة عند العرب ، ص ١٣٢ ـ ١٥٠ ، القاهرة ، دار النيل للطباعة ١٩٤٧ .

[2] ـ درويش ، كمال . وآخرون : الترويح الرياضي في المجتمع المعاصر ، ص ١٣٦ ، مكّة المكرّمة ، مكتبة الطالب الجامعي ١٤٠٦هـ .

أ ـ القيام بالرحلات المدرسيّة :

عرف المرّبون في مدارس العزابة أهمّيّة الرحلات المدرسيّة وقيمتها " واطلاع الطلاّب على بيئات غير بيئاتهم وتعرّفهم على غيرهم من الطلاّب ، واشتراك المدارس في دراسة المناهج ومناقشاتهم في مشاكلهم ، فأعدّوا هذه الرحلات ونظّموها ويسرّوا لها الأسباب ، وكان يقود هذه الرحلات مرّبون عرفوا بمقدرتهم وكفاءتهم ، فكانوا يتولّون تعليم الطلاّب ، واستثارة ملاحظاتهم ، وتفتيق أذهانهم لإدراك الفوارق الاجتماعيّة ، والمقارنة بينها ونقدها ، وهم في كلّ ذلك حريصون على ملاحظة آداب طلاّبهم ، وسلوكهم في سفرهم وإقامتهم ، فكانت هذه الرحلات تتيح للطلاّب مجالاً أوسع للاستفادة والتكوين الخلقي والاجتماعي ، وتتيح للمربي فرصة أفسح لدراسة نفسيّة الطلاّب ، ومعرفة أخلاقهم وسلوكهم [1] ".

وكانت هذه الرحلات تدرس بعناية لتحقّق أهدافاً دعويّة إباضيّة ، حيث كانت تقصد هذه الرحلات مواطن من يعتقد أنّه يمكن انخراطهم في المذهب الإباضي ، وبخاصّة مواطن الواصليّة " وهي فرقة من المعتزلة في جموع قويّة عدداً وعدّة بجهات المغرب ، وهم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زناته لهم رئيس في مدينة قريبة من مدينة طنجة ، وهو الذي بايع إدريس صاحب المغرب الأقصى ، وكان بنواحي تاهرت ، منهم فريق لا يقلّ عن ثلاثين وقيل من أربعين ألف مقاتل فيهم من مشاهير العلماء وأبطال الحرب وأولي الثروة عدد وافر لا ينكر قدره ... فاهتدت رجال هذه الفرقة إلى تأليف القلوب ، وبث روح التعارف بين أفرادها حتّى اتّحدت كلمتهم وتوحّد رأيهم ، فقامت تشقّ عصا الطاعة تأسّيا بابن فندين ، وتطلب الاستقلال والخروج عن حكم الإمام زاعمة أنّها في درجة يمكنها أن تحكم فيها نفسها بنفسها ، وأن تقوم بإدارة شؤونها ، وكأنّها رأت أنّ من العار عليها خضوعها لمخالف لها في المذهب مع وجود رئيس لها يدّعي الإمارة [2] ".

---

[1] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في ليبيا ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

[2] ـ الباروني : الأزهار الرياضيّة ، ص ١١٦ ـ ١١٧ .

لذلك كثرت الرحلات إلى مواطن المعتزلة في الصحراء والدعوة بينهم إلى المذهب الإباضي ، فكان أبو عبد الله محمد بن بكر " يخرج بالحلقة في أوان الربيع إلى بوادي بني مصعب لمآرب ، منها أنّه كان يطلب بذلك راحة خاطره وخواطر التلاميذ ، واستصلاحها وتدبير قوى أجسادهم واستصلاحها ، فإنّه علم ما في بلاد ريغ من رداءة الهواء وقلّة طيب الماء ، وأيضاً فإنّ بني مصعب كانوا واصليّة فعمّت عليهم بركته ، فرجعوا إلى دين الحقّ ، والطريقة المرضيّة [1] ".

ب ـ التدريب على الأعمال الشاقّة :

كان طلاّب مدارس العزابة يخرجون إلى الصحراء لجمع الحطب والاحتطاب ليأمّنوا الوقود لتسخين الماء للوضوء في الشتاء والوقود لطهي الطعام على مدار العام .

كانوا يخرجون إلى الصحراء لقطع أشجار النخيل التي تبرّع أصحابها بحطبها للمسجد أو مدارس العزابة ، فيخرج الطلبة إلى الاحتطاب في " أوّل يوم العطلة الأسبوعيّة، وفي ذلك اليوم يبكّر الطلبة في النهوض ، وبعد الفطور يسرعون جماعات إلى بساتين القرارة ، وعلى كل جماعة رئيس من الطلبة ، فيقصدون النخيل التي أعطيت لهم ، وعلى عواتقهم الفؤوس ، ومعهم عربة يجرّها حمارهم ، فيكشفون بالفؤوس عن عروق النخلة ، وهذا عمل يستلزم جهداً لأنّهم قد يحفرون أمتاراً كثيرة في أرض قد تكون يابسة، ويصعد أحدهم إلى رأس النخلة فيربط عنقها بحبل طويل فينزل ، فتجذب جماعة الطلبة كلّها الحبل في قوّة فتميل النخلة حتّى تقطعها ، فينزعون جريدها بالفؤوس، ثمّ تبدأ العمليّة الشاقّة في النخلة، وهي تقطيعها قطعاً يمكن رفعها في العربة .

إنّ هذا العمل يقوم به الطلبة مرّتين في الشهر ، ففي يوم الخميس التالي ليوم الاحتطاب من البستان ، يبكّر الطلبة جماعات على النظام المذكور ، ومعهم فؤوسهم

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

فيخرجون إلى فناء الحطب التابع لدارهم فيعمدون إلى الخشب الجافّ فيقطعونه أجزاء صغيرة فينضّدون ما يقطعون ألواحاً كثيرة [1] ".

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا العمل الشاقّ يعرّض الطلبة للشمس المحرقة ويرهقهم ، ولكنّه يبني أجسادهم ، وينمّي فيهم روح الإرادة والجلد والنشاط ، ويعلّمهم خدمة الجماعة ، ويعود عليهم بالجدوى .

ولقد امتدّ التعاون بين طلاّب مدارس العزابة إلى المجتمع ، وكما تعاون الطلبة على جمع الحطب فقد تعاونوا على بناء المجتمع . فعندما كان المواطن الإباضي يبني داره ، فإنّه لا يستدعي لبناء داره إلاّ البنّاء وحده ، وبقيّة الأعمال التي تستدعي عمّالاً كثيرين " يسرع إليها إخوانه فيقومون بها أحسن قيام في وقت قصير ، منهم الذين يستخرجون الجبس وحجر الجير من مقالعه خارج البلد ، وهم الذين ينقلون إليه الحجر الكافي من الجبل يقتلعونه بمعاولهم . وكذلك التراب والحصباء اللازمة للبناء ، وهم الذين يعجنون الجبس والجير ويناولونه البنّاء .

وترى صاحب الدار المبنيّة خفيف الكاهل ، يشرف على الأعمال وهي تجري في نشاط ونظام واتقان ، وفي غناء وطرب وسعادة . فيبارك الله في العمل الجماعي فيتمّ سريعاً ، وبنفقات قليلة ، بناء الدار الكبيرة الواسعة التي تتكوّن في الغالب من طبقتين أو ثلاث طبقات ذات حُجر عديدة ، وأغلب الجيران الذين يعملون بأنفسهم في البناء يحملون الطعام الكثير للبنّائين وأسرة صاحب الدار في الغداء [2] ".

ج ـ التدريب على الفروسيّة والقتال :

كان طلاّب مدارس العزابة يخرجون إلى الصحراء للتدرّب على القتال وحمل السلاح " وكان أكثر خروجهم إلى مزاته ، وكانت مزاته بإفريقية في قوّة عظيمة من مال

---

[1] ـ دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر ، ج ٣ ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

[2] ـ دبوز ، محمد علي : أعلام الإصلاح ، ج ١ ، ص ٩٧ .

ورجال وخيل ، وقالوا إنّهم كانوا إذ ذاك في إثني عشر ألف فارس وأمّا الرجال فلا يحصون كثرة [1] ".

كان الطلبة باختلاطهم بفرسان القبائل يعيشون أجواء المعارك ، ويأخذون منهم الأسلحة ليتدرّبوا على فنون القتال ويروي صاحب سِير الأئمّة " أنّ أبا القاسم وأبا خزر ومن معهما من التلامذة كانوا ببعض أحياء المغرب ، فقصد إليهم رجل من النكّار ، فأظهر الرجوع عن مذهبه إلى أهل الدعوة ، فمكث عندهم دهراً طويلاً يتعلّم ويتكيّف ... ثمّ إنّ أبا القاسم إنتبه ذات مرّة من القائلة ، فقام منتحيا عن الحيّ ، ليتهيّأ للصلاة ، وقد أخذ كلّ واحد من التلامذة في جهته يشتغلون في وظائف الصلاة .

فنظر الرجل النكاري إلى أبي القاسم منفرداً عن الناس مبتعداً عن الحي ، و لم يكن معه أحد ، فنظر إلى رماح التلامذة مركوزة بجانب خصّ فتيمّمها وأخذ منها رمحاً ، و لم يشعر به الشيخ فتبعه .

فلمّا بُعد الشيخ عن الحيّ ، قصد نحوه فطعنه من خلفه فأخذ الرمح من جانب الشيخ ، وخرج الرمح من ثيابه أمامه ، وكان الشيخ لابساً محشوّة فأخطأ الرمح جسد الشيخ فصادف محشوّته [2] ".

و لم يكن الخروج إلى الصحراء مأموناً ، فكثيراً ما تعرّض التلاميذ لجولات قاتلة، أودت بحياتهم وحياة أساتذتهم ومن هؤلاء أبي الربيع سليمان بن هارون اللالوتي، الذي كان يشرف على رحلات الطلاّب المدرسيّة في ليبيا " ففي إحدى هذه الرحلات هجم عليه بنو تيجن ، إحدى القبائل الضاربة على حدود الجبل ، فقتلوه هو وجميع طلاّبه ، ظنّاً منهم أنّهم قافلة محمّلة بالأرزاق [3] ".

---

[1] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

[2] ـ أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

[3] ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة في ليبيا ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

ومن الحوادث ما يؤدّي إلى قتل بعضهم ، ومن هذه الحوادث أنّ الشيخ أبا الربيع كان مع تلامذته في رحلة مدرسيّة " واتّصلت الأخبار إلى الشيخ وتلامذته أنّ منجار بن عقيل أراد اغتيالهم ، وأرسلت بذلك بنو يهراسن إلى الشيخ فكانوا كذلك ذات غدوة ، عند فراغهم من الصلاة ، فطائفة أخذوا في القراءة ، وطائفة لم يأخذوا في القراءة ، إذ سمعوا صيحة حول تمولست ، ابتدرت التلامذة إلى الرماح ، فحاز بعضهم على بعض ، فلمّا وصلوا الصيحة وجدوا منجار بن عقيل على خيل مغيرة على أهل تمولست وقتلوا رجلاً من التلامذة يقال له زيري الرنداجي ، فهربت التلامذة إلى الغار ، فلمّا وصلوا إلى باب الغار ، تراموا عليهم ، فانحجزوا فيه ، والشيخ أبو الربيع خلفهم فابتدرته العرب ونزعوا كسوته وجرحوه [1] ".

وغدا التدرّب على السلاح سمة يجب أن يتّقنها الإباضي " وكلّ رجل في ميزاب لا يملك السلاح ، ولا يحسن استعماله ، ولا يكون جلداً شجاعاً ، يحتقره الميزابيون ، وينبذونه ، وإذا خطب لا يزوّجونه ، هذه هي نظرة تلك العهود القديمة إلى أخلاق الرجولة واعتدادهم بها [2] ".

وبسبب هذه النظرة إلى الرجال ، وضرورة تدرّبهم الجيّد على حمل السلاح والقتال والدفاع عن المواطن الإباضيّة " كان كلّ رجل في ميزاب يتدرّب على الرماية ، منذ نعومة أظفاره بالحجارة أوّلاً ، ثمّ بالبندقيّة ، فبرع الميزابيّون في الرماية وفي صنع البارود والرصاص وفي أعمال الفروسيّة الأخرى [3] ". واستمروا على هذه الحال حتّى عصرنا الحاضر حيث يقومون بحراسة المدن الإباضيّة وحمايتها من اللصوص .

---

(1) - أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٢٨٩ .

(2) - دبوز ، محمد علي : أعلام الإصلاح ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(3) - دبوز ، محمد علي : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

ـ استنتاجات :

إذا تفحّصنا واقع النشاط الرياضي في عالمنا الإسلامي المعاصر ، نجد أنّ العالم الإسلامي تخلّف عن ممارسة النشاط الرياضي الذي خلّفه الترويح التربوي في الإسلام القائم على الفروسيّة والرمي والصيد والعدو .

ولقد أعطينا الاهتمام الزائد للألعاب الرياضيّة ، التي أتتنا من الغرب ، مثل كرة القدم وكرة السلّة وكرة المضرب ؛ وأغفلنا الاهتمام بالألعاب التي مارسها المسلمون .

فقد فرض الله ﷻ فريضة الجهاد في سبيله " وأمر المسلمين بحمل كره القتال واحتماله في سبيله ، وهو في غنى عن قوّة العرب المسلمين ، فهو القويّ العزيز ، ولكن بهذا التكليف لخير أمّة أخرجت لناس ، إنّما كان لصلاح الدنيا ؛ ولهداية الناس لما فيه خيرهم وصلاح أمرهم في الدارين ، ولم يترك الله ﷻ فريضة الجهاد حرّة من القيود ، ولا محرومة من الضوابط الناظمة للفريضة والموجهة . فالحرب في الإسلام حتميّة ؛ والقتال من طبيعة الحياة على أرض الله ؛ حتّى ينتصر الحقّ على الباطل ، وحتّى تظهر الفضيلة على الرذيلة ، وحتّى يعلو الخير على الشر [١] ".

ومن المؤسف أنّ الغرب قد عرف أهمّيّة هذه الألعاب " فالفروسيّة والرمي والصيد والعدو تحفل باهتمام واسع من قبل الأوروبيّين والأمريكيّين ، فلقد أخذ الأوروبيّون الجواد العربي ، وأنشأوا له الإسطبلات وكوّنوا له الأندية والمسابقات ، حتّى غدت سلالاته مصدر فخرهم واعتزازهم ، بل حتّى أصبحت الفروسيّة هيكلاً كاملاً للنشاط الرياضي في أرقى الدول وأعظمها [٢] ".

---

[١] ـ العسلي ، بسام : المذهب العسكري الإسلامي ، ص ٢٧ ، بيروت ، دار النفائس ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

[٢] ـ ساعاتي ، أمين : الرياضة عند العرب في الجاهليّة والإسلام ، ص ١٢٢ .

فهل نعود إلى النشاطات الرياضيّة التي تتمثّل في الفروسيّة والرمي والصيد والعدو امتثالاً للحديث الشريف : (ألاّ إنّ القوّة الرمي ، ألاّ إنّ القوّة الرمي ، ألاّ إنّ القوّة الرمي [*]) وكرّر الرسول ﷺ حديثه للترغيب في تعليم الرمي .

وهل نكون " عقلاء فنترك تقليد أوروبا في رياضتها الفارغة والمضرّة أحياناً ، فلنرجع إلى رياضة أبنائنا في الحقول في وقت فراغهم من الدراسة والعمل ، حيث يجدون وسائل مجدية تروّض أجسامهم وتبني فيهم الخلق العظيم . إنّ تسلق نخلة واحدة ومصاحبة الفأس الذي يحرّك العضلات ساعة واحدة أجدى على النشء من هذه الكرة التي يجري وراءها في الملاعب ، وتعلّمه أن ينظر دائماً إلى الأرض فينشأ خافض الرأس ، أمّا النخلة المباركة وتربية الحقل العظيمة فتجعله شجاعاً بطلاً قويّاً رافع الرأس ، لأنّ النخلة تعوّده أن ينظر دائماً إلى السماء [1] ".

إنّ رجال التربية الإباضيّين المعاصرين يتحسّسون أخطار النشاطات الرياضيّة ، التي أخذت تغزو المجتمع على حساب النشاطات الرياضيّة التي تتوافق مع أهداف العقيدة . والإصلاح يكون في إعادة توضيح المنهج الإسلامي وتفعيل الأنشطة التي تخدم أهداف المنهج الإسلامي، وتكون من أهم الوسائل لتحقيق الأهداف والغايات، التي نطمح إليها ، والتي رسمتها لنا عقيدتنا .

ـ العقاب :

١ ـ *التأديب في التربية الإسلاميّة :*

استخدم التأديب في التعليم عبر عصور الإسلام المختلفة . ويشكّل الثواب والعقاب شكلاً من أشكال الضبط الاجتماعي ، ويعينان المعلّم على أداء مهمّته التعلميّة .

---

[*] ـ حديث صحيح ، رواه مسلم في صحيح الإمام مسلم بشرح النووي ، ج ١٣ ، ص ٦٤ .

[1] ـ دبوز ، محمد علي : إعلام الإصلاح ، ج ١ ، ص ٩١ .

ولكي يؤثّر " فرد في الآخرين يجب أن يعتمد غالباً على قدرته على إثابتهم على صوابهم ، أو عقابهم على خطئهم ، ومن ثمّ فإنّ أحد أبعاد القوّة الاجتماعيّة هو القدرة على إثابة أو عقاب من يفرض أن تؤثّر فيهم [1] ".

ولقد أقرّت التربية الإسلاميّة إثابة الطالب على كلّ فعل حسن يأتي به ، وترى أنّ التشجيع والمكافأة يعزّزان السلوك المطلوب ، ويؤكّد ذلك ابن مسكوية بقوله " ويمدح هو - الطالب - إذا ظهر شيء جميل منه ، ثمّ يمدح بكلّ ما يظهر منه من خلق جميل ، وفعل حسن ويكرم عليه [2] ".

ويؤكّد ابن جماعة على أنّ الصبي إذا أنجز ما طلبه منه المعلّم " شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإيّاهم على الاجتهاد [3] ".

وتدعو التربية الإسلاميّة إلى عدم تكليف الطالب فوق قدرته الاحتماليّة ، وهذا مبدأ حرصت عليه التربية الإسلاميّة امتثالاً لقوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [4] ﴾ ويرون أنّ هذه الإثابة ينبغي أن تكون بقدر معقول ، وهو ما عناه القابسي بقوله " يضبطه بإحسانه ، في غير انبساط إليه ، ولا منافرة [5] ". وذلك لأنّ الإفراط في التشجيع ، قد يحفّز الطفل إلى مستوى أبعد عن حدود طاقاته وقدراته فيخفق ويصاب بالفشل "ويشعر حينئذٍ بالعجز والخيبة والضعف وييأس عن مواصلة النشاط ويحجم عنه ويتهيّب منه ، وفي هذا فقدان لثقته في نفسه ، وبالتالي لشعوره بالتقدير والأمن [6] ".

---

[1] - زهران ، حامد عبد السلام : علم النفس الاجتماعي ، ص ٨٨ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٩٧٣ .

[2] - ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ص ٢٠ ، القاهرة ، المطبعة الخيريّة ١٣٢٢هـ .

[3] - ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلّم ، ص ٥٤ .

[4] - سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .

[5] - القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين ، ص ٥٨ .

[6] - عبود ، عبد الغني : فلسفة التعليم الابتدائي ، ص ١٦٥ .

ولقد شغل التأديب، وبخاصّة الضرب، إهتمام المرّبين المسلمين الذين لم يسمحوا به إلاّ عند الضرورة ، ويتنوّع هذا العقاب ويختلف مراعياً الفروقات الفردية بين الطلاّب، فربّ " صبي يكفيه عبوس وجهه - المعلم - عليه ، وآخر لا يرتدع إلاّ بالكلام الغليظ والتهديد، وآخر لا ينزجر إلاّ بالضرب والإهانة، كلّ ذلك على قدر حاله [١] ".

ويوافق ابن الجزار القيرواني الطبيب على أنّ من الطلاّب "من إذا مُدح تعلّم علماً كثيراً، ومنهم من يتعلّم إذا عاتبه المعلّم ووبّخه، ومنهم من لا يتعلّم إلاّ للفرق من الضرب [٢] ".

حرصت التربية الإسلاميّة على التنويع في أساليب التأديب ليعلم المعلّم أنّ الهدف من القصاص ليس التشفّي من الطالب ، بقدر ما هو وسيلة تربويّة تهدف إلى تقويم الطالب وإصلاحه ، فالقصاص ليس سلاحاً في يد المعلّم يستخدم ضدّ الطالب ، أو يقوم به شخص آخر غير المعلّم ، يضرب الطلاّب دون رحمة أو شفقة ، كما أنّ الثواب يهدف إلى دفع الطالب إلى العمل والاجتهاد .

٢ - أسلوب التأديب في التربية الإسلاميّة :

تدرجت التربية الإسلاميّة في التأديب ، ولم تلجأ إلى التأديب الجسدي إلاّ بعد أن تستنفذ جميع وسائل التأديب المعنوي، التي يجب أن تسبق التأديب الجسدي ، وإن كانت تحرص على اعتماد أسلوب المدح ولطيف الكلام ، فقد طلب سحنون (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) من معلّم ابنه أن لا يؤدّبه " إلاّ بالمدح ولطيف الكلام فهو ليس ممّن يؤدّب بالضرب والتعنيف ، فإني أرجو أن يكون نسيج وحده ، وفريد أهل زمانه ، واتركه على نحلتي [٣] ". فبناء القادة ، لا يكون بالضرب الذي يعوّد الطلبة على الخضوع والإذلال ، ويفقد التلميذ شخصيّته . وتتضمّن هذه الوسائل :

---

[١] - ابن الحاج العبدري : مدخل الشرع الشريف على المذاهب ، ج ٢ ، ص ٣١٦ .

[٢] - ابن الجزار القيرواني ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن خالد : سياسة الصبيان وتدبيرهم ، ص ٢٤٠ ، تقديم وتحقيق محمد حبيب الهيلة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ .

[٣] - المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .

أ ـ التغافل عن الذنب حتّى يصحّح التلميذ خطأه الأول ، " ولا يوبّخ عليه ولا يكاشف بأنّه أقدم عليه، بل يتغافل عنه تغافل من لا يخطر بباله أو أنّه قد تجاسر على مثله ، ولا همّ به ، لا سيّما إن سترة الصبي واجتهد في أن يخفي ما فعله [١] ". لأنّ لفت نظره إلى الخطأ " ربّما يفيده جسارة حتّى لا يبالي بالمكاشفة [٢] ".

ب ـ نصح التلميذ ولفت نظره إلى الخطأ ، وكيفيّة التخلّص منه ، ويكون ذلك بأن يعاتب التلميذ سرّاً " وليعظم عنده ما آتاه ويحذّر من معاودته ، فإنّك إن عوّدته التوبيخ والمكاشفة حملته على الوقاحة ، وحرّضته على معاودة ما كان استقبحه ، وهان عليه سماع الملامة في ركوب قبائح اللذات التي تدعو إليها نفسه [٣] ". وبالتالي فإنّ تكرار سماع التوبيخ والعتاب " يسقط وقع الكلام في قلبه [٤] ".

ج ـ إن لم يفلح التأنيب على انفراد، يلجأ المعلّم إلى التوبيخ على رؤوس الأشهاد، أمام زملائه ، شرط ألاّ يشتمل التوبيخ على ألفاظ تسيء إلى كرامة التلميذ وأهله ، وعلى شتم " كقول من لا يعرف الأطفال المؤمنين حقّاً ، يا مسخ، يا قرد ، فلا يفعل هذا ولا ما كان مثله في القبح [٥] ".

ويهدف الجهر بالتوبيخ إلى استغلال الخوف الأدبي ، ليحفظ التلميذ كرامته أمام رفاقه الآخرين ، في حين أنّ التأثير على الطلاّب المشاهدين "لا يقلّ عن الأثر الذي يلحق بالمذنب ، وذلك أنّ الألم ينتقل إلى الناس كالعدوى بدافع المشاركة الوجدانيّة أو التعاطف ، وهو من النزعات الفطريّة في الإنسان ، ويلعب التصوّر والخيال دوراً كبيراً في هذه المسألة ،

---

[١] ـ ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٢٠ .

[٢] ـ ابن الحاج العبدري : مدخل الشرع الشريف على المذاهب ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ .

[٣] ـ ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٢٠ .

[٤] ـ ابن الحاج العبدري : مدخل الشرع الشريف على المذاهب ، ج ٤ ، ص ٢٩٧ .

[٥] ـ القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين ، ص ٥٥ .

ذلك أنّ شاهد العذاب يتصوّر في خياله ما ينزل به إذا كان هو الواقع تحت العذاب ، فهو يتألّم كما لو كان التأثير حقيقيّاً لا وهميّاً ، وهو يخشى العقاب ويرهبه ، خشية المذنب ورهبة المعاقب [1] حيث تؤدّي المشاهدة إلى التشهير بالمذنب ، وضرب المثل للآخرين وليكون العقاب أوقع وأوجع بالنسبة للمذنب والمشاهد .

ويمرّ الطالب ، من جراء تكرار اللوم والتوبيخ " بثلاثة مراحل أولاها مرحلة التألّم من الشعور بالذنب ، وبالتكرار تأتي مرحلة التضايق من التوبيخ والكراهية لمصدر التوبيخ ، وبزيادة التكرار تأتي مرحلة ثالثة وهي عدم إعارة التوبيخ أو مصدره أي اهتمام [2] ".

د ـ حبس التلميذ ، بعد الانصراف شرط أن لا يمنع " من طعامه وشرابه إذا أرسل وراءه [3] . لأنّ التلميذ بحاجة إلى الغذاء لنموّه ، والهدف من القصاص ، هو تقويم السلوك لا الإساءة إلى نموّه ونمائه .

هـ ـ يلجأ المعلّم إلى التأديب الجسدي ، بعد أن يستنفذ وسائل التأديب المعنوي، وحين يقرّر المعلّم مباشرة التأديب الجسدي ، عليه أن يراعي الأمور التالية :

١ ـ الهدف من التأديب الجسدي هو التقويم ، وليس التشفّي والانتقام ، فلقد أجيزت عقوبة الضرب " لِظنّ أنّها تفيد الإصلاح ، فإذا كان الضرر سيأتي منها انتفت [4] .

---

[1] ـ الأهواني ، أحمد فؤاد : التربية في الإسلام ، ص ١٣٧ .

[2] ـ القوصي، عبد العزيز : أسس الصحة النفسيّة ، ص ١٨٥، القاهرة، مكتبة النهضة المصريّة، ط ٧ ، ١٩٦٩ .

[3] ـ ابن سحنون : آداب المعلّمين والمتعلّمين ، ص ١٠١ .

[4] ـ العنتيل ، محمد فوزي : التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها ، ص ٦٨ ، القاهرة ، الدار المصريّة للتأليف والترجمة ١٩٦٦ .

٢ ـ لا يباشر المعلّم الضرب ، قبل أن يأخذ الأذن من أولياء الأمـور ، لأنّ " المعلّم يستمدّ سلطته من آباء الصبيـان ، وهـؤلاء أن يستردّوا هـذه السلطة إذا شاءوا [١] ".

٣ ـ إذا أراد المعلّم ضرب التلميذ ، فإنّ "الضرب من واحدة إلى ثلاثة [٢] ". وللمعلّم أن يزيد إلى العشرة "إذا كان الصبي يطيق ذلك [٣] ".

لكنّ المعلّم لا يتجاوز ، في الضرب ، ثلاثاً " إلاّ أن يأذن الأب في أكثر من ذلك [٤] ".

٤ ـ يتولّى المعلّم قصاص التلميذ "ولا يولي أحداً من الصبيان الضرب، لأنّ الصبي قد يضرب تشفياً وانتقاماً، والمعلّم لا يلجأ إلى القسوة، إلاّ من أجل الإصلاح، لأنّه بمثابة الأب للتلميذ، وينبغي أن يكون في تأديبه رحيماً .

٥ ـ أن لا يضرب المعلّم وهو غضبان ، لأنّ الغضب يخرج المعلّم عن الهدف المرجوّ من التأديب ، ويشترط سكون غضبه حتّى يباشر التأديب الجسدي .

روى ابن سحنون " عن سيف بن محمّد قال : كنت جالساً عند سعد الخفّاف فجاءه ابنه يبكي، فقال يا بني : ما يبكيك؟ قال : ضربني المعلّم ! قال: قال رسول الله ﷺ (شرار أمّتي معلّمو صبيانهم ، فهم أقلّهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين). قال محمّد، وإنّما ذلك لأنّه يضربهم إذا غضب وليس على منافعهم [٥] ".

---

[١] ـ الأهواني ، أحمد فؤاد : التربية في الإسلام ، ص ٢١٤ .

[٢] ـ القابسي : الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين ، ص ٥٥ .

[٣] ـ القابسي : المصدر السابق ، ص ٥٦ .

[٤] ـ ابن سحنون : آداب المعلّمين والمتعلّمين ، ص ٩٨ .

[٥] ـ ابن سحنون : المصدر السابق ، ص ٨٩ .

٦ ـ حدّدت وسيلة الضرب بشيئين :

أ ـ العصا ، ويشترط فيها أن لا تكون " غليظة تكسر العظم ، ولا رقيقة تؤلم الجسم [١] ".

ب ـ الدرة ، ويشترط أن تكون معتدلة الرطوبة ، فلا تكون رطبة فتشق الجلد لثقلها ، ولا شديدة اليبوسة فلا تؤلم لخفتها [٢] .

٧ ـ يشترط في أماكن الضرب أن تكون مأمونة ، وحدّدت هذه الأماكن :

أ ـ " اللوايا والأفخاذ وأسافل القدمين ، لأنّ هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة [٣] .

ب ـ لا يجوز ضرب " رأس الصبي ولا وجهه [٤] ". وأن يكون الضرب في غير " مقتل كالفرج وتحت الأذن ، وعند ثغرة الفم [٥] ".

٨ ـ لا يجوز الضرب على الظهر والبطن، " ولا ينبغي للظهر وللبطن، كما يفعل من لا دين له، وأعظم منه أن يعصر انثيَيْه أو يضربه على مراقه ، أو على مجمع عروق الذكوريّة فيفسد فيه النسل [٦] ".

---

[١] ـ ابن نصر ، عبد الرحمن : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ١٠٤ ، نشر الباز العريني ، إشراف مصطفى زيادة ، القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦ .

[٢] ـ عطيه ، سليمان اسحق : تحرير المقال ، ص ٦٤ .

[٣] ـ ابن نصر : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ١٠٤ .

[٤] ـ ابن سحنون : آداب المعلّمين والمتعلّمين ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

[٥] ـ عطيه ، سليمان اسحق : تحرير المقال ، ص ٦٤ .

[٦] ـ ابن أبي جمعة المغراوي : جامع جوامع الاختصار ، ص ٤٠ .

٩ ـ ويشترط على المعلّم خلال عملية التأديب :

أ ـ أن يكون الضرب " مفرّقاً لا مجموعاً في محلّ واحد [١] " لأنّ القصد من التأديب ردعه لا قتله .

ب ـ أن يكون بين الضربتين " زمن يخفّ فيه ألم الأولى [٢] ".

ج ـ أن لا يضرب التلميذ على انفراد ، بل أمام زملائه حتّى يؤدّي الضرب هدفه التربوي وهو زجر المذنب ووعظ التلاميذ . إنّ مشاهدة التلاميذ للعقوبة ، تؤثّر فيهم تأثيراً " لا يقلّ عن الأثر الذي يلحق المذنب ، ذلك أنّ الألم ينتقل بين الناس كالعدوى بدافع المشاركة الوجدانيّة أو التعاطف ، وهو من النزعات الفطريّة في الإنسان ، ويلعب التصوّر والخيال دوراً كبيراً في هذه المسألة [٣] ".

١٠ ـ يضع المعلّم في الحسبان ، حين يمارس التأديب الجسدي أنّ أيّ أذى يلحق بالتلميذ يتحمّل تبعاته :

أ ـ إذا ضرب " الصبي بما يجوز له أن يضربه ، إذا كان مثله يقوى على مثل ذلك فمات ، أو أصابه منه بلاء ، لم يكن على المعلّم شيء غير الكفّارة إن مات ، وإن جاوز الأدب ضمن الديّة في ماله مع الأدب ، وقد قيل على العاقلة مع الكفّارة . فإن جاوز الأدب فمرض الصبي من ذلك فمات، فإن كان جاوز ما يعلم أنّه أراد به القتل أقسموا ، وقتله به الأولياء [٤] ".

---

[١] ـ عطيه ، سليمان اسحق : تحرير المقال ، ص ٦٤ .

[٢] ـ عطيه ، سليمان اسحق : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

[٣] ـ الأهواني ، أحمد فؤاد : التربية في الإسلام ، ص ١٦٠ .

[٤] ـ ابن سحنون : آداب المعلّمين والمتعلّمين ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

تتناسب العقوبات التي تلحق بالمعلّم مع الأذى الذي يلحق بالصبي ، ومشاركة أهل المعلّم في دفع التعويضات المتوجّبة على المعلّم ، يفتح الباب نحو مراقبة مجتمعيّة للضرب ، ويجعل أهل المعلّم ، الذين يحملون قسماً من الديّة ، التي تفرض على المعلّم ، يشاركون في مراقبة نشاطه التعليمي .

٣ ـ أسباب التأديب في الفكر التربوي الإباضي :

وضعت مدارس العزابة الأسباب الموجبة للتأديب ، وحدّدتها بما يلي :

١ ـ التقصير في الواجبات الدراسيّة من تقصير في حفظ الدروس ، إلى عدم القيام بالواجبات التي تطلب من التلميذ .

٢ ـ التأخّر أو التغيّب عن حضور الدرس بدون عذر .

٣ ـ عدم الالتزام بالهدوء والنظام أثناء الدرس .

٤ ـ عدم التقيّد بنوم الهاجرة وقت الضحى .

٥ ـ كثرة الحركة وإزعاج الآخرين أثناء النوم .

٦ ـ عدم الالتزام بالمواعيد المحدّدة للأكل والنوم .

٧ ـ عدم حضور دروس شيخ العزابة الأسبوعيّة، والتي تعقد يومي الإثنين والخميس .

٨ ـ التأخّر أو الغياب عن حضور أوقات الختمات : ختمة الصباح ، وختمة المساء .

٩ ـ عدم القيام في الليل وقت الاستفتاح في الثلث الأخير أو الربع الأخير منه ، أو الوقت الذي يحدّده شيخ العزابة .

١٠ ـ عدم الالتزام بالعبادات .

١١ ـ عدم الالتزام بآداب الطعام ، والتي هي :

أ ـ التأخّر عن موعد الأكل .

ب ـ عدم لبس اللباس الخاصّ بالطعام .

ج ـ عدم الأكل باعتدال .

د ـ القيام عن الطعام قبل أن يأذن العريف .

١٢ ـ عدم التقيّد بزيّ العزابة .

١٣ ـ إرتكاب إثم كبير يستحقّ فاعله البراءة والهجران .

١٤ ـ التردّد على الأسواق العامّة ، وأماكن الشبهات .

١٥ ـ إفشاء الأسرار مثل :

أ ـ ذكر قوانين العزابة وأنظمتها الداخليّة .

ب ـ ذكر مواعيد الجلسات وأماكن انعقادها .

٤ ـ *أساليب التأديب :*

لا يختلف أسلوب التأديب في مدارس العزابة عن أساليب التربية الإسلاميّة ، ويتدرّج التأديب في مدارس العزابة على النحو التالي :

١ ـ الاغضاء عن الذنب ، ويكون للطالب المبتدىء ، على النحو التالي :

أ ـ السكوت عن خمس عثرات .

ب ـ السكوت عن ثلاث عثرات في الكتابة .

ج ـ السكوت عن عثرة واحدة في الإعادة .

٢ ـ نصح التلميذ على إنفراد ، وإن كان في مكان عام يكون النصح بعبارات يتّفق عليها ، مثل قول " حسّان " أو " حسّان بن ثابت " أي أحسنوا آدابكم وأخلاقكم ، وهي كلمات وعبارات يقولونها عندما يدخل فيهم غير الصنف تحذيراً من أن يطّلع على ما ينتقد منهم .

٣ ـ الحبس في زاوية معيّنة من المدرسة ، أو المسجد .

٤ ـ حرمان التلميذ من نصيبه من الوجبتين الإضافيّتين عند الضحى ، وبعد العصر ، أو من إحداهما .

٥ ـ حرمان التلميذ من وجبات الطعام الرئيسيّة .

وإن لم يصطلح التلميذ ، تخطّى المعلّم العقوبات المعنويّة إلى العقوبات التالية :

١ ـ الجلد طبقاً لنوع الخطأ ، وعدد الغلطات التي ارتكبها .

٢ ـ الهجران ، وهو البراءة المؤقّتة حتّى يتوب التلميذ عن الذنب الذي ارتكبه .

٣ ـ البراءة ، وهي طرد التلميذ الذي يرتكب ذنباً كبيراً مثل ترك الصلاة [١] .

إنّ نظام التأديب في مدارس العزابة أقرب إلى النظام العسكري حيث إنّه " إن انقضى الدعاء و تخلّف أحد ـ من التلاميذ ـ فالخطّة ، فإذا كان الضحى نادى بنوم الهاجرة فينامون فإذا ناموا وتكلّم أحد أو تحرك بحيث يؤذي النائمين فالخطّة ، بل أن ينام بغير عذر ، وكان تركه النوم ذريعة إلى امتناع القيام بالليل حتّم عليه نوم القائلة ، فإن امتنع فالخطّة [٢] ".

إنعكس هذا الأسلوب الشديد في التأديب على تربية الأجيال الإباضيّة ، وهذا ما جعل أصوات الانتقاد لهذا الأسلوب التربوي تعلو مطالبة التغيير ، " وأنّها تربية فاسدة للأبناء تقتل شخصيّتهم وتخالف الدين وتضرّ بالأمّة في كلّ نواحيها ، كانت تربية الآباء لأودلاهم تقوم على القسوة والفظاظة والحرمان ، يريد الأب والأمّ من ولدهما أن يكون حجرا أصمّ يدحرجانه إلى الناحية التي يريدان ، ويكون طوع أمرهما في كلّ الأشياء .

وكان أغلب الآباء يقسون في عقاب الطفل ؛ إنّ العقاب هو أسلوب التربية وطريق التهذيب عندهم ، والارغام والقهر والجبروت على الابن هو الذي يعتمدون عليه في توجيه الطفل ، وتعويده ما يريدون ، وإن كان ما أتى من الحركات الضروريّة لنموّه

---

[١] ـ أنظر ، ١ ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧١ ـ ١٨٢ ،

٢ ـ البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص ٢٠٧ ـ ٢١٨ ،

٣ ـ عبد الكافي : رسالة العزابة ، ص ٢ ـ ٩ ،

٤ ـ خليفات ، محمد عوض : النظم الاجتماعيّة والتربويّة ، ص ٨١ ـ ٨٢ .

[٢] ـ الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

وترقّيه كجريه وصراخه ، وميله إلى اللعب وغرامه باللعب واقتنائها وأكاذيب الأطفال في الطفولة الأولى لغلبة الخيال عليهم [(١)] ".

وطبّق الإباضيّة أسلوباً جديداً في التأديب يقوم على الولاية وهي " الولاية الموافقة في الدين ، فكلّ من وافقك في الدين فهو وليّك سواء علمت بموافقته أو جهلتها أو برئت منه بالظاهر لحدث عرفته منه وهو قد تاب ورجع عنه [(٢)] ".

ويقوم على البراءة ، وهي المخالفة في القول والعمل ، أو في أحدهما " هذا ممّا اتّفق عليه أصحابنا واختلفوا في الموافقة بالقول قبل معرفة العمل فأوجب بعضهم الولاية به، ومنعها آخرون ، والأوّل أصحّ لقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ [(٣)] ﴾ فأمره بالاستغفار لهنّ على نفس تلك المبايعة و لم يأمره بالانتظار في أمرهنّ ، فإذا صحّ أنّ فلاناً موافق لنا في الاعتقاد ألزمنا أنفسنا ولايته من غير أن ننتظر منه العمل بتلك الآية ، وهذا شامل لمن خرج عن الشرك إلى الإسلام ، ولمن رجع عن مذهب أهل الضلال إلى مذهب أهل الحق ـ الإباضيّة ـ [(٤)] ".

وأسقط الإباضيّة مفهوم الولاية والهجران على الفكر التربوي ، ويطبّق هذا المفهوم في حالة من الحالتين :

١ ـ مشاهدة مكلّف يرتكب كبيرة لا يحتمل له فيها عذر ، فالواجب عندئذٍ البراءة منه .

٢ ـ الاقرار ، وهو أن يقرّ المكلّف بأنّه فعل كبيرة ، لم يتب منها ، أو أنّه أقرّ بذلك على سبيل السرور بها .

---

(١) ـ دبوز ، محمد علي : نهضة الجزائر ، ج ١ ، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

(٢) ـ السالمي : مشارق أنوار العقول ، ص ٣٣٧ .

(٣) ـ سورة الممتحنة ، الآية ١٢ .

(٤) ـ السالمي : مشارق أنوار العقول ، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

ونرى أنّ هذه العقوبة يجب أن تسبق التأديب الجسدي لأنّها نوع من التأديب المعنوي ، ولا نعتقد أنّها تفيد إذا طبّقت بعد التأديب الجسدي .

وإذا كنّا لا نعثر في الفكر التربوي الإباضي على توضيح لهذا النوع من العقاب، لكنه يبدو أنّه تعنيف شديد حتّى ينصرف التلميذ إلى دروسه إذا كان مقصّراً ، أو أن يشعر بالذنب إذا كان قد ارتكب فاحشة أو خالف الأنظمة السائدة في مدارس العزابة .

إنّ هذا الأسلوب من التأديب يقتل المواهب ويطمس الملكات ، لأنّ أساليب التأديب ترى في الطفل مثلاً مصغّراً للرجل ، لا يكاد يختلف عنه إلاّ في الحجم ، وأنّ عليه أن يصطنع حشمة الرجال ووقارهم، وأن يزدرد كلّ المعارف والمعلومات التي تصبّ عليه صبّاً ، وويل له إن جنح إلى العبث واللعب ، أو تمرّد على ما يفرض عليه من نظم وقوانين، فإن الخطّة له بالمرصاد .

وربّما يعود حكمنا على أسلوب التأديب إلى أنّنا نخضع النظم التربوية إلى المقياس الحديث القائم على الدراسات النفسيّة القائمة على التجارب والملاحظات ، وعلى التتبّع والمقارنة والمعايشة، والتي تؤكّد " أنّ للطفل عالماً خالصاً ، وأنّه ، قبل أن يصبح رجلاً ناضجاً ، يجتاز مراحل من النموّ متنوعة ومتباينة ، وأنّ هذه المراحل ، رغم تداخلها وتفاعلها ، تختلف الواحدة منها عن الأخرى اختلافاً بيّناً ، حتّى ليمكن القول بأنّ الطفل في المرحلة التالية غيره التي قبلها [1] ".

وأنّ الاصطلاح على عبارات لعتاب التلميذ أو تقويم خطئه مفيد جدّاً ، وبخاصّة أمام الأغراب .

واعتماد أسلوب البراءة والهجران ، حيث يتجنّب التلميذ المقصّر حتّى يعود إلى الدرس والتحصيل ، يحسّس التلميذ بالعقاب المجتمعي لتقصيره ، ولكن يخشى أن لا يحسن التلاميذ استيعاب هذا النوع من التأديب ، فيؤدّي إلى نتائج سلبيّة .

---

[1] ـ السعيدي ، محمد : أعرف طفلك تتجنّب الأخطاء في التربية ، ص ١٠١ ، مجلة الوعي الإسلامي ، الكويت ، العدد ٣٠٦ ، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ / كانون الثاني ١٩٩٠م .

- استنتاجات :

إنّ التأديب الذي تشترطه التربية الإسلاميّة ، ونقصد به الضرب ، ينبع من المبادئ الإسلاميّة التي تشرّع القصاص المتناسب مع الذنب ، قصاص لا يستهدف الانتقام، إنّما هو من أجل الحياة إمتثالاً لقوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [1] ﴾ .

وإذا كانت التربية الإسلاميّة قد شرعت التأديب الجسدي إلاّ أنّها جعلت الرفق هو الأساس ، وكانت الدولة الإسلاميّة تأخذ " على عاتقها حماية الأطفال من أساليب القسوة والعنف التي لجأ إليها غلاظ القلوب من المدرسين ، فكلّفت رئيس الشرطة بملاحقة طرق معاملة الأطفال في الكتاتيب حتّى لا تقع عليهم أيّة قسوة من جانب المعلّمين [2] ".

وإذا كنّا لم نعثر على مثل هذا المستند في الشمال الإفريقي ، وبخاصّة في مدارس العزابة ، فممّا لا شكّ فيه أنّ الشمال الإفريقي كان يطبّق الأنظمة والقوانين السائدة ، في العالم الإسلامي آنذاك ، وكان شيخ العزابة هو المشرف العام على المدارس الإباضيّة .

وإذا كانت التربية الحديثة تعارض الضرب، فهل تعارض الضرب لكونه ضرباً ؟ أم خشية استغلال المعلّم لإجازة الضرب ، واستغلاله للانتقام والتشفّي من التلاميذ .

تحذّر التربية الحديثة من الضرب ، حتّى تجاه موقف عدواني صادر عن تلميذ عن سابق إصرار وتصميم ، " فحين يلقي التلميذ قطعة من الطباشير على السبّورة في الوقت الذي يكون المعلّم موليا ظهره للفصل ، فإنّ الواجب الأوّل للمدرس في هذه الحالة هو أن يحاول فهم هذا السلوك . لماذا ألقى التلميذ الطباشير ؟ هل لأنّه كلّف بعمل فوق

---

(1) ـ سورة البقرة ، الآية ١٧٩ .

(2) ـ عبد الدايم ، عبد الله : التربية عبر التاريخ ، ص ١٩٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، ١٩٧٨ .

طاقته ؟ هل يعبّر عن استيائه لفقد وجهه إلى المعلّم ، أو إهانـة أحـسّ بهـا ؟ هـل لم يظهـر المعلّم اهتمامه بالتلميذ كفرد ؟ ويعتبرون أنّـه مـن الخطـأ أن يلجـأ للعقـاب كوسيلة لقمـع العدوان ، وذلك أنّ كلّ عدوان يزيد الرغبة في العدوان [1] ".

وأنّ الضرب ينافي مفهوم الحرّيّة في التربية ، ويمنع إقامة علاقـات إنسـانيّة مثمـرة بين المعلّم والتلاميذ ، ولكي تؤتي العمليّة التربويّة ثمارها ، لا بدّ من إيجاد جوّ من الألفة في قاعة الدرس حتّى يتجاوب التلاميذ مع معلّمهم .

ونميل إلى أنّ الكلام والتوجيه التربوي الجادّ والـذي يتميّز بالحكمـة هـو أفضـل وأجدى من الضرب ، لأنّ التلميذ عندما يكبر يستمرّ في استذكار هذه المعاملة القاسـية في حين أثبتت التربية الصحيحة أنّ الكلام قد يكون أقسى من الضرب وأنّ النظرة الثاقبة مـن الأهل للأولاد بدورها أجدى من الضرب .

والذين يرفضون العقاب الجسدي ، يهدفون إلى تربية فضلى ، والإسـلام ينطلـق في العقاب من أجل الحياة . والمبادئ كلّها معـان مجـردة ، لا يمكـن الحكـم عليهـا إلاّ بعـد تطبيقها ومعرفة النتائج التي نصل إليها بعد التطبيق .

ولا يمكـن الحكـم على التأديـب في التربيـة الإسـلاميّة إلاّ بعـد تطبيقـه ودراسـة نتائج هذا التطبيـق .

---

[1] ـ محفوظ ، محمد جمال الدين : تربية المراهق في المدرسة الإسلاميّة ، ص ١١٨ ، مصر ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ١٩٧٧ .

خاتمة واستنتاجات واقتراحات

لمّا كانت التنمية ، قبل كلّ شيء ، هي تنمية بشريّة ، فإنّ التربية تلعب الدور الرئيسيّ في إيجاد المواطن المؤهّل القادر والفاعل في مجتمعه ، نستهدفه عمليّة التنمية من مختلف جوانبها .

والتربية عنصر رئيسيّ من عناصر التغيير ، تلجأ إليها الجماعات والمجتمعات المختلفة لصبّ ما تريده في عقول أفرادها ، وتشكيل شخصيّاتهم . وكم من المجتمعات تغيّرت مسيرتها بسبب ما أدخل على تربية أفرادها ، وما وضع في برنامج تربيتهم .

ورغم مرور أكثر من نصف قرن على بدايات استقلال العالم الإسلامي ، ثمّ تحرّر جلّ البلدان الإسلاميّة ، فإنّ نظم التربية في العالم الإسلامي لم تتحرّر من التبعيّة للدول الإستعماريّة .

وغدا التراث التربوي الغربي جزءاً من عقليّتنا ، وأثره " قد طال وأصبح لا شعوريّاً ، وربّما قد يدخل إن لم يكن قد دخل بالفعل كجزء من تكوين عقليّتنا المعاصرة [١] ". إضافة إلى ذلك فإنّ تطوّر التعليم في الدول الغربيّة " يقفز بمتواليات مدهشة في مختلف التخصّصات ، بينما في العالم الإسلامي ما زالت الفوضى في مناهج التعليم تربك وتعرقل حركة الإصلاح الصحيح [٢] ".

ومراد البحث الإسهام في بلورة تصوّر تربوي يحقّق للأمة الإسلاميّة الأصالة والمعاصرة في آن معاً ، وينقّي الفكر التربوي الإسلامي ممّا علّق به من أفكار متسلّلة إلى مفاهيمنا ، وإلى حياتنا ، وإلى تربية أجيالنا ، ويحمي الأمّة من الضياع ، ويصون فكرها من التمزّق ، ويحصّن ثقافتها من الصراع ، و" نربي المجتمع المسلم ونعيد صياغة حياته في جميع مظاهرها ونظمها في المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة بوجه عامّ [٣] ".

---

[١] ـ حنفي ، حسن : في الفكر العربي المعاصر ، ص ٣٤ ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر ١٩٨٢ .

[٢] ـ الناكوع ، محمود محمد : حركة الإصلاح الإسلامي مدخلها التعليم ، ص ٤٩ ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٥٠ ، الكويت شوال ١٤١٥هـ / آذار ١٩٩٥م .

[٣] ـ سلطان ، محمود السيّد : بحوث في التربية الإسلاميّة ، ص ٢١ ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٩ .

ولا يتوافق التصوّر التربوي الذي نبغيه مع تعريف **Claude Pantillon** لفلسفة التربية بأنّها " تلك الخميرة ، التي ينبغي أن تخالط التربية والعالم والتاريخ ، وتلك الإرادة الحازمة ، إرادة الوقفة الشامخة للإجابة على الأسئلة والتحدّيات الكبرى في عصرنا [1] ".

ولا يتطابق كذلك مع تعريف التربية في بعض الأقطار العربيّة ، الذي يؤكّد على النقاط التالية :

" - التأكيد على النمّو الروحي للفرد ، وذلك من خلال الإيمان با لله والمثل العليا للأمّة العربيّة ، والمحافظة على تراثها .
- تعميق الشعور القومي وروح الانتماء إلى الأمّة العربيّة .
- النمو الكامل عقليّاً وبدنيّاً وانفعاليّاً .
- التأكيد على دور التربية في التنمية الشاملة [2] ".

و لم نتعرّض للتساؤلات التي تطرح في الغالب في أي لقاء تربوي ، والتي هي " أيّ إنسان نودّ أن نكوّن عن طريق التربية ؟ وما هو هدف مناهج التربية وطرائقها وإدارتها وغير ذلك من مقوّماتها ؟ وما يتّصل بإعداد الإنسان ، وهل يجوز البحث في الفرع قبل البحث في الأصول ، وهل يجوز البحث في علم التربية والفنون التربويّة قبل التساؤل عن مستقرّها وغايتها [3] ".

إنّنا نودّ صياغة تصوّر تربوي يحقّق الأهدف التي رسمها القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة ، وهي إيجاد الإنسان الرائد في الدنيا ، والفائز بالسعادة في الآخرة .

---

(1) - Pantillon, Claude : Une philosophie de l'éducation pour quoi faire, p 50 , lausanne , édition l'âge de l'homme 1981.

(2) - المومني ، موسى جفال ، وآخرون : الأهداف التربويّة في المملكة الأردنيّة الهاشميّة ، ص ٢٣ ، تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٦ .

(3) - عبد الدايم ، عبد ا لله : نحو فلسفة عربيّة للتربية ، ص ٦٣ ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩١ .

ولتحقيق ذلك لا بدّ من دراسة شاملة للفكر التربوي الإسلامي ، واستخراج كنوزه ودفائنه ، فالتربية الإسلاميّة كانت وراء قيام " الصرح الحضاري الذي دام قرابة ألف عام على مرّ التاريخ ، لقد أنشأ المسلمون الحضارة الإسلاميّة الرائعة ، التي نعمت بها البشريّة قروناً طويلة ، ولعلّ من الإنصاف أن نقول إنّ البشرية لا تزال تنعم بعلومها واكتشافاتها وبحوثها كما يعترف الغرب نفسه بذلك [1] ".

وقد فعل المسلمون ذلك عبادة لله ، وقياماً بوظيفتهم في هذه الحياة ، وجعلوا بذلك أمّتهم في مكان الريادة للأمم كلّها ، فكانت بذلك خير أمّة أخرجت للناس ، وكانت حضارتها خير حضارة عرفها التاريخ بالنسبة للإنسانيّة كلّها ، وذلك لأنّها حقّقت كلّ الجوانب للفرد والمجتمع " ومن المسلّم به لدى كلّ المربين أو المؤرّخين في جميع العصور التي جاءت بعد الإسلام ، أنّ التربية الإسلاميّة هي الأساس المتين لحضارة المسلمين ، وأنّ المثل العليا في تلك التربية تتّفق مع الاتجاهات الحديثة في علم التربية العام [2] ".

ضمن هذه الأهداف كانت دراستنا للفكر التربوي الإباضي ، والتي بلورت ما يلي :

١ - تحفيظ القرآن الكريم في المرحلة التعليميّة الأولى :

لا يزال المذهب الإباضي - حتّى اليوم - يفرض على أتباعه الذهاب إلى الكتّاب حفظ القرآن الكريم . فالطالب الإباضي يذهب في الصباح الباكر إلى الكتّاب الإباضي المعروف باسم " دور القرآن " ليحفظ القرآن الكريم ، ثمّ يتوجّه بعد ذلك إلى المدرسة الرسميّة .

وبما أنّ علماء التربية يؤكّدون " أنّ الطفل في المرحلة العمريّة من ٣ - ٦ سنوات يستطيع أن يحفظ حوالي ٩ ملايين كلمة ، وبالتالي يجب الاستفادة من هذه المرحلة

---

[1] - القاضي ، علي : أضواء على التربية الإسلاميّة، ص ٢٦٢ ، القاهرة ، دار الأنصار ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م .

[2] - المرزوقي ، آمال حمزة : النظرية التربويّة الإسلاميّة ، ص ١١ ، سلسلة رسائل جامعيّة رقم ٧ ، جدّة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

في تدعيم عمليّات الحفظ ، على أن تأتي مرحلة الاستيعاب والفهم في مرحلة لاحقة عند تقدّم المرحلة العمريّـة ، ويؤكّد الدكتور سعد ظلاّم مقولة أنّ الفهم مجرّد فكرة في الذهـن ، لا تصاغ صياغة دقيقة إلاّ إذا امتلك الفرد حصيلة لغويّة ثريّة وغزيرة [١] ".

نستطيـع الاستفـادة من هـذه الأبحاث فـي تخصيـص المرحلـة العمريّـة من ٣ ـ ٦ سنوات لتحفيظ القرآن الكريم مع العلم أنّ عدد كلمات القرآن الكريـم يبلغ ٧٧٤٣٩ كلمة ويضاف إلى هذه المرحلـة بعـض النشـاطات اللامنهجيّـة ، الـتي تستجيب لميول الطفل ، وتتناسب مع نموّه ونمائه مثل : الخـط ، والإنشـاد ، والنشـاطات الرياضيّـة .

ويتكوّن عند تنشئة الطفل على القرآن الكريم ، " استعداد أخلاقـي للالـتزام بـه في كلّ مكان ، واشباع روحه بروح الأخلاق ، وذلك بتكوين عاطفة وبصـيرة أخلاقيّـة ، حتّى تصبح مفتاحاً لكلّ خير مغلاقاً لكلّ شر ، أينما كان وحيثما وجد باندفاع ذاتـيّ إلى هذا وذلك ، عن إيمان واقتناع وعن عاطفة وبصيرة [٢] ".

إنّ بنـاء الفـرد أخلاقيّـاً هـو بنـاء للمجتمـع ، فـالأفراد بمثابـة لَبِنـات ، والبنـاء الاجتماعي هو نسيج هذه اللبنات ، فإذا أردنا إيجاد مجتمـع خـيّر فـلا بـدّ مـن إيجـاد أفـراد أخيار ، وإذا كان الأفراد فاسدين فسيكون النسـيج الاجتمـاعي فاسـداً مـن أساسـه ، ولا يمكن إصلاحه بما هو عليه " فلا بدّ أن نبـدأ بـإصلاح الفـرد وذلـك بتكوينـه إنسـاناً صالحاً لنفسه ولغيره معاً ، وهذا يكون بالتعليم والتربية الخيّرة [٣] ". وتكـثر كتابـات

---

[١] ـ ظلاّم ، سعد : قدرة الطفل تبلغ ٩ ملايين كلمة ، ص ١٤ ، جريدة البـلاد ، العـدد ٥٩٥ ، السـعودية ، الجمعة ١٢ صفر ١٤١٧هـ/ ٢٨ حزيران ١٩٩٦م .

[٢] ـ السعيد ، راغب محمد : التربية الأخلاقيّة في الإسلام مفهومها ووسائلها وخصائصها وغاياتها ، ص ٦٨، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٤٢ ، الكويت ، صفر ١٤١٥هـ/ تموز ١٩٩٤م .

[٣] ـ ياجن ، مقداد : دور التربية الأخلاقيّة في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانيّة ، ص ٣٢ ، بـيروت ، دار الشروق ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

المربين المسلمين التي تهتم بأخلاقيّات الطلبة ، وخصّصت لهذا الموضوع في الكتب والمباحث الإسلاميّة حيّزاً كبيراً [1] .

ولقد أدرك الغرب أهمّيّة تعليم الأخلاق في مؤسّساته التعليميّة ، فهذا العالم الفرنسي "ألكسي كارل" يوجّه لوماً إلى المؤسّسات التربويّة الغربيّة ، التي تتجاهل التربية الأخلاقيّة بقوله " ومن الغريب أنّ ممارسة الفضائل لا تعلّم في المدارس العامّة ، ومع ذلك أليس من البدهي أنّها ضرورة لنجاح الحياة الفرديّة والاجتماعيّة على حد سواء [2] ".

ويعترف الغرب بأنّ تربيته تربية ماديّة أهملت "التعبير عن روح الحياة، فعلينا أن نعيد إلى تعليمنا وإلى حياتنا حيويّة تنقصنا، وبناء فلسفة للحياة، مثلاً أعلى واضحاً محدّداً يهدي سلوكنا، ويهذّب نفوسنا، ويسيطر على حياة الأفراد ، ويسيطر بهم على حياة الأمّة [3] ".

ولسنا بحاجة إلى الإسهاب في تبيان أثر العقيدة في سلوك الإنسان في حياته ، فهي أقوى الدعائم للنهوض بالأخلاق ، وعندما يحفظ الطفل القرآن الكريم ، فإنّه منذ طفولته يتأدّب بأدب الدنيا ليحيا فيها ، وبأدب الآخرة ليكون متّصلاً بـا لله ﷻ في كلّ حين ، ويخاف ا لله تعالى في السرّ والعلانيّة ، وإنّ " الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة التي كانت تقرأ وتتلى وتحفظ بشكل آلّي في عهد الطفولة يعجز الطفل عن إدراكها وفهم معانيها ، تترك في نفوس الفتيان والفتيات أثراً عميقاً ويسألون عن تفسيرها ، ويشتاقون إلى فهم المراد منها [4] ". وبذلك ينشأ الطفل منذ الصغر وفق التصوّر الإسلامي ، الداعي للريادة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة .

---

[1] ـ أنظر ، سعد الدين ، محمد منير : دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين ، ص ١٢٦ ، بيروت ، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

[2] ـ كارل، ألكسي : الإنسان ذلك المجهول، ص ٢٢٧، ترجمة أنطوان العبيدي، القاهرة، دار الكتاب المصري، د. ت .

[3] ـ لفنجستون ، السير ريتشارد : التربية لعالم حائر ، ص ٣٩ ، ترجمة وديع الضبع ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصريّة ١٩٤٨ .

[4] ـ الإبراشي ، محمد عطية : التربية الإسلاميّة وفلاسفتها، ص ٤٨، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط ٣ ، د. ت .

٢ ـ وضع الضوابط الإسلاميّة :

إنّ الهدف من وجود الإنسان على الأرض هو تحقيق العبوديّة لله ﷻ ، وتظهر عظمة الله ﷻ في جميع مخلوقاته ، لذلك ينبغي أن ينطبّق تصوّرنا التربوي على العلوم كافّة ، والتي ينبغي أن ينظر إليها من المنظار الإسلامي ، أي أن تسود التعاليم الإسلاميّة على المناخ الفكري ، أو ما يطلق عليه البعض أسلمة العلوم .

وتعتبر مادّة العلوم مجالاً خصباً لأعمال الفكر ، الذي يجول في الكون ، يتفكّر في عظمة الخالق وبديع صنعه ، وربط ذلك بالآيات القرآنيّة والحديث النبويّ الشريف .

يتلقّى الطفل في قسم الروضة ، على سبيل المثال ، التوجيهات الصحّيّة، فينبغي أن نربط هذه التوجيهات بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة ، التي جعلت النظافة من الإيمان ، وأمرت بالسواك ، وتقليم الأظافر وغسل اليدين قبل الطعام وبعده ، ومضغ الطعام جيداً ، والاكتفاء بما يقيم الحياة ويجعلها مستمرّة .

ويدرس التلميذ في المرحلة الابتدائيّة علم الحشرات وعلم الأحياء ، وعندما يدرس مثلاً مملكة النحل أو النمل تجدر الإشارة إلى الآيات القرآنيّة الدالّة على التنظيم البديع للخالق ﷻ في حياة النحل والنمل ، وعند الحديث عن علم النبات ودور الكلوروفيل في حياة النبات، نشير إلى قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا[1] ﴾ .

ويدرس الطالب في المرحلة المتوسّطة علم الأجنّة ومراحل تطوّر الجنين ، فنشير إلى الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة عن تطوّر الجنين ، وخلقه في ظلمات ثلاث، وأنّ الحياة الزوجيّة ليست قاصرة على الإنسان والحيوان والنبات

---

[1] ـ سورة الأنعام ، الآية ٩٩ .

لقوله تعالى ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ [1] ﴾ . وهذه الآية دليل علمي على أنّ الحياة الزوجيّة تشمل كلّ شيء في الكون ، حتّى الكهرباء ، لا بدّ لها ، من موجب وسالب .

ويدرس الطالب في المرحلة الثانويّة علم الفلك ، فنشير إلى سياحة الكواكب والنجوم في الفضاء الرّحب بقوله تعالى ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [2] ﴾ . فيشعر الدارس عندما نربط العلوم بالتصوّر التربوي الإسلامي أنّ كلّ ما في الوجود هو من صنع الله عَزَّ وَجَلَّ وأن على الإنسان اكتشاف أنظمة الكون والاستفادة منها في مجال تقدّمه وازدهاره .

لقد مزّقت التربية الحديثة الأمّة الإسلاميّة شرّ تمزيق ، لأنّها تنظر إلى التعليم على أنّه ينشطر إلى شطرين ، تعليم مدني ، وتعليم دينيّ . في حين يجعل التصوّر التربوي الإسلامي التعليم المدنيّ رافداً من روافده ، وهو مرتبط بأمور الدنيا والآخرة لقوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا [3] ﴾ .

خلق الإنسان ليبتلى بالسعي في هذه الحياة الدنيا وليحاسب في الآخرة ، ووفق هذا المفهوم تصاغ التصوّرات التربويّة لتنجو الأمّة الإسلاميّة من التمزيق الذي ينهش جسدها .

وإذا كان هناك من يعترض على وضع الضوابط الإسلاميّة متذرّعاً بأنّ القرآن الكريم يعلو ، ولا يليق أن يقارن به شيء لأنّه نصّ مقدّس ! فيردّ على ذلك بما يلي :

---

[1] ـ سورة الذاريات ، الآية ٤٩ .

[2] ـ سورة يس ، الآية ٤٠ .

[3] ـ سورة الإنسان ، الآية ١ ـ ٣ .

أ ـ إنّ نصّ الوحي مقدّس ، ولكن ليس معنى القداسة أن لا نعمل العقل في فهم النصّ ، إنّ النصّ هو خطاب الله تعالى إلى العقل ، واستنبط سلفنا الصالح الأحكام من أدلّتها ضمن ضوابط وقواعد معروفة الآن ، وإنّنا بحاجة إلى تأصيل الأصول ، لا أن نمحو ما كتبه من سبقنا ، ونحتاج إلى إعادة النظر ، ليس في القضايا المسلّمة ، ولكن في حلّ مشاكلنا المستجدّة على ضوء النصّ القديم ، إنّنا بحاجة إلى إعادة قراءة النصّ مع التسليم بقدسيّته ، لأنّنا إن لم نقدّس النصّ فكيف نفكّر فيه [1] .

إنّنا بحاجة إلى إعادة قراءة النص للتيسير " وليس معنى التيسير الاتيان بشرع من عند أنفسنا نسقط به عن الناس ما فرضه الله تعالى عليهم ، أو نحلّ ما حرّم الله عليهم ، أو نبتدع لهم في الدين ، ما لم يأذن به الله تعالى ، فهذا ليس من التيسير الذي نريده في شيء ، إنّما نريد بالتيسير عدة أمور ، منها مراعاة جانب اليسر والرخص في الشريعة الإسلاميّة ، فلا ينبغي أن نعامل الناس كلّهم بمستوى واحد ، فلا يطالب الضعفاء بما يطالب به الأقوياء [2] ".

ب ـ إنّ تعاليم الإسلام لا تضرّها المقارنة ، لأنّنا عندما نعرض ونناقش مختلف المذاهب والعلوم الوضعيّة ، نناقشها من موضع الثقة بعقيدتنا الإسلاميّة ، التي هي أكبر من أيّ عقدة خوف ، ولا نتجنّب أو نخاف الإيديولوجيّات المخالفة لتعاليمنا ، بل نقيم معها حواراً يؤكّد القناعة والثقة بتعاليمنا الإلهيّة ، ونحمل غيرنا على الإيمان بها ، فليس في المنهج الإسلامي " أوهام وأسرار وخرافات تصطدم مع العقل الإنسانيّ هادياً إلى الحقّ وأمر الاحتكام إليه في حقائق الوجود وجعله

---

[1] ـ أنظر ، الميس ، الشيخ خليل : حوار تناول مجموعة من المصطلحات والطروحات المعاصرة ، ص ٧ ، اللواء ، السنة ٣٤ ، العدد ٨٨١١ ، بيروت ، الجمعة ١٨ تشرين الأول ١٩٩٦م ، ٦ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ .

[2] ـ القرضاوي ، يوسف : يجب أن يكون للمسلمين فقه معاصر ، ص ٣٧ ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ١٣٦٦ ، الكويت ، صفر ١٤١٧هـ/ تموز ١٩٩٦م .

مناط الفصل في حسم الجدال بين الملحدين والمؤمنين حول أيّ قضيّة يثور النزاع فيها بين الشكّ واليقين ، وبهذا المنهج الذي يهدم الخرافة والوهم والتقليد ، وينبّه العقل للتأمّل والتفكير ، تسقط كلّ ضروب الأساطير وأنواع الخرافات مهما اختلفت في مظاهرها وصورها ، وتعدّدت أشكالها بتعدّد الأمم والأجناس ، التي تضمّها فترة زمنيّة معيّنة، ثمّ لا تسمح لها بعد ذلك أن تحيا في المجتمع الإسلامي ، الذي يحرّر العقل ويحترمه، ويدعو إلى البحث الدقيق ، والحثّ على التفكير العميق ، ويدفع إلى تقصّي الحقائق ، ويصون الكيان الفكري من آفات الجهل والخرافة والوهم والانحراف [1] ".

والذين يعتقدون أنّ العلم لا يمكن إلاّ أن يكون محايداً بحيث لا يمكن وصفه بأنّه إسلامي أو غير إسلامي ؛ ولا يمكن نسبته إلى مذهب معيّن ؟ يردّ عليهم بأنّ هذا القول دقيق إذا كانت مختلف العلوم ، طبعيّة كانت أم إنسانيّة تقف عند بيان ما هو كائن ، وإنّما هي تتجاوز ذلك إلى بيان كيفيّة تغيير ما هو كائن أو الاستفادة من هذه العلوم وتوجيهها وجهة معيّنة .

ويتساءل المرء " هل كان دارون محايداً عندما استغلّ بعض الوقائع العلميّة ليصل من خلالها إلى أنّ أصل الإنسان قرد ، وهل كان فرويد محايداً عندما استغلّ بعض الظواهر النفسيّة ليصل من خلالها إلى ضرورة إطلاق الرغبات الجنسيّة ، وهل كان ماركس محايداً حين ادّعى أنّ المادّة أصل الوجود ، وأنّ العامل الاقتصادي وحده هو مفتاح التاريخ ومحرّك أحداث الحياة [2] ".

---

[1] ـ الخطيب ، عمر عودة : لمحات في الثقافة الإسلاميّة ، ص ٢١٦ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٢ ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

[2] ـ الفنجري ، محمد شوقي : حول قضية أسلمة العلوم ، ص ٤٤ ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٩٦ ، الكويت ، شعبان ١٤٠٩هـ/ آذار ١٩٨٩م .

٣ ـ اللغة العربيّـة :

عملت التربيـة الإباضيّة على تدريـس معظـم العلـوم باللغـة العربيّـة ، لأنّهـا لغـة الديـن ، وأضاف محمد يوسف اطفيش شرط إتقان اللغة العربيّة لمنصـب الإمامـة لأهمّيـّة اللغة العربيّة .

ودرّست التربية الإباضيّة ، كغيرهـا مـن مـدارس التربيـة الإسـلاميّة ، العلـوم والفلسـفة والرياضيّات باللغة العربيّة ، وهذه العلوم ترجمت ، بدايـة، مـن اللغـات الأخـرى . وطـوّر العلمـاء المسلمون هذه العلوم ، وتابعوا أبحاثهم فيها ، و لم نجد أحداً يجادل في عـدم استجابة اللغـة العربيّـة لأدقّ ما أرادوا التعبير عنه من معاني تلك العلوم .

وإنّ نقل العلوم والأفكار لا يتطلّب المحافظة على اللغة ، التي تتضمّن تلك العلـوم للمحافظة على النقل الصحيح ، لأنّ هذا يعني أن تتخلّى معظم شـعوب العـا لم عـن لغاتهـا الأصليّة ، حتّى تتمكّن من نهل العلوم العصريّة .

إنّ دراسة العلوم باللغات الأجنبيّة التي كتبت بها ، تعني أنّ فئة من طلاّبنـ تطّلع على ما جاء مثلاً عند الأمريكيّين، وفئة تعرف ما كتبه الفرنسيّون وغيرهم مـن الشعوب . وهكذا تعرف كلّ فئة ما كتب من العلم باللغة الأجنبيّة ، الـتي تتقنهـا فلا هم جميعاً عرفوا كلّ ما كتـب ، ولا جمهـور المتعلّمـين عرفـوا شـيئاً مـن ذلـك . إضافة إلى نشؤ ما يدعى بمراكز القـوى العلميّـة ، إذ يكـون لكـلّ فئـة نفـوذ وجـزر ضمن محيط اللغة العربيّـة [١] .

ودور اللغة في حياة الفرد أنّها وسيلة اتصال الإنسان بغيره مـن أفـراد بمجتمعـه ، ليحقّق مطالبه ويفصح عن ميولـه وعواطفـه وهـي أداة إقنـاع ، يحـاول الإنسـان التأثـير في جماعة حين يتكلّم أو يكتب . وهي أداة التفكير لأنّها تعطي الأفكار جسماً مسـموعاً هـو الكلمـة .

---

[١] ـ أنظر ، حجازي ، عبد الرحمن : المذهب التربوي عند ابن سحنون ، ص ١٠٢ .

وتعتبر اللغة الخزانة الفكريّة الزاخرة بالثقافة والتراث ، ولذا قالوا " إنّ اللغة كالعقيدة مقوّم أصيل من مقوّمات شخصيّة الأمّة ، وملمح أساسيّ من ملامح هويّتها الحضاريّة ، وحينئذ يتعاظم دور اللغة وتزداد أهمّيّتها في تاريخ وحياة الشعوب (1) ".

ويعجب المرء عندما ينظر إلى الشعوب في العالم كيف يجدها تحرص كلّ الحرص على لغتها وثقافتها ؛ ونحن لا نكتفي بتدريس العلوم باللغة الأجنبيّة ، من المرحلة المتوسطة حتّى الجامعيّة ، بل نسعى إلىْ تدريس هذه العلوم في المرحلة الابتدائيّة باللغة الأجنبيّة ، مع العلم أنّ للغة العربيّة أهمّيّة استراتيجيّة على مستوى الوطن العربي ، فهي الرباط المقدّس بينه من المحيط إلى الخليج ، والرابط بينه وبين العالم الإسلامي .

لقد جعل المستعمرون لغتهم الأجنبيّة في إرساليّاتهم ، في بلادنا العربيّة ، لغة إجباريّة منذ مرحلة الروضة ، وأهملوا اللغة العربيّة " بدعوى أنّها لغة وطنيّة لا تحتاج إلى تعليم واسع ، وهم يخلطون في هذا الكلام بين اللغة العاميّة المنتشرة ، وبين اللغة العربيّة الفصحى لغة القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة والتراث الإسلامي بأكمله ، لتنطلي الحيلة على أهالي الطلاّب السذّج ، وغايتهم أنّه بعد عقد من السنين ينشأ جيل ينطق بلغة المستعمرين كما ينطق بها أهلها (2) ".

وتصبح اللغة العربيّة مع مرور الزمن لغة منسيّة ، بعد أن ينشأ حاجز بينها وبين رآن الكريم الذي أنزل بها ، يقول المبشّر جون تكلي " يجب أن نشجّع إنشاء المدارس، وأن نشجّع على الأخصّ التعليم الغربيّ ، إنّ كثيراً من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم حينما تعلّموا اللغة الإنكليزيّة . إنّ الكتب المدرسيّة الغربيّة تجعل الاعتقاد بكتاب شرقيّ مقدّس أمراً صعباً جدّاً (3) ".

---

(1) ـ أبو بكر ، يحيى المبدي : اللغة والحفاظ على الهويّة الثقافيّة ، ص ٧٦ ، بمجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٦٦ ، الكويت ، صفر ١٤١٧هـ/ تموز ١٩٩٦م .

(2) ـ نجا ، فاطمة هدى : الاستشراق واللغة العربيّة الفصحى ، ص ٧٨ ، المؤتمر التربوي الإسلامي الأوّل ، طرابلس (لبنان) ، منشورات معهد طرابلس الجامعي للدراسات الإسلاميّة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

(3) ـ أبو زيد ، أحمد محمود : العلمانيّة هل تسربت إلى مؤسساتنا ووسائل إعلامنا ، ص ٥١ ، بمجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٩٧ ، الكويت ، رمضان ١٤٠٩هـ/ نيسان ١٩٨٩م .

أجمعت الآراء والأبحاث على أنّ التعليم باللغة الأمّ هو " الأصحّ وهو الأفضل لتوصيل المعلومات إلى الولد ، ولتمكينه من الاستيعاب ، ولتفاعله مع المادّة التعلّيميّة والمشاركة في الحديث عنها ، ولا يجوز تعليمه بغير هذه اللغة الأمّ ، إلاّ إذا كان يتّقن اللغة الأخرى اتقاناً بمستوى لغته الأم ، وهذا الشرط لا ينطبق على أكثر من نسبة قليلة جداً ، فهل يجوز أن يسخّر التعليم لهذه النسبة فقط ، ويترك الجيل كلّه تحت رحمة هذه الرغبة المغروسة [1] ".

إنّ إقحام اللغة الأجنبيّة في عمليّة تدريس الرياضيّات والعلوم بالشكل الذي يحصل لم يسيء فقط إلى التعليم وتفشيله ، وإنّما أساء فعليّاً إلى اللغة العربيّة ذاتها ، وشوّه اكتسابها سواء من المعلّم والتلميذ أسلوباً ولفظاً وكتابة ، ومنع اللغة العربيّة من ممارسة دورها في النحت والاشتقاق .

وما من أمّة هجرت لغتها إلى غيرها إلاّ أصبحت تابعة لتلك اللغة ، وابتعد أبناؤها عن العلم والتقدّم والإبداع . والمثال على ذلك " اليابان التي رفضت أيّ تعديل على لغتها من جانب الأمريكيّين ، بعد ضربها بالقنابل الذرّية على الرغم من خضوعها لكلّ الشروط التي فرضت ، وأصرّت على الرفض لأنّها لو كانت وافقت إذاً لكانت شخصيّتها كأمّة قد مُحيت من الوجود ، بينما هي اليوم ما يعلم الجميع تقدّما وانجازاً [2] ".

٤ ـ خطبة الجمعة :

أجاد الإباضيّة استغلال خطبة الجمعة لنشر دعوتهم ، وتعتبر خطبة الجمعة فنّاً من فنون الاعلام ، ويتجدّد هذا الأسلوب بتجدّد أسلوب المعيشة والتقدّم الحضاري

---

[1] ـ عيدو ، رفيق : تدريس الرياضيّات والعلوم باللغة العربيّة ، ص ٢٢٩ ، المؤتمر التربوي الإسلامي الأوّل .

[2] ـ القوصي ، محمد عبد الشافعي : التغريب في التعليم في العالم الإسلامي ، ص ٨١ ، مجلّة الوعي الإسلامي، العدد ٣٤١ ، الكويت ، محرم ١٤١٥هـ/ حزيران ١٩٩٤م .

" وكلّما واكبت الخطبة الأحداث اليوميّة خلال أسبوع وأعطت رأي الإسلام في ما يحدث كانت مقرّبة من الناس ومن مشاكلهم [1] ".

وخطبة الجمعة ، في عصرنا ، بحاجة إلى إعادة نظر والاستفادة منها في تذكير الناس وتوجيههم ، في عصر أصبحت الكرة الأرضيّة ، رغم اتّساعها ، كأنّها بقعة صغيرة ، لا حدود بها ، ولا مسافة تفصل بعضها عن بعض ، وباستطاعة أيّ إنسان ، أينما وجد ، أن يرى ويشاهد ويسمع ما يدور في أيّ منطقة دون عناء أو جهد وهو جالس في مكانه .

والذي يرصد خطبة الجمعة في عالمنا الإسلامي تستوقفه عدّة أمور منها :

أ ـ موضوع الخطبة : إنّ الخطابة فن يحتاج إلى مواهب خاصّة ، والخطبة لها مقوّماتها وخصائصها الفنيّة ، لكنّ الغالب على خطباء اليوم الصراخ أمام مكبّرات الصوت ، وثقب طبلة أذن المستمع ، وقد يكون الموضوع المطروح لا يحتاج إلى مثل هذا الانفعال ، ممّا يجعل المستمع لا يستقبل المعنى المطروح الاستقبال المناسب .

ب ـ الارتجال غير المدروس : نادراً ما نرى خطيب جمعة حمل قصّاصة خطّ عليها النقاط الرئيسيّة ، التي يودّ طرحها ، والحديث عنها ، وكثيراً ما نستمع إلى خطيب يتحدّث عن مواضيع شتّى لا تمّت لبعضها بصلة .

ج ـ إطالة الخطبة : يطيل العديد من الخطباء الخطبة ، ممّا يورّث المستمع الملل والضجر، ويزداد الملل عندما يتناول الخطيب موضوعاً أبعد ما يكون عن الواقع ومستوى المجتمع ، أو عندما ينقل الخطباء خلافاتهم المختلفة إلى منبر الجمعة [2] .

---

[1] ـ الأصبحي ، سعيد أحمد : الدعوة الإسلاميّة ووسائلها الإعلاميّة ، ص ٢٨ ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٤٦ ، الكويت ، جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ تشرين الثاني ١٩٩٤م .

[2] ـ أنظر ، مصطفى ، محمد يوسف : دور المسجد في مواجهة قضايا العصر ، ص ٧٦ ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٠٩ ، الكويت ، رمضان ١٤١٠هـ/ نيسان ١٩٩٠م .

د ـ اعتماد خطب سابقة : كثيراً ما يلجأ بعض الخطباء إلى خطب ألّفها علماء سلف لعصرهم ، أو سبق أن ألقوها في سنوات ماضية ، فينعزل بذلك عن جمهوره ، وتفشل الخطبة في تحقيق أهدافها في التأثير على الجماهير ، إذ تبدو متخلّفة عن قافلة الزمن ، بينما الناس يشغلهم حدث جلل أو أمر طارئ ويتشوّقون إلى سماع كلمة الدين ، فإذا هم يسمعون نفحات قديمة ، لا صلة لها بما يتوقون إلى سماعه [1] .

لذا ينبغي على الخطيب أن يحسن إختيار الموضوع ، الذي يمسّ بشكل مباشر مشاكل الناس . ومتى ربط الخطيب نفسه بالقضايا المرتبطة بمصالح الناس ومشاكلهم ، فإنّه يربط المجتمع بتعاليم الدين .

وعندما يخوض في قضايا المجتمع يكسب ثقة ومصداقيّة ، ويصبح تأثيره بلا حدود ، فدور الخطيب لا ينحصر في الوعظ والارشاد فقط ، بل يوظّف المعاني الدينيّة لتقوم بدورها في تناول قضايا المجتمع ، ويبيّن كيف يحلّ الإسلام بأنظمته وبأحكامه الشرعيّة مشاكل الفرد والمجتمع ، في كلّ مكان وزمان .

ونقترح في هذا المجال :

١ ـ إحداث برامج لتأهيل خطباء المساجد ، بحيث نعدّ خطيباً جيّداً ، تتوفّر فيه مقومات الخطيب الناجح .

٢ ـ إعداد دليل خاص للخطباء يحتوي المعلومات والتوجيهات التي تهمّ الخطيب .

٣ ـ تأهيل الخطباء لغويّاً وفكريّاً بما يتناسب مع متطلبات القرن الخامس عشر الهجري .

---

[1] ـ أنظر ، محمد ، محمد عماد : خطبة الجمعة والواقع المرتجى ، ص ١٥ ، جريدة اللواء ، بيروت ، السنة ٣٤ ، العدد ٨٦٤٠ ، الأربعاء ٨ ذو القعدة ١٤١٧هـ/ ٢٤ أيار ١٩٩٦م .

٤ ـ وضع صندوق استفتاء في كل مسجد لأخذ آراء المصلّين بالخطبة وموضوعها ، حتّى يتمّ تطوير موضوع الخطبة ، من خلال النقد الذاتي البنّاء .

٥ ـ إقامة درس، بعد صلاة الجمعة ، يتوسّع فيه الخطيب في تفصيل المعاني التي ذكرها، حتّى يكون المجال مفتوحاً لمن يريد الاستزادة من المصلّين، وبذلك ننجو من آثار السلبيّة على بعض الحضور .

٦ ـ تفعيل دور المسجد : توافق مؤرّخو السيرة النبويّة أنّ أوّل عمل قام به رسول الله ﷺ ، عند هجرته إلى المدينة المنوّرة ، هو بناء المسجد . ولقد استهلّ رسول الله ﷺ وجوده في المدينة المنوّرة ببناء المسجد " لكي يؤكّد للمسلمين بالعمل المادّيّ المحسوس والواقع الفعليّ والملموس بأنّ هذا البناء يتجاوز ما تقع عليه العين من الحيّز الذي يشغله في أديم الأرض ، ويبلغ في آثاره الإعداديّة والتنظيميّة أعماق المجتمع الإسلامي العتيد ، وينفّذ بهذه الآثار إلى كلّ فرد مسلم في عمليّة تغيير جذريّة تتناول هذا الفرد ، بحيث يستحيل مع الإسلام ، إلى إنسان جديد ليس فيه من رواسب جهالة الجاهليّة ، ما يشدّه إلى ضلاله القديم من قريب أو بعيد [1] ".

ومن هذا المنطلق علينا أن نعيد الدور التربوي للمسجد ويكون ذلك في الخطوات التالية :

أ ـ إيجاد مكتبة ثقافيّة وسمعيّة بصريّة .

ب ـ الإعلان الدائم عن سلسلة دروس متنوعة .

---

[1] ـ الولي ، طه : الدور التربوي للمسجد في الإسلام ، ص ٥١ ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٠٦ ، الكويت ، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ/ كانون الثاني ١٩٩٠م .

ج ـ تأليف لجنة مسجديّة من رواد المسجد تهتمّ بأمور المنطقة المحيطة بالمسجد ، وجعل المسجد محور النشاط الثقافي والفكري والبيئي .

د ـ تواجد إمام المسجد في المسجد ، في أوقات محدّدة ومعلن عنها ، ليكون مرجعاً يجيب عن استفسارات أهالي المنطقة الدينيّة ، ويتفاعل مع النشاطات القائمة في محيط المسجد .

هـ ـ رعاية النشاطات الموسميّة والمناسبات الإسلاميّة .

٥ ـ دور الإعلام في الدعوة الإسلاميّة :

هدفت الرسائل في الدعوة الإباضيّة إلى نشر وبثّ تعاليم المذهب الإباضي ، وأدّت بنجاح دور وسائل الإعلام في ذلك العصر .

وإذا كانت الدراسات الحديثة في مجال الاعلام والاتصال بالجماهير توضح أنّ الدول الإسلاميّة هي في مقدّمة المناطق ، التي تستهدفها الإذاعات الأجنبيّة التي تعمل في إطار متكامل " بحيث يكون هناك تكامل وتنسيق بين مختلف نوعيّات البرامج الإذاعيّة التي تقدّمها ، وهذه الإذاعات لا تعمل منفردة في إطار الغزو الثقافي الأجنبي للعالم الإسلامي ، وإنّما تعمل بالتكامل والتنسيق مع وسائل الدعاية المتعدّدة الأخرى ، التي يعتمد عليها هذا الغزو مثل : السينما ، والتلفزيون ، والصحافة ، وغيرها بهدف تحقيق ما يسمّى بالدعاية الجماعيّة [1] ".

ويجد العالم الإسلامي نفسه محاطاً بهذه الشبكة الإعلاميّة ، وأنّه أمام استعمار أخطر من الاستعمار الأوّل ، لأنّه تمّ اختراقه واحتواؤه إعلاميّاً . ومن الضروري في هذا المجال :

---

[1] ـ بسيوني ، شاهينار : أساليب الإذاعات الأجنبيّة في الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص ٦١ ـ ٦٢ ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٠٣ ، الكويت ، ربيع الأول ١٤١٠هـ/ تشرين الأول ١٩٨٩م .

أ ـ عقد المؤتمرات والندوات بين علماء الأمّة لإبداء الرأي في مستجدّات العصر، وكيفيّة التعامل معها ، وإيجاد مؤسّسات إقتصاديّة إسلاميّة ، ودعم نشاطها الاقتصادي والصناعي .

ب ـ إيجاد مؤسّسات إسلاميّة للتمويل، تموّل مشاريع تربويّة في العالم الإسلامي .

ج ـ نشر الكتب والدراسات ، وإعداد البرامج الإذاعيّة والتلفازيّة ، التي توثّق العلاقات بين الشعوب الإسلاميّة .

د ـ إزالة التهم عن صورة الصحوة الإسلاميّة ، التي تبذل وسائل الإعلام المعادية كلّ جهودها وإمكانيّاتها لتشويهها في كتاباتهم وصحفهم وبرامجهم ، ويحاولون تصوير الدعاة إلى الله تعالى بأنّهم يشكّلون الخطر على الإنسانيّة ، وأنّهم مصدر الارهاب والفتن .

وإنّ إيجاد إعلام إسلامي معاصر لمهمّة شاقّة وصعبة ، ولكنّها غير مستحيلة إذا أخلصنا النيّة، وأخذنا بالأساليب العلميّة التي توصّلت إليها الإنسانيّة .

ولتبيان خطورة دور الإعلام وأهمّيّته ، يذكر محمد الرميحي أنّه حضر في أيلول من عام ١٩٩١ ندوة نظّمتها اليونسكو في العاصمة التشيكيّة براغ ، وكان موضوع الندوة العام هو " النظام والديمقراطيّة " وأحد موضوعاتها الفرعيّة هو " الإعلام والديمقراطيّة " وتحدث أحد الصحافيّين الغربيّين معلّقاً " على تغطية الصحافة الغربيّة والإعلام الغربي لما حدث في ميدان " تيانا نمين " بالصين بقوله : لقد ضخّمنا الحدث متعمّدين وسمّيناه مذبحة ، ورغم أنّ الحقيقة تؤكّد أنّه لم يقتل فيه شخص واحد . وسبب التضخيم هو لفت الأنظار لما يحدث .

وربّما إلى يومنا هذا يعتقد الكثيرون حول العالم أنّ ما حدث في الصيف حينذاك كان بالفعل مذبحة [1] ".

---

[1] ـ الرميحي ، محمد : صناعة الإعلام أو الإعلام الصناعي ، ص ١١ ، مجلّة العربي ، العدد ٣٩٦ ، السنة الرابعة والثلاثون ، الكويت ، تشرين الثاني ١٩٩١ .

هذا نموذج بسيط عن دور الإعلام في تضخيم الحقائق وقلبها، فماذا نقول عن ادّعاءات اليهود حول مجازر النازيّة بحقّهم ؟ وسواها من نماذج صارخة .

لقد فشلت السياسة التربويّة ، في عالمنا الإسلامي ، في تغيير النظام التربوي ، الذي وضع ليعمل على تزييف الطابع الإسلامي ، وعلى طمس تراث الوطن الإسلامي وتقاليده وعاداته ، بحيث أصبحت العمليّة التربويّة نفسها عمليّة تبشيريّة تمجّد آثار المستعمر وثقافته .

عجزت السياسة التربويّة عن تحقيق حلم ظلّ يراود أبناء الوطن الإسلامي ، وهو إيجاد تربية تبني الفرد المسلم وتجعله يواكب العصر وتطوّراته .

وإذا آمنّا بأنّ الإنسان هو الأداة والهدف لأيّ جهد حضاري فإنّ جوهر التخلّف الذي تعيشه المجتمعات المسلمة ، والعقبات التي تعوقها عن اللحاق بركب العصرنة على جميع مستوياتها يكمن في توجيه ذهنيّة الفرد المسلم ، وهذا ما عجزت البنية الثقافيّة في عالمنا الإسلامي عن تجاوزه بسلام ، لبناء الفرد المسلم ، الذي خرج من معركته مع المستعمر خائر القوى ، مهدّد الكيان ، محطّم الشخصيّة .

وإذا كان الإستعمار قد نجح في زعزعة الثقة بالنفس لدى الفرد المسلم ، وإطفاء روح المبادرة لديه ، وتعطيل طاقات التساؤل والخيال والإبداع ، وطمس روح الطموح ، فإنّ مناهجنا التربويّة التي بلّدت الذهن ، وجمّدت الفكر ، أثبتت فشلها على مستويات وميادين مختلفة [١] .

ومهما حاول الغرب بأجهزته ومؤسّساته وإمكاناته الهائلة ، وتقدّمه العلمي في الميادين كافّة ، أن يجعل من النظام والأسلوب الذي ينتهجه في الحياة والنظام، المثل الأعلى لكافّة بني البشر، باعتباره ، من وجهة نظرهم ، نظام التقدّم والمدنيّة،

---

[١] ـ أنظر ، ابن عزيز ، محمد صالح : مشكلات التخلّف في الوطن الإسلامي ، ص ٥٧ ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٤٣ ، الكويت ، ربيع الأول ١٤١٥هـ/ حزيران ١٩٩٤م .

إلاّ أنّ " الحقائق الصارخة والنداءات والاستغاثات الصادرة عن التربويّين والمسؤولين والمصلحين الاجتماعيّين ومسؤولي الأمن في ديار الغرب تؤكّد عكس ذلك تماماً وتظهر الوجه الآخر لحضارة الغرب المعاصرة ، حضارة العري والتفكّك والسعار الجنسي والبهيميّة ، حضارة التفكّك الأسري والعائلي، حضارة القتل والجريمة والاغتصاب والإيدز، حضارة تآكل القِيَم الخلقيّة وما يرافقها من قلق متّصل وضياع كبير [1] ".

وآن الأوان أن نبلور مذخوريّة [*] تربويّة تنبع من عقيدتنا فالغرب يرى أنّ صدام الإسلام مع الغرب ، هو حالة مطلقة كامنة في البنى الثقافيّة والمعرفيّة للإسلام والمسلمين . ويرى برنار لويس أنّ الحرب بين الإسلام والغرب ، والتي بدأت منذ الأزل ، ستستمر ما دام هناك إسلام وغرب ، ويقول في " جذور الغضب الإسلامي " " يجب أن يكون من الواضح الآن ، بأنّنا نواجه حالة نفسيّة وحركة تتجاوزان مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تلاحقها وتتبنّاها . إنّ ما يحدث لا يمكن أن يكون غير وأقلّ من صدام حضارات ، إنّ ردّ فعل هذا الخصم القديم ضدّ إرثنا اليهودي ـ المسيحي . وضدّ حاضرنا العلماني وضدّ انتشارهما على صعيد العالم ، هو ربّما ردّ فعل عقلاني ، ولكنّه ردّ فعل تاريخي بدون أدنى شك [2] ".

---

[1] ـ الإفتتاحيّة : الوجه الآخر لحضارة الغرب ، ص ٦ ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٤٢ ، الكويت ، صفر ١٤١٥هـ/ تموز ١٩٩٤م .

[*] ـ هذه الكلمة مشتقّة من الذخر ، وهو إدخار الشيء للمستقبل ليكون نافعاً ونفيساً والمعنى موجود في معاجم اللغة ، وقد سمّيت هذا البحث بالمذخورية لترادف كلمة الإستراتيجيّة المستقبليّة في معناه العام .

(أنظر ، الفقي ، محمد أبو زيد : المذخوريّة الفكر المستقبلي عند المسلمين ، ص ١٣ ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م .

[2] ـ الصراف ، شهاب الدين : قراءة جديدة لبرنار لويس وللشرق الأوسط ، ص ١٢٩ ، مجلّة قراءات سياسيّة ، العددان الثالث والرابع ، فلوريدا (الولايات المتحدة) ، مركز دراسات الإسلام والعالم ، صيف وخريف ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

أفلا يحسن بنا أن نتخلّص من أسباب تخلّفنا ، وننطلق في ميدان التقدم والريادة .

إنّ البشرية جمعاء تنادينا لننقذها من غياهب الانحلال ، كما أنقذناها في عصر حضارتنا الذهبي ، وذلك ممكن إذا أعدنا مناهجنا إلى أصالتنا ، وإلى دورها الريادي . ويقود العالم أصلح من فيه لقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ [1] ﴾ .

---

[1] ـ سورة الأنبياء ، الآية ١٠٥ .

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم :

ـ أولاً : المخطوطات غير المنشورة :

١ ـ ابن زلتاف ، أبو خزر يغلا (ت : ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) :
الردّ على المخالفين : موجود في مكتبة فرحات الجعبيري في تونس .

٢ ـ المارغني ، أبو عمرو عثمان بن خليفة (ت : ق٦هـ/ق١٢م) :
رسالة في فرق الإباضيّة الست وما زاغت به عن الحق ، غرداية (الجزائر) مكتبة بني يزجن ، رقم المخطوط ٢/٦٩ .

ـ ثانياً : المصادر العربيّة الأساسيّة :

١ ـ الإباضي ، ابن سلام (ت : ٢٧٣هـ/ ٨٨٨ م) :
كتاب الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضيّة ، تحقيق ر. ف . شفارتز وسالم بن يعقوب، بيروت ، دار إقرأ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٢ ـ الإباضي ، أبو عمّار عبد الكافي (ت : ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) :
الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الردّ على أهل الخلا[ف]
تحقيق عمّار الطالبي ، بيروت ، مطابع الشروق ١٩٧٨ .

٣ ـ ابن الأبّار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت : ٦٨٥هـ/ ١٢٦٠م) :
كتاب الحلّة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربيّة ١٩٦٣ .

٤ ـ ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت : ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) :
الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ، بيروت ، دار الكتب العلميّة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٥ ـ ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت : ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) :
معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي ، القاهرة ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ١٩٧٦ .

٦ ـ ابن إسماعيل ، أبو مهدي عيسى (ت : ٩٧١هـ/ ١٥٦٤م) :
الردّ على البهلوي ، تونس ، المطبعة العلميّة ١٣٢١هـ .

٧ ـ ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت : ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) :
تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة ، بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ١٩٦٠ .

٨ ـ ابن جرير الطبري ، أبو جعفر محمد (ت : ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) :
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، مصر ، دار المعارف ١٩٦٤ .

٩ ـ ابن الجزّار القيرواني ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (ت : ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م) :
سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تقديم وتحقيق محمد حبيب الهيلة ، تونس ، الدار التونسيّة للنشر ١٩٦٨ .

١٠ ـ ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم (ت : ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) :
تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلّم ، نشر السيد محمد هاشم الندوي ، حيدر أباد (الهند) ١٣٥٧هـ .

١١ ـ ابن الحاج العبدري ، أبو عبد الله محمد (ت : ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) :
مدخل الشرع على المذاهب ، القاهرة ، المطبعة المصريّة بالأزهر ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م .

١٢ ـ ابن حجر العسقلاني ، الإمام الحافظ أحمد بن عليّ (ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٢م) :
تهذيب التهذيب ، حيدر أباد (الهند) ١٣٢٥هـ .

١٣ ـ ....
فتح الباري شرح حديث البخاري ، بيروت ، دار الكتب العلميّة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .

١٤ ـ ابن حنبل ، الإمام أحمد (ت : ٢٧٥هـ/ ٨٨٨ م) :
مسند أحمد بن حنبل ، بيروت ، المكتب الإسلامي ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

١٥ ـ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن عليّ (ت : ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) :
كتاب صورة الأرض ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، د. ت .

١٦ ـ ابن خرداذبّة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت : ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م) :
المسالك والممالك، بغداد ، مكتبة المثنّى ، د. ت .

١٧ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمّد (ت : ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥هـ) :
مقدّمة ابن خلدون ، بيروت ، دار التراث العربي ، د. ت .

١٨ ـ ابن خلفون ، أبو يعقوب يوسف (ت : ق٦هـ/ ق١٢م) :
أجوبة ابن خلفون ، تحقيق عمرو خليفة النامي ، بيروت ، دار الفتح ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

١٩ ـ ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت : ٣٢١هـ/ ٩٣١م) :
الملاحن، صحّحه وعلّق عليه وذيّله بذيل أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، بيروت ، دار الكتب العلميّة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٢٠ ـ ابن زيد ، جابر (ت : ٩٣هـ/ ٧١١م) :
من جوابات الإمام جابر بن زيد ، ترتيب الشيخ سعيد بن خلف الخروصي ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٢١ ـ ابن سحنون ، محمد (ت : ٢٥٦هـ/ ٧٨٠م) :
كتاب آداب المعلّمين والمتعلّمين ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، تعليق محمد العروسي المطوي ، تونس ، دار الكتب التونسيّة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

٢٢ ـ ابن سعد ، أبو عبد الله محمّد (ت : ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) :
الطبقات الكبرى ، بيروت ، دار صادر ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م .

٢٣ ـ ابن سينا ، أبو عليّ الحسين بن عبد الله (ت : ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م) :
كتاب القانون في الطبّ، القاهرة، مطبعة بولاق ١٢٩٤هـ .

٢٤ ـ ابن شامس ، سالم بن حمّود (ت : ق١٣هـ/ ق ١٨م) :
طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي ، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٧م .

٢٥ ـ ابن شامس ، سالم بن حمّود :
إزالة الوعثاء في أتباع أبي الشعثاء ، شرح سيدة إسماعيل كاشف ، القاهرة ، سجل العرب ١٩٧٩ .

٢٦ ـ ابن الصغير ، (ت : ق٣ هـ/ ق ٩م) :
تاريخ الأئمّة الرستميّين ، تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٦م .

٢٧ ـ ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف النمري القرطبي (ت : ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م) :
جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله تقديم عبد الكريم الخطيب ، راجعه وصحّحه عبد الرحمن حسن ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

٢٨ ـ ابن عذاري ، أبو عبد الله محمّد (ت : ق٣ هـ/ ٩م) :
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان و أ . ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار الثقافة ، ط ٣ ، ١٩٨٣ .

٢٩ ـ ابن عربي ، أبو بكر محمّد بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨م) :
أحكام القرآن ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩١١ .

٣٠ ـ ابن قتيبة ، أبو محمّد عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) :
الإمامة والسياسة ، بيروت ، مؤسّسة ناصر للثقافة ١٩٨٠ .

٣١ ـ ....
الاختلاف في اللفظ والردّ على الجهميّة والمشبهة ، بيروت ، دار الكتب العلميّة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٣٢ ـ ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت : ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) :
البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٣٣ ـ ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمّد بن يعقوب (ت : ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) :
تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، القاهرة ، المطبعة الخيريّة ١٣٢٢هـ .

٣٤ ـ ابن المقنفذ القسنطيني ، أبو العبّاس أحمد بن الخطيب (ت : ٨١٠ هـ/ ١٤٠٧م) :
الفارسيّة في مبادئ الدولة الحفصيّة، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسيّة للنشر ١٩٦٨ .

٣٥ ـ ابن نصر ، عبد الرحمن (ت : ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م) :
نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشر الباز العريني ، إشراف مصطفى زيادة ، القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ .

٣٦ ـ أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت : ٢٧٥هـ/ ٨٨٨ م) :
سنن أبي داود ، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت ، بيروت ، دار الجنان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

٣٧ ـ أبو زكريا ، يحيى بن أبي بكر (ت : ق٥هـ/ ق١١م) :
كتاب سير الأئمّة وأخبارهم ، تحقيق ووضع الفهرسة إسماعيل العربي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٩٨٢ .

٣٨ ـ أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله (ت : ٤٣٧هـ/ ١٠٣٨ م) :
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٥٢هـ .

٣٩ ـ الأشعري ، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل (ت : ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) :
مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا (لبنان)، المكتبة العصريّة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

٤٠ ـ البخاري ، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل (ت : ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) :
صحيح البخاري ، مراجعة وضبط وفهرسة الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري ، صيدا (لبنان) ، المكتبة العصريّة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

٤١ ـ البرادي ، أبو القاسم بن إبراهيم (ت : ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) :
الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات ، القاهرة ، مطبعة حجرية ١٨٨٤ .

٤٢ ـ ....
رسالة في كتب الإباضيّة ، دراسة وتحقيق محمد زينهم عزب وأحمد عبد التوّاب عوض ، القاهرة ، دار الفضيلة ١٩٩٤ .

٤٣ ـ البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر (ت : ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) :
الفرق بين الفِرق والفرقة الناجية منهم ، بيروت ، دار الجيل والآفاق الجديدة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

٤٤ ـ البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت : ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) :
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، بغداد، مكتبة المثنّى، د . ت .

٤٥ ـ البهلوي ، أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن بركة (ت : ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) :
كتاب الجامع ، حقّق وعلّق عليه عيسى يحيى الباروني ، بيروت ، مطبعة الوطن ، ط ٢ ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

٤٦ ـ البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ (ت : ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) :
معرفة السنن والآثار عن الإمام عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، مخرّج على ترتيب أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني ، تحقيق سيد كسروي حسن ، بيروت ، دار الكتب العلميّة ١٩٩١ .

٤٧ ـ الترمذي ، أبو عيسى محمّد بن عيسى (ت : ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) :
الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د . ت .

48 - ....
صحيح الترمذي باختصار السنن ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٤٩ - الثميني ، عبد العزيز (ت : ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م) :
النيل شفاء العليل ، تحقيق بكلي عبد الرحمن بن عمر ، غرداية (الجزائر) ، المطبعة العربية ، ط ٣ ، ١٩٦٩ .

٥٠ - الجناوي ، يحيى بن أبي الخير (ت : ق٥هـ/ ق١١م) :
الوضع مختصر الأصول في الفقه ، نشره وعلّق عليه أبو إسحاق إبراهيم اطفيش ، القاهرة ، مطبعة الفجالة الجديدة ١٩٦٢ .

٥١ - الجيطالي ، أبو طاهر إسماعيل بن موسى (ت : ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) :
قواعد الإسلام ، صحّحه وعلّق عليه بكلي عبد الرحمن بن عمر ، غرداية (الجزائر) ، المطبعة العربيّة ١٩٧٦ .

٥٢ - الجيطالي ، أبو طاهر إسماعيل بن موسى :
قناطر الخيرات ، حقّقه وعلّق عليه عمرو خليفة النامي ، القاهرة ، مكتبة وهبه ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .

٥٣ - الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت : ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) :
الفقه والمتفقّه ، تحقيق إسماعيل الأنصاري، الرياض ، مطبعة القصيم ، ط ٢ ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

٥٤ - الدارمي ، أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن (ت : ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) :
سنن الدارمي ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني ، القاهرة ، شركة الطباعة الفنيّة المتحدة ١٩٦٦ .

٥٥ ـ الدرجيني ، أبو العبّاس أحمد بن سعيد (ت : ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) :
طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاي ، قسنطينة (الجزائر) ، مطبعة البعث ١٩٧٤ .

٥٦ ـ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) :
ترتيب الموضوعات لابن الجوزي، بيروت، دار الكتب العلميّة ١٩٩٤ .

٥٧ ـ الرقيق ، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت : ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م) :
تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعزّ الدين موسى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠ .

٥٨ ـ الزرنوجي ، برهان الإسلام (ت : ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) :
تعليم المتعلّم في طريق التعلّم، القاهرة، مطبعة التوفيق الأدبيّة ، د . ت .

٥٩ ـ السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (ت : ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) :
طبقات الشافعيّة الكبرى ، تحقيق محمد الطناجي وعبد الفتاح محمّد الحلو ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٤ .

٦٠ ـ الشماخي ، أحمد بن سعيد عبد الواحد (ت : ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م) :
كتاب السير ، تحقيق أحمد بن سعود السيابي ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

٦١ ـ الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت : ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م) :
كتاب الملل والنحل ، تخريج محمد بن فتح الله بدران ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٦ .

٦٢ ـ الغزالي ، محمّد بن محمّد (ت : ٥٠٥ هـ/ ١١١١م) :
الاقتصاد في الاعتقاد ، القاهرة ، المطبعة التجاريّة ١٣٢٠هـ .

٦٣ ـ ....
كتاب منهاج المتعلّم ، ضمن كتاب التراث التربوي في خمس مخطوطات ، جمعها وحقّقها وقدم لها هشام نشابة ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٨٨ .

٦٤ ـ ....
إحياء علوم الدين وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من أخبار للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى ٨٠٦ هـ/١٤٠٣م ، بيروت ، دار المعرفة ، د . ت .

٦٥ ـ الفراهيدي ، الربيع بن حبيب بن عمر (ت : ١٧٠هـ/٧٨٦م) :
الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب على ترتيب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني ، دمشق ، المطبعة العموميّة ١٣٨٨هـ .

٦٦ ـ القابسي ، أبو الحسن علي بن محمّد بن خلف (ت : ٤٠٣هـ/١٠١٢م) :
الرسالة المفصلة لأحوال المعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين ، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٥ .

٦٧ ـ القشيري النيسابوري ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت : ٢٦١هـ/٨٧٤م) :
صحيح مسلم ، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه ملخص شرح الإمام النووي مع زيادات عن أئمّة اللغة محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار الكتب العلميّة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

٦٨ - ....
صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د .ت .

٦٩ - اللبيـدي ، أبو القاسم (ت : ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) :
مناقب أبي القاسم الجنبيـاني ، تحقيـق الهـادي إدريـس ، تونـس ، دار الكتب الشرقيّة ١٩٥٩ .

٧٠ - المـالكـي ، أبو بكر عبد الله بن محمّد (ت : ٤٣٨هـ/١٠٤٦م) :
كتاب رياض النفوس في طبقات علمـاء القيروان وإفريقيـة وزهّـادهم ونسّاكهم وسير مـن أخبـارهم وفضـائلهم وأوصـافهم ، حقّقـه بشـير البكّـوش ، راجعـه محمّـد العروسـي المطـوي ، بـيروت ، دار الغـرب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٧١ - المـاوردي ، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب (ت : ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) :
أدب الدنيا والدين ، القاهرة ، المطبعة الأميريّة ، ط ١٧ ، ١٩٢٨ .

٧٢ - المـبرد ، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (ت : ٢٨٥هـ/٨٩٨م) :
الكـامل في اللغـة والأدب ، تحقيـق تغـاريد بيضـون ونعيـم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلميّة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٧٣ - المغـراوي ، أحمد بن أبي جمعة (ت : ٩٢٠هـ/١٥١٤م) :
جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلّمين وآباء الصبيـان ، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورابح نوبار ، الجزائـر ، الشـركة الوطنيّـة للنشر والتوزيع ١٩٧٥ .

٧٤ - المقـريـزي ، تقـيّ الدين أحمد بن عليّ (ت : ٨٤٥ هـ/١٤٤١م) :
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزيّة) ، القـاهرة ، مطبعة النيل ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

٧٥ ـ الهيثمي ، الحافظ نور الدين (ت : ٨٠٧ هـ/١٤٠٤م) :

كتاب مجمع البحرين في زوائد المعجمين المعجم الأوسط والمعجم الكبير للطبراني ، تحقيق ودراسة عبد القدّوس بن محمّد ، الرياض ، مكتبة الرشد ١٤١٣هـ/١٩٩٥م .

٧٦ ـ الوارجلاني ، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم (ت : ٥٧٠هـ/١١٧٤م) :

الدليل والبرهان ، تحقيق الشيخ سالم بن حمد الحارثي ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٧٧ ـ الونشريسي ، أحمد بن يحيى (ت : ٩١٤هـ/١٥٠٨م) :

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجّي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠م .

٧٨ ـ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت : ٢٨٤هـ/٨٩٧م) :

صفة المغرب ، مأخوذ عن كتاب البلدان ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٥٠ .

٧٩ ـ ....

كتاب البلدان ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٩١ .

- ثالثاً : المراجع العربيّة والمعرّبة المطبوعة :

١ - الإبراشي ، محمّد عطيه : التربية الإسلاميّة وفلاسفتها ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط ٣ ، د . ت .

٢ - إبراهيم ، علي سالم : نظام التربية الإسلاميّة في عصر دولة المماليك في مصر ، مصر ، جامعة طنطا ١٩٨٠ .

٣ - ابن قيس، أبو إسحاق إبراهيم : مختصر الخصال ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٤ - ابن يوسف ، إبراهيم : الحكم والسياسة في الإسلام من منظور إباضي ، الجزائر ، مطبعة تقنية الألوان ١٩٩١ .

٥ - إسماعيل ، محمود : الحركات السرّيّة في الإسلام ، رؤية عصريّة ، بيروت ، دار القلم ، د . ت .

٦ - إسماوي ، صالح بن عمر : نظام العزابة ، الجزائر ، جامعة الجزائر ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٧ - اطفيش محمّد بن يوسف : شرح عقيدة التوحيد ، بخط الحاج محمد بن الحاج صالح ، الجزائر ، طبعة حجرية ١٣٢٨هـ .

٨ - .... : رسالة شافية في بعض التواريخ ، الجزائر ، طبعة حجرية ١٢٩٩هـ/١٨٨١م .

٩ - .... : أساس الطاعات في جميع العبادات ، نالوت (ليبيا) بيروت ، دار لبنان ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م .

١٠ - أعوشت ، بكير بن سعيد : دراسات إسلاميّة في الأصول الإباضيّة ، قسنطينة (الجزائر)، مطبعة البعث ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

١١ ـ .... : قطب الأئمّة العلاّمة محمّد بن يوسف اطفيش ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ١٩٨٩ .

١٢ ـ الألباني ، محمد ناصر الدين : ضعيف الجامع الصحيح ، بيروت ، المكتب الإسلامي ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

١٣ ـ .... : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، بيروت ، المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٤ ـ إمام ، إبراهيم : أصول الإعلام الإسلامي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٧٧ .

١٥ ـ أمين ، أحمد : ضحى الإسلام ، ج ٣ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصريّة ، ط ٦ ، ١٩٥٦ .

١٦ ـ الأهواني ، أحمد فؤاد : التربية في الإسلام ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٧٥ .

١٧ ـ باجية ، صالح : الإباضيّة بالجريد في العصور الإسلامية الأولى ، تونس ، دار بو سلامة للطباعة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

١٨ ـ الباروني، أبو الربيع سليمان : مختصر تاريخ الإباضيّة ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ، ط ٤ ، د . ت .

١٩ ـ .... : الأزهار الرياضيّة في أئمّة وملوك الإباضيّة، تونس، دار بو سلامة للطباعة ١٩٨٦ .

٢٠ ـ بحاز ، إبراهيم بكير : الدولة الرستميّة دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكريّة ، الجزائر ١٩٨٥ .

٢١ ـ بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الإسلاميّة ، نقله إلى العربيّة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، ١٩٦٠ .

٢٢ ـ بل ، ألفرد : الفرق الإسلاميّة في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧ .

٢٣ ـ بول ، استانلي لين : طبقات سلاطين الإسلام ، ترجمه للفارسيّة عبّاس إقبال ، ترجمه عن الفارسيّة مكي طاهر الكعبي ، بغداد ، منشورات البصري ١٩٦٨ .

٢٤ ـ بيوض ، إبراهيم بن عمر : من إجابات العلامة بيوض في إعجاز القرآن ، غرداية (الجزائر) ، المطبعة العربية ١٩٧٣ .

٢٥ ـ التوزري ، إبراهيم العبيدي : تاريخ التربية بتونس ، تونس ، الشركة التونسيّة للتوزيع ، د . ت .

٢٦ ـ الثعالبي ، عبد العزيز : تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبيّة، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد ومحمّد إدريس ، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي ، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٢٧ ـ الجعبيري ، فرحات : علاقة عمان بشمال إفريقية ، سلطنة عمان ، معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

٢٨ ـ .... : البعد الحضاري للعقيدة الإباضيّة ، تونس ، مطبعة الألوان الحديثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

٢٩ ـ .... : نظام العزابة عند الإباضيّة في جربة ، تونس ، المطبعة العصريّة ١٩٧٥ .

٣٠ ـ جلال ، عبد الفتّاح : من الأصول التربويّة في الإسلام ، المنوفية (مصر) ، سرس الليان ١٩٧٧ .

٣١ ـ الجندي ، علي وآخرون : سجع الحمام في حكم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصريّة ١٩٦٧ .

٣٢ ـ جهلان ، عدون : الفكر السياسي عند الإباضيّة من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري، ط ٢ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

٣٣ ـ جونز، بيه فلاوي، وآخرون : التعلّيم والتعلّم، الإستراتيجيّات ، التدريب المعرفي في مجالات المحتوى ، ترجمة عمر حسن الشيخ ، عمان ، منشورات معهد التربية ، الأونروا ١٩٨٨ .

٣٤ ـ الحاج ، فايز محمد علي : أبو حامد الغزالي ، أعلام التربية العربيّة الإسلاميّة، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٥هـ/١٩٨٩م .

٣٥ ـ الحارثي ، سالم بن حمد : العقود الفضيّة في الأصول الإباضيّة ، سوريا ولبنان، دار اليقظة العربيّة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٣٦ ـ حجازي ، عبد الرحمن : المذهب التربوي عند ابن سحنون ، صيدا (لبنان) ، المكتبة العصريّة، ط ٢ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٣٧ ـ حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصريّة ، ط ٧ ، ١٩٦٤ .

٣٨ ـ حسن ، محمود : الأسرة ومشكلاتها ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٧ .

٣٩ ـ حسين ، أحمد إلياس : دور الفقهاء الإباضيّة في إسلام مملكة مالي ، بغداد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٥ .

٤٠ ـ حلاّق ، حسّان : أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني ، سجّلات المحكمة الشرعيّة في بيروت ، بيروت ، الدار الجامعية ، ط ٢ ، ١٩٨٨ .

٤١ ـ حلوان ، عدنان وآخرون : دليل التربية الرياضيّة ، المدينة المنوّرة ، دار التراث ١٤٠٩هـ .

٤٢ ـ حنفي ، حسن : في الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر ١٩٨٢ .

٤٣ ـ الخطيب ، عمر عودة : لمحات في الثقافة الإسلاميّة ، بيروت ، مؤسّسة الرسالة ، ط ١٢ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٤٤ ـ خليفات ، محمد عوض : نشأة الحركة الإباضيّة ، عمان ، الجامعة الأردنيّة ١٩٨٢ .

٤٥ ـ .... : النظم الاجتماعية والتربويّة عند الإباضيّة في شمال إفريقية في مرحلة الكتمان ، عمان ، ١٩٨٢ .

٤٦ ـ .... : التربية عند الإباضيّة ، عمان ، مؤسّسة آل البيت ١٩٩٢ .

٤٧ ـ دبوز ، محمد علي : تاريخ المغرب الكبير ، الجزائر ، المطبعة العربيّة ١٩٧١ .

٤٨ ـ .... : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، الجزائر ، المطبعة التعاونيّة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

٤٩ ـ .... : أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج ١ ، قسنطينة (الجزائر) ، مطبعة البعث ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٥٠ ـ .... : أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج ٢ ، قسنطينة (الجزائر)، مطبعة البعث ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

٥١ ـ .... : أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج ٣ ، قسنطينة (الجزائر)، مطبعة البعث ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٥٢ ـ درويش كمال . وآخرون : الترويح الرياضي في المجتمع المعاصر ، مكّة المكرّمة ، مكتبة الطالب الجامعي ١٤٠٦هـ ..

٥٣ ـ دنهل ، جيمس : إدارة الصفوف المدرسيّة ، ترجمة عبد الرحيم الأمين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، د . ت .

٥٤ ـ راشد ، علي : مفاهيم ومبادئ تربويّة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٥٥ ـ الراوي ، مسارع حسن : دراسات حول التربية في البلاد العربيّة ، صيدا (لبنان) ، المكتبة العصريّة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٥٦ ـ ربييرا ، خوليان : التربية الإسلاميّة في الأندلس أصولها المشرقيّة وتأثيراتها الغربيّة ، ترجمة الطاهر أحمد مكّي ، القاهرة ، دار المعارف ، د . ت .

٥٧ ـ رضا ، محمد جواد : العرب والتربية والحضارة والاختيار الصعب ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، ط ٣ ، ١٩٩٣ .

٥٨ ـ ساعاتي ، أمين : الرياضة عند العرب في الجاهليّة وصدر الإسلام ، جدة ، دار الأصفهاني للطباعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٥٩ ـ السالمي ، عبد الله بن حميد : شرح الجامع الصحيح ، مسند الإمام الربيع بن حبيب ، تقديم عزّ الدين التنوخي، سلطنة عمان، المطابع العالميّة ، د . ت .

٦٠ ـ .... : رسالة تلقين الصبيان لمدارس عمان ، إشراف عزّ الدين التنوخي ، دمشق ، المطبعة العموميّة ، د . ت .

٦١ ـ .... : مشارق أنوار العقول ، علّق عليه وصحّحه الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ، سلطنة عمان ، مطابع العقيدة ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٦٢ ـ .... : جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام ، مصر، المطبعة العربيّة ١٣٤٤هـ .

٦٣ ـ .... : تحفة الأديان بسيرة أهل عمان ، تحقيق أبي إسحاق إبراهيم اطفيش ، القاهرة ، طبعة حجريّة ١٣٥٠هـ .

٦٤ ـ سرحان ، الدمرداش .كامل ، منير : المناهج ، القاهرة ، دار العلوم للطباعة ، ط ٣ ، ١٩٧٧ .

٦٥ ـ سرهنك ، الميرالاي إسماعيل : تاريخ دول المغرب، تقديم ومراجعة حسن الزين ، بيروت، دار الفكر الحديث ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٦٦ ـ سعد الدين ، محمد منير : دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين، بيروت، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٦٧ ـ سلطان ، محمود السيِّد : بحوث في التربية الإسلاميّة ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٩ .

٦٨ ـ السيِّد ، تهاني عبد السلام : أسس الترويح والتربية الترويحيّة ، مصر ، دار المعارف ١٩٧٩ .

٦٩ ـ شحاته ، حسن : النشاط المدرسي ، مصر ، الدار المصريّة اللبنانيّة ١٤١٠هـ .

٧٠ ـ الشرقاوي ، عبد الرحمن : أئمّة الفقه التسعة ، بيروت ، دار إقرأ ١٩٨١ .

٧١ ـ الشكعة مصطفى : إسلام بلا مذاهب ، القاهرة ، الدار المصريّة اللبنانيّة ، ط ١٠ ، ١٩٩٤ .

٧٢ ـ شلبي ، أحمد : في تاريخ التربية الإسلاميّة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٩٦٠ .

٧٣ ـ صالح ، عمر بن الحاج محمد : دراسة في الفكر الإباضي ، تونس ، مكتبة الإستقامة ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

٧٤ ـ طعيمة ، صابر : الإباضيّة عقيدة ومذهباً ، بيروت ، دار الجيل ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٧٥ ـ عاقل ، فاخر : التعليم ونظريّاته ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٧ ، ١٩٩٣ .

٧٦ ـ عبد الله، عبد الرحمن صالح : دور التربية العمليّة في إعداد المعلّمين ، بيروت، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٧٧ ـ عبد الحليم ، محمد رجب : الإباضيّة في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ١٩٩٠ .

٧٨ ـ عبد الجواد ، محمد : في كتّاب القرية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٣٩ .

٧٩ ـ عبد الدايم ، عبد الله : التربية عبر التاريخ ، بيروت، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، ١٩٧٨ .

٨٠ ـ .... : التربية التجريبيّة والبحث التربوي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، ١٩٨٩ .

٨١ ـ .... : نحو فلسفة عربيّة للتربية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩١ .

٨٢ ـ عبد الرؤوف ، عصام الدين : تاريخ الأندلس والمغرب ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٤ .

٨٣ ـ عبد الرزّاق ، محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرابع الهجري ، الدار البيضاء (المغرب) ، دار الثقافة ، ط ٢ ، ١٩٨٥ .

٨٤ ـ عبد العال ، حسن إبراهيم : الفكر التربوي عند بدر الدين بن جماعة ، أعلام التربية العربيّة الإسلاميّة ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٨٥ ـ عبد الوهّاب ، جلال : النشاط المدرسي ، الكويت ، مكتبة الفلاح ١٤٠١هـ .

٨٦ ـ عبوّد ، عبد الغني . وآخرون : فلسفة التعليم الابتدائي وتطبيقاته ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٨٧ ـ عثمان ، محمد فتحي : من أصول الفكر السياسي الإسلامي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٤ ، ١٤١٣هـ .

٨٨ ـ العروي ، عبد الله : تاريخ المغرب ، محاولة في التركيب ، ترجمة ذوقان قرقوط ، بيروت ، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٧ .

٨٩ ـ عزب، محمد زينهم. أحمد، عبد التواب عوض : دراسة في تاريخ الإباضيّة وعقيدتها، القاهرة ، دار الفضيلة ١٩٩٤ .

٩٠ ـ العسلي ، بسّام : المذهب العسكري الإسلامي ، بيروت ، دار النفائس ١٤١٣هـ/١٩٩٣ .

٩١ ـ عطيّه ، خطاب علي : التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأوّل ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٤٧ .

٩٢ ـ عطيّه ، سليمان إسحق : ابن حجر الهيثمي وخلاصة تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدّبو الأطفال ، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصريّة ١٩٧٨ .

٩٣ ـ العفيفي ، عبد الحكيم : غسيل المخّ وتحطيم العقائد، القاهرة، مركز الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

٩٤ ـ العقيلي ، محمد رشيد : الإباضيّة في عمان وعلاقتها مع الدولة العبّاسيّة في عصرها الأوّل ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، د . ت .

٩٥ ـ علوي ، محمد كامل : الرياضة البدنيّة عند العرب ، القاهرة ، دار النيل للطباعة ١٩٤٧ .

٩٦ ـ علي ، سعيد إسماعيل : نظرات في الفكر التربوي المصري ، القاهرة ، جامعة عين شمس ١٩٨٢ .

٩٧ ـ العنتيل ، محمد فوزي : التربية عند العرب مظاهرها واتّجاهاتها ، القاهرة ، الدار المصريّة للتأليف والترجمة ١٩٦٦ .

٩٨ ـ العودة ، خالد بن فهد : الترويح التربوي ، رؤية إسلاميّة ، الرياض ، دار المسلم للنشر والتوزيع ١٤١٤هـ .

٩٩ ـ فرج ، السيد أحمد : تعريب التعليم الجامعي ضرورة علميّة وإسلاميّة، القاهرة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

١٠٠ ـ فرصوص ، أحمد محمد : الشيخ أبو اليقظان كما عرفته ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

١٠١ ـ الفقي ، محمد أبو زيد : المذخوريّة الفكر المستقبلي عند المسلمين، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي ١٤١٤هـ/١٩٩٥م .

١٠٢ ـ فلهاوزن ، يوليوس : أحزاب المعارضة السياسيّة في صدر الإسلام ، الخوارج والشيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، الكويت، وكالة المطبوعات، ط ٢، ١٩٧٦ .

١٠٣ ـ فنكس ، فيليب : فلسفة التربية ، القاهرة ، مكتبة النهضة العربيّة ١٩٨٢ .

١٠٤ ـ فـيّـاض ، عـبـد الله : تاريخ التربيـة عند الإماميّة وأسلافهم مـن الشيعة في عهـدي الصادق والطوسي ، بغداد ، مطبعة أسعد ١٩٧٢ .

١٠٥ ـ القاضي ، علي : أضواء على التربية الإسلاميّة ، القاهـرة ، دار الأنصار ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م .

١٠٦ ـ قراقرة ، محمد عبد القادر : نحو إدارة تربويّة واعية ، بيروت ، دار الفكر العربي ١٩٩٣ .

١٠٧ ـ قطب ، سيّد : في ظلال القرآن ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٧ ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

١٠٨ ـ القوصي ، عبد العزيز : أسس الصحّة النفسيّة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصريّة، ط ٧ ، ١٩٦٩ .

١٠٩ ـ كارل ، الكسي : الإنسان ذلك المجهول ، ترجمة أنطوان العبيدي ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، د . ت .

١١٠ ـ كنبج، الكسندر. شنيدر، برتراند : الثورة العالميّة الأولى من أجل مجتمع جديد، تقرير نادي روما ، ترجمة وفاء عبد الإله ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ١٩٩٢ .

١١١ ـ كيارانـدا ، ميريلا : التربية الاجتماعيّة في رياض الأطفال ، ترجمة فوزي محمد عبد الحميد عيسى وعبد الفتّاح حسن عبد الفتّاح ، مراجعة كاميليا عبد الفتّاح ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٩٢ .

١١٢ ـ الكيلاني ، زيد إبراهيم : القِيَم التربويّة الإيمانيّة وأسس بناء الشخصيّة الإسلاميّة، سلطنة عمان ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

١١٣ ـ لبيب ، رشدي . وآخرون : الأسس العامّة للتدريس ، بيروت ، دار النهضة العربيّة ١٩٨٣ .

١١٤ ـ لفنجستون ، السير ريتشارد : التربية لعالم حائر ، ترجمة وديع الضبع ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصريّة ١٩٤٨ .

١١٥ ـ لقبال ، موسى : الحسبة المذهبيّة في بلاد المغرب ، الجزائر ، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع ١٩٧١ .

١١ ـ ماجد ، عبد المنعم : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى ، رسم خرائطه وحقّقه علي البنا ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٦٦ .

١١١ ـ مؤنس ، حسين : فتح العرب للمغرب ، القاهرة ، مكتبة الآداب ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م .

١١٨ ـ .... : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ، دار مطابع المستقبل ١٩٨٠ .

١١٩ ـ المجذوب ، عبد العزيز : الصراع المذهبي بإفريقية ، تونس ، الدار التونسيّة للنشر ، ط ٢ ، ١٩٨٥ .

١٢٠ ـ محفوظ ، محمد جمال الدين : تربية المراهق في المدرسة الإسلاميّة ، مصر الهيئة المصرية العامّة للكتاب ١٩٧٧ .

١٢١ ـ محمد ، أحمد علي الحاج : التخطيط التربوي إطار لمدخل تنموي جديد ، بيروت ، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

١٢٢ ـ مدني ، أحمد توفيق : تاريخ الجزائر ، الجزائر ، د . ت .

١٢٣ ـ مدني ، عبّاس : مشكلات تربويّة في البلاد الإسلاميّة ، مكّة المكرّمة ، مكتبة المنار ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

١٢٤ ـ المرزوقي ، آمال حمزة : النظريّة التربويّة الإسلاميّة ، سلسلة رسائل جامعيّة رقم ٧ ، جدّة ١٤٠٩٢هـ/١٩٨٢م .

١٢٥ ـ مطاوع، إبراهيم عصمت. واصف، واصف عزيز : التربية العمليّة وأسس طرائق التدريس ، بيروت ، دار النهضة العربيّة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

١٢٦ ـ المظفر ، محمد رضا : عقائد الإماميّة ، تقديم حامد حفني داود ، القاهرة، مكتبة النجاح ، ط ٢ ، ١٣٨١هـ .

١٢٧ ـ معروف ، نايف : الخوارج في العصر الأموي ، بيروت ، دار الطليعة، ط ٣ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

١٢٨ ـ معمر ، علي يحيى : الإباضيّة ، غرداية (الجزائر) ، المطبعة العربية ١٩٨٥ .

١٢٩ ـ .... : نشأة المذهب الإباضي ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

١٣٠ ـ .... : الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

١٣١ ـ .... : الإباضيّة في الجزائر ، القاهرة ، مكتبة وهبه ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٣٢ ـ .... : الإباضيّة في تونس ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ، ط ٢ ، ١٩٩٣ .

١٣٣ ـ .... : الإباضيّة دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم ، القاهرة، مكتبة وهبه، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

١٣٤ ـ .... : الإباضيّة في ليبيا ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ، ط ٢ ، ١٩٩٣ .

١٣٤ ـ منرو ، بول : المرجع في تاريخ التربية ، ترجمة صالح عبد العزيز ، مراجعة حامد عبد القادر ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصريّة ١٩٥٢ .

١٣٦ ـ المومني، موسى جفال. وآخرون : الأهداف التربويّة في المملكة الأردنيّة الهاشميّة، تونس ، المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٦ .

١٣٧ ـ الموهوبي ، عامر علي عمير : عمان قبل وبعد الإسلام ، سلطنة عمان ، وزارة الإعلام والثقافة ١٩٧٦ .

١٣٨ ـ موسى ، عزّ الدين : إنتشار الإسلام في غرب إفريقية في القرن السادس عشر الميلادي ، بغداد ، المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٥

١٣٩ ـ الميلي ، مبارك بن محمد : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم وتصحيح محمد الميلي ، الجزائر ، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب ١٩٨٩ .

١٤٠ ـ ناصر، إبراهيم . محسن، دلال : علم الاجتماع التربوي ، عمان ، المطابع التعاونية ١٩٨٤ .

١٤١ ـ ناصر ، محمد : حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي ، سلطنة عمان ، مكتبة الضامري ١٤١٠هـ/١٩٩١م .

١٤٢ ـ .... : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، الجزائر . الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع ١٩٨٠ .

١٤٣ ـ .... : دور الإباضيّة في نشر الإسلام بغرب إفريقيا ، سلطنة عمان ، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الدينيّة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

١٤٤ ـ النجّار ، عامر : الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٩٣ .

١٤٥ ـ نحلاوي ، عبد الرحمن : التربية الإسلاميّة والمشكلات المعاصرة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الرياض ، مكتبة أسامة ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

١٤٦ ـ النوري، عبد الغني. عبّود، عبد الغني : نحو فلسفة عربيّة للتربية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٧٩ .

١٤٧ ـ الوهبي ، محمد بن يوسف : تفسير هيمان الذات إلى دار المعاد ، زنجبار ، المطبعة السلطانيّة ١٣٠٦هـ .

١٤٨ ـ يالجن ، مقداد : دور التربية الأخلاقيّة الإسلاميّة في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإسلاميّة ، بيروت ، دار الشروق ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

ـ رابعاً : المعاجم والموسوعات :

١ ـ ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت : ٧١١هـ/١٣١١م) : لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، د . ت .

٢ ـ الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر وبيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٣ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : الرياض، الندوة العالميّة للشباب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

خامساً : الرسائل والأطروحات الجامعيّة :

١ ـ حجازي ، عبد الرحمن : التربية الإسلاميّة في القيروان في القرون الهجريّة الثلاثة الأولى ، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلاميّة ، بيروت ، كليّة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلاميّة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٢ ـ عبد العاطي، عبد الغني محمد : التعليم في مصر من الأيوبيّين إلى المماليك ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كليّة الآداب ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ١٩٧٥ .

سادساً : بحوث ودراسات في مؤتمرات وندوات :

أ ـ مؤتمر تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلاميّة ، الكويت :

١ ـ علي ، محمد المأمون محمد : العقبات التربوية لتطبيق الشريعة الإسلاميّة ، مؤتمر تهيئة الأجواء التربويّة لتطبيق الشريعة الإسلاميّة ، المحور الثاني ، الكويت الديوان الأميري ، د .ت .

ب ـ المؤتمر التربوي الإسلامي الأوّل ، طرابلس (لبنان) :

٢ ـ عيدو ، رفيق : تدريس الرياضيّات والعلوم باللغة العربية، المؤتمر التربوي الإسلامي الأوّل ، طرابلس (لبنان) ، منشورات معهد طرابلس الجامعي للدراسات الإسلاميّة ١٤١١هـ/١٩٩١م .

ج ـ المؤتمر التربوي الإسلامي الثاني ، طرابلس (لبنان) :

٣ ـ نجا ، فاطمة هدى : الاستشراق واللغة العربيّة الفصحى ، المؤتمر التربوي الإسلامي الثاني ، طرابلس (لبنان) ، منشورات معهد طرابلس الجامعي للدراسات الإسلاميّة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

د ـ ندوة الفقه الإسلامي المنعقدة بجامعة السلطان قابوس في الفترة من ٢٢ إلى ٢٦ شعبان ١٤٠٨هـ/من ١٩ إلى ١٣ نيسان ١٩٨٨م :

٤ ـ بالحاج ، محمد بن بابه الشيخ : الاجتهاد في المذهب الإباضي ، ندوة الفقه الإسلامي، سلطنة عمان، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلاميّة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٥ ـ الجعبيري ، فرحات : دور المدرسة الإباضيّة في الفقه والحضارة الإسلاميّة ، ندوة الفقه الإسلامي ، سلطنة عمان ، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلاميّة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

ـ سابعاً : بحوث ودراسات في الدوريّات :

أ ـ جريدة البلاد السعودية :

١ ـ ظلاّم ، سعد : قدرة الطفل تبلغ ٩ ملايين كلمة، جريدة البلاد ، العدد ٥٩٥، السعودية ، الجمعة ١٢ صفر ١٤١٧هـ/٢٨ حزيران ١٩٩٦م .

ب ـ جريدة اللواء اللبنانيّة :

٢ ـ طاش ، عبد القادر : العالم الإسلامي في ظل الثورة العالميّة ، جريدة اللواء ، السنة ٣٤ ، العدد ٨٦٨٦ ، بيروت ، الجمعة ٧ محرم ١٤١٧هـ/٢٤ أيار ١٩٩٦م .

٣ ـ محمد ، محمد عماد : خطبة الجمعة بين الواقع والمرتجى ، جريدة اللواء ، السنة ٣٤ ، العدد ٨٦٤٠ ، بيروت ، الأربعاء ٨ ذو القعدة ١٤١٧هـ/٢٧ آذار ١٩٩٦م .

٤ ـ الميس، الشيخ خليل : حوار تناول مجموعة من المصطلحات والطروحات المعاصرة ، جريدة اللواء ، السنة ٣٤ ، العدد ٨٨١١ ، بيروت ، الجمعة ٦ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ/١٨ تشرين الأول ١٩٩٦م .

ج ـ جريدة وادي ميزاب الجزائريّة :

٥ ـ إبراهيم، أبو اليقظان عيسى : الإفتتاحيّة، جريدة وادي ميزاب ، العدد الأول، الجزائر ، ١ تشرين الأول ١٩٢٦ .

٦ ـ .... : نحن وأنتم ، جريدة وادي ميزاب ، العدد ٢٦ ، الجزائر ، ١ نيسان ١٩٢٧ .

د ـ مجلّة الأمّة القطريّة :

٧ ـ حسنة ، عمر عبيد : كلمة التحرير ، مجلّة الأمّة ، السنة الثانية ، العدد ١٦، قطر، ربيع الآخر ١٤٠٢هـ .

هـ ـ مجلّة البصائر الجزائر :

٨ ـ إبراهيم، أبو اليقظان عيسى : إفتتاحيّة مجلّة البصائر ، مجلّة البصائر ، العدد الأوّل ، الجزائر ٢٩ شوال ١٣٧٢هـ .

و ـ مجلّة الثقافة الجزائرية :

٩ ـ بحاز ، إبراهيم بكير : الجماعات الإباضيّة في شمال إفريقية ، مجلّة الثقافة ، العدد ٣ ، الجزائر ، جمادى الأولى ١٣٩١هـ/تموز ١٩٧١م .

ز ـ مجلّة العربي الكويتيّة :

١٠ ـ الرميحي ، محمد : صناعة الإعلام أو الإعلام الصناعي ، مجلّة العربي ، العدد ٣٩٦ ، الكويت ، تشرين الثاني ١٩٩١ .

١١ ـ سعيدي ، عثمان : كيف نخرج من المأزق السياسي ، مجلّة العربي ، العدد ٣٠٣ ، الكويت ، شباط ١٩٨٤ .

١٢ ـ قنديل ، محمد المنسي : وادي ميزاب تراث جزائري حيّ، مجلّة العربي ، العدد ٤٤٥، الكويت، كانون الأول ١٩٩٥ .

ح ـ مجلّة المشرق اللبنانيّة :

١٣ ـ ابن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت : ٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ، كتاب السياسة (التدبير) ، نشر لويس شيخو ، مجلّة المشرق، السنة التاسعة ، الأعداد ٢١ ــ ٢٣ ، بيروت ١٩٠٦ .

ط ـ مجلّة اللسان العربي المغربيّة :

١٤ ـ السوسي ، المختار : تأثير اللغة العربيّة في اللغة الشلحيّة ، مجلّة اللسان العربي، العدد الثاني ، الدار البيضاء (المغرب) ١٩٩٥ .

ي ـ مجلّة الوعي الإسلامي الكويتيّة :

١٥ ـ ابن جبرة ، محمد بن علي : التنمية العربيّة والذاتيّة الإسلاميّة ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٥٠ ، الكويت ، شوال ١٤١٥هـ/آذار ١٩٩٥م .

١٦ ـ ابن عزيز ، محمد صالح : مشكلات التخلّف في الوطن الإسلامي ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٤٣ ، الكويت ، ربيع الأول ١٤١٥هـ/حزيران ١٩٩٤م .

١٧ ـ أبو بكر ، يحيى المبدي : اللغة والحفاظ على الهويّة الثقافيّة ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٦٦ ، الكويت ، صفر ١٤١٧هـ/ تموز ١٩٩٦ .

١٨ ـ أبو زيد ، أحمد محمود : العلمانيّة هل تسربت إلى مؤسسات تعليمنا ووسائل إعلامنا ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٩٧ ، الكويت ، رمضان ١٤٠٩هـ/نيسان ١٩٨٩م .

١٩ ـ الأصبحي ، سعيد أحمد : الدعوة الإسلاميّة ووسائلها الإعلاميّة ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٤٦ ، الكويت ، جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/تشرين الثاني ١٩٩٤م .

٢٠ ـ الإفتتاحيّة : الوجه الآخر لحضارة الغرب ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٤٢ ، الكويت ، صفر ١٤١٥هـ/تموز ١٩٩٤م .

٢١ ـ بسيوني ، شاهيناز : أساليب الإذاعات الأجنبيّة في الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٠٣ ، الكويت ، ربيع الأول ١٤١٠هـ/تشرين الأول ١٩٨٩م .

٢٢ ـ بوعزّة ، الطيّب : التحدّي الحضاري، ضرورته ، وسائله، آفاقه ، مجلّة الوعي الإسلامي، العدد ٣٠٠ ، الكويت ، ذو الحجّة ١٤٠٩هـ/ تموز ١٩٨٩م .

٢٣ ـ الريسوني ، أحمد : الوظيفة التربويّة للدعاء ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٥٠ ، الكويت ، شوال ١٤١٥هـ/ آذار ١٩٩٥م .

٢٤ ـ زيدان ، عبد الحليم : فلسفة الوقفيات وإعادة التعريف ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٤٨ ، الكويت ، شعبان ١٤١٥هـ/كانون الثاني ١٩٩٥م .

٢٥ ـ السعيد ، راغب محمد : التربية الأخلاقيّة في الإسلام ، مفهومها ، ووسائلها ، وخصائصها ، وغاياتها ، مجلّة الوعي الإسلامي، العدد ٣٤٢ ، الكويت ، صفر ١٤١٥هـ/ تموز ١٩٩٤م .

٢٦ ـ السعيدي ، محمد : أعرف طفلك تتجنّب الأخطاء في التربية ، مجلّة الوعي الإسلامي، العدد ٣٠٦ ، الكويت ، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ/كانون الثاني ١٩٩٠م .

٢٧ ـ الفنجري ، محمد شوقي : حول قضيّة أسلمة العلوم ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٩٦ ، الكويت ، شعبان ١٤٠٩هـ/آذار ١٩٨٩م .

٢٨ ـ القرضاوي ، يوسف : يجب أن يكون للمسلمين فقه معاصر ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٦٦ ، الكويت ، صفر ١٤١٧هـ/ تموز ١٩٩٦م .

٢٩ ـ القوصي، محمد عبد الشافعي : التغريب في التعليم في العالم الإسلامي ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٤١ ، الكويت ، محرم ١٤١٥هـ/ حزيران ١٩٩٤م .

٣٠ ـ مصطفى ، محمود يوسف : دور المسجد في مواجهة قضايا العصر ، مجلّة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٠٩ ، الكويت ، رمضان ١٤١٠هـ/نيسان ١٩٩٠م .

٣١ ـ الناكوع ، محمود محمد : حركة الإصلاح الإسلامي مدخلها التعليم ، مجلّة الوعي الإسلامي العدد ٣٥٠ ، الكويت ، شوال ١٤١٥هـ/ آذار ١٩٩٥م .

٣٢ ـ الولي ، طه : الدور التربوي للمسجد في الإسلام ، مجلّة الوعي الإسلامي، العدد ٣٠٦، الكويت ، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ/كانون الثاني ١٩٩٠م .

ق ـ مجلّة عالم الفكر الكويتيّة الفصليّة :

٣٣ ـ الببلاوي ، فيولا : الأطفال واللعب ، عالم الفكر ، المجلّد العاشر ، العدد الثالث ، الكويت ، تشرين الأول ، تشرين الثاني ، كانون الأول ١٩٧٩ .

ل ـ مجلّة قراءات سياسيّة الأميركيّة :

٣٤ ـ الصراف ، شهاب الدين : قراءة جديدة لبرنار لويس وللشرق الأوسط مجلّة قراءات سياسيّة ، العددان الثالث والرابع ، فلوريدا (الولايات المتحدة) مركز دراسات الإسلام والعالم ، صيف وخريف ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

ـ ثامناً : مقابلات شخصيّة :

١ ـ ابن عبد الجليل ، منصف : مستشار وزير التعليم العالي التونسي ، جرت المقابلة في المركز الألماني للدراسات الشرقيّة ، بيروت ١٩٩٦/١/١٥ .

- تاسعاً : المراجع الأجنبية :

1 - Addoun, Aïcha dadi : Sociologie et l'histoire des Algeriens Ibadites , Ghardaia (Alger) , Imp . Elarabia, S.D.

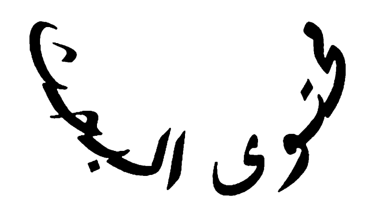
2 - Cheikh , Bekri : Le Khorijisme berbère, quelques aspects du Royaume Rustumides , annales de l'institut d'études orientales, Alger , université d'Alger, tome 15, 1975 .

3 - Lewicki , Tadeuz : Article "AL Ibadyyia , Ensclopedie de l'Islam , nouvelle édition , paris , G.P. maison neuve et larose 1971 .

4 - .... : Mélanges bèrberes Ibadite, Revue Islamique, Cahier 3, Paris 1936 .

5 - Pantillon , Claude : Une philosophie de l'éducation pour quoi faire , Lausanne , édition l'âge de l'homme 1981 .

6 - Pavard , Claude : Lumières du M'Zab , Paris , éditions de loroisse 1977 .


محتوى البحث

المحتوى

xxxxxxxxxxxxx

الصفحة

الصفحـة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة